المقدمة

(تلخيص لما سبق)

في الجزء الاول من هذا الكتاب ذكرت ما جرى في فلسطين من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم ، ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، الى اليوم الذي انتهى فيه الانتداب ، ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وانسحب الجيش البريطاني من البلاد.

انك اذا مـا تصفحت ذلك الجزء علمتَ : كيف صدر قرار التقسيم .. وكيف استغلت الدول الكبرى ، ولا سيما ، الولايات المتحدة وبريطانيا ، نفوذها من اجل اقراره في هيئة الامم .. ومعنى ذلك القرار ، واهدافه ... والفوضى التي شملت البلاد من ادناها الى اقصاها ، اثر صدوره .. ومـا واكب ذلك من قتل وعنف وحرق ونسف وتدمير ...

وفي الكتاب وصف دقيق .. مدعم بالاسماء والارقام .. لجميع المعارك التي حدثت بين العرب واليهود في مدينـة القدس : يوم نسف المجاهدون شارع هاسوليل ، وحي بن يهودا ، ودار الوكالة اليهودية .. ونسف رجال الارغون فندق سميراميس ، ونادى الضباط البريطانيين .. وفُجِّرتْ ألغامهم التي زرعوها عند باب العمود وباب الخليل ، فقضوا على عدد من المناضلين ... ويوم سقط القسطل ، وقامت مذبحة دير يس ... وانتقم المناضلون لاخوانهم شهداء القسطل والدير عندما وقفوا بالمرصاد لقافلة الهـداسا ؛ في حي الشيخ جراح ؛ ففتكوا بها فتكاً ذريعاً ،وقتلوا من رجالها ـ باعتراف اليهود انفسهم ـ مئة واثنين وعشرين..

هذه الحوادث كلها .. ذكرتها جملة وتفصيلا .. في الجزء الاول من كتابي .. وفي ذلك الجزء الاول من الكتاب وصف للجهود التي بذلت لجعل القدس مدينة مفتوحة ، والنتائج التي بلغتها تلك الجهود .

وكذلك قل عن المعارك التي حدثت في يافا وحيفا وصفد وطبريا وبيسان ، وما الى ذلك من المدن العربية .. وفي الزراعة ومشارها عيمك وكفار عصيون ، وما الى ذلك من المستعمرات اليهودية ...

وفيه فصول عن (جيش الانقاذ) : كيف ومتى نشأ ؟ وعن قائــده فوزي القاوقجي . وعن (اللجنة العسكرية) التي عهد اليها مجلس الجامعة بمهمة الدفاع عن فلسطين قبل ان تدخلها الجيوش العربية ، وعن رئيسها واعضائها ، وما فعلته هذه اللجنة من اجل جمع السلاح وتوزيعه ... وعن اجتماعات (الجامعة العربية) في عالية والقاهرة وفي عمان ودمشق ... وعن (الهيئة العربيــة العليا) وفروعها المختلفة ... وعن (الجهاد المقدس) و (فرقة التدمير العربية) وسائر فرق الجهاد و (اللجان القومية) من مختلف انحاء البلاد ...

وفيه فصل عن مشكلة السلاح ، وما لقيه العرب طوال فترة القتال من مشقة وعناء في سبيل التسلح ، وموقف الدول العربية من قضيــة فلسطين ، ومن قرار التقسيم .. واختلاف القادة .. وتباين المقاصد والاهداف ...

وفي الكتاب ارقام تهديك الى عدد المقاتلين من كلا الجانبين وقادتهم واسلحتهم وموقف كل منها حيال الآخر في الميــدان الدولي ، وما تكبداه من خسائر في ميادين القتال .

وفي الصفحات الاخيرة وصف للفوضى التي شملت البلاد بوجه عام ومدينة القدس بوجه خاص ، عندما انسحب الجيش البريطاني منها ، ووقف الفريقان وجهاً الى وجه يقتتلان .. حتى قناصل الدول الاجنبيــة .. فانهم لم ينجوا من الخوف والفزع . وقبعوا من منازلهم ، لا يستطيعون حراكاً . وما كان ليجدى في تلك الايام الرهيبة ، الاوراق الرسمية التي كانوا يحملونها ليبرهنوا على انهم ...

ينتسبون الى السلك السياسي (١) . وارادت جمعية الصليب الاحمر ان تنقذ المتحف الفلسطيني من الخطر ، فرفعت على برجه علمها . ولكن هذا لم يبق اكثر من يوم واحد اذ جاء المناضلون العرب ، فانزلوه ، ورفعوا مكانه العلم العربي .

هكذا كان الوضع في المدينة عندما انسحب الجيش البريطاني منها في ١٤ ايار . وكذلك قل عن الوضع في سائر انحاء فلسطين ، اذ اخذ الفريقان يقتتلان حيثما التقيا .

الجيوش العربية تجتاز حدود فلسطين

●

في ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ اجتازت الجيوش العربية حدود فلسطين بغيـة انقاذها من براثن الصهيونيين . اجتازتها باعداد مختلفة ، بعضها كان يقصد فعلا انقاذها ، وينوي القتال حتى النهاية ، وبعضها كان ينوي ان يقف عند الحدود التي رسمتها هيئة الامم في قرار التقسيم . وما كانت كلها، لا فرق بين الواحد منها واخر، مجهزة تجهيزاً كافياً يضمن لها النصر .

اما سوريا فانها هي الدولة العربية الوحيدة التي ، عندما جد الجد ، عقدت النية على انقاذ فلسطين . ورأت انه لا بد لانقاذها من دخول الجيوش العربية واشتراكها الفعلي في القتال ، هذا مع العلم بانها لم تكن ، من الناحية العسكرية ، على استعداد تام للقتال .

ولم يكن لديها يومئذ سوى خمسة عشر الف رجل (٢) قليل منهم هم المدربون على القتال ، ومعظمهم من الاشخاص الذين خبروا اعمال الامن والدرك فقط .

اما الذين زحفوا صوب فلسطين ، فلم يزد عددهم عن الف وخمسمئة مقاتل .

واما لبنان فما كان باستطاعته ان يفعل شيئاً ، اذ انه لا يملك من الجيش ما يكفي لصون الامن في بلاده ، دع عنك القتال. وان استطاع ان يستغني عن فريق من جنده فان هؤلاء من القلة بحيث لا يستطيعون العمل الا في خط الدفاع عن الحـدود . وفي ذلك الخط اقام الف مقاتل . وفي قول آخر الفان .

واما العراق فانه وان كان لا يقل عن سورية غيرة على فلسطين ، وقد عقد النية منذ البدء على انقاذها من براثن الصهيونيين ؛ الا ان قادتـه وفي طليعتهم الامير عبد الاله الوصي على العرش ونوري السعيد ربطوا انفسهم بعجلة (الاردن) . ولقد القى العراقيون

---

(١) قال المونسينور جبرائيل ابو سعدي النائب البطريركي للروم الكاثوليك في مذكراته التي دون فيها حوادث هذا اليوم ان قنصل فرنسا تضور من الجوع هو ورجال القنصلية ، ولو لم يرأف به رئيس معهد الفرير الاخ « اتية فليكس » ويزوده بالمؤن لقضى ومن معه جوعاً .

(٢) من مذكرات محسن البرازي وزير خارجية سوريا في فترة القتال .

في الميدان ، عند بدء القتال ، الفاً وخمسمئة مقاتلا ، وازداد هؤلاء عدداً ، فبلغوا عند اعلان الهدنة خمسة آلاف .

والاردن . . . وان كان كفوءاً للقتال وله جيش مؤلف من رجال لا يقلون اخلاصاً لوطنهم من رجال اي قطر اخر من الاقطار العربية ، الا انه جيشاً وحكومة وملكاً مرتبط ببريطانيا . ولا يستطيع ان يفعل الا ما ترضاه .

ومع هذا فكان عــدد رجال الجيش العربي الذين خاضوا معارك فلسطين في البدء اربعة الاف وخمسمئة مقاتلا ، هذا من مجموع الجيش وقد بلغ عدد رجاله يومئذ اثني عشر الفاً خلا رجال الشرطة والدرك . وسحب جزء من الجنود الى ما وراء الاردن قبل استئناف القتال للقيام ببعض الواجبات الاخرى .

واما اليمن . . . فانها غارقة في بحار الجهل . . . ولم ترســل الى فلسطين لا جنداً ولا سلاحاً .

واما المملكة العربية السعودية فانها مرتبطة بالولايات المتحدة ... وشركات البترول الاميركية التي لها في تلك المملكة مصالح لا تجارى . وما كان العاهل السعودي شديــد الرغبة في دخول الحرب الفلسطينية ، شأنه في ذلك شأن الحكومة المصرية الــتي كانت ترددت في بادىء الامر . ولما رأت ان الرأي العام المصري يريد ذلك اعلنت الحرب . وحذت المملكة السعودية حذو مصر فاشتركت في القتال .

وقولنا هذا لا يبعد كثيراً عما قاله فؤاد حمزة أحد الرجال السوريين المقربين مــن ابن السعود ، الى محسن البرازي وزير الخارجية السورية يوم زار هذا الرياض (في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨) ليبحث مسألة فلسطين . فقد قال له ما نصه بالحرف الواحد (١) :

« لا انكر عليك انني لمست تهاوناً من لدن حكومتنا بشأن فلسطين . وشعرت بتردد في المبادرة الى ارسال السلاح بالرغم من قرارات مجلس الجامعة . وقد استهولت ذلك فبادرت الى اقناع جلالته بلزوم تنفيذ تلك القرارات » .

ومع ذلك فان عدد السعودين الذين حاربوا في فلسطين لم يزد عن الالف وخمسمئة . ولقد حارب هؤلاء في قطاع غزة . وكانوا تابعين لقيادة الجيش المصري . وكانوا من الشجاعة والاخلاص على جانب عظيم .

واما الحكومة المصرية فقد رأت بادىء ذي بدء انه ليس من مصلحتها وهي تقف

---

(١) اقرأ مذكرات البرازي المنشورة في العدد ٢٠٦٧ في جريدة (الحياة) البيرونية بتاريخ ١ شباط ١٩٥٣

مع الانكليز وجها لوجه ـ ان تزج بجيشها في قتال، وانه اذا كان لا بد من العمل لنصرة فلسطين فليكن ذلك عن طريق المال والاسلحة والمتطوعين . ولكنها ما عتمت ان غيرت رأيها فقررت سوق جيشها اسوة بالجيوس العربية الاخرى .

ولما سأل عبد الرحمن عزام ، الامين العام للجامعة العربية ، محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية كيف ولماذا غير رأيه ، قال له هـــذا « انني لم ار مفراً ـ تحت ضغط الحوادث والرأي العام ، وحالة الامن الداخلي وكرامة مصر امام العالم الاسلامي واعتزام الدول العربية الاخرى خوض المعركة الفلسطينية ـ من امر الجيش بالاشتراك في القتال كبقية الجيوش العربية .

قال الفريق محمد حيدر باشا ، القائد العام للقوات المصرية المسلحة ، ان الجامعـــة العربية هي التي طلبت دخول مصر الى فلسطين ، بوصفها زعيمة الدول العربية ، وكان لا بد لمصر من الاذعان لهذا الطلب . وانه هو شخصياً ما كان يرغب في دخول الحرب للنقص الملحوظ في العتاد .

وقال الفريق عثمان المهدي باشا ، رئيس اركان حرب الجيش المصري ، انه ورجال الجيش الآخرين فوجئوا بحملة فلسطين ، ولم يكونوا عـــلى اهبة الاستعداد لها ، وانه عارض في دخول مصر الحرب لعدم وجود العتاد الكافي ، وانه ابدى رأيه هذا في اجتماع حضره رئيس الوزراء محمودفهمي النقراشي باشا ورئيس ديوان الملك ابراهيم عبدالهادي ووكيل الديوان حسن يوسف . وكان ذلك في ١٥ ايار ١٩٤٨ وهو اليوم الذي أعلنت فيه مصر الحرب ودخلت فلسطين .

وقال الفريق عثمان المهدي ان الذي كـــان يطالب بدخول الحرب هو الملك فاروق بوصفه القائد الاعلى للجيش . وكذلك قـــل عن مجلس البرلمان ، والجامعة العربية ، والصحف ، والرأي العام .

وهناك من يقول ان الانكليز كانوا يريدون ان تدخـــل مصر القتال ، وذلك لانهم عرفوا عن طريق بعثتهم التي كانت تعمل في مصر قبـــل ذلك بسنة (١٩٤٦) انهم بسبب قلة جنودهم وقلة اسلحتهم سيخسرون الحرب لا محالـــة . وكانوا هم (اي الانكليز) يريدون ان تعرف مصر نفسها ، فتقف عند حدها ، ولا تطالبهم بالخروج من بلادها . لا ، بل انهم كلفوا المصريين ان يمدوهم بالسلاح وبالعون المادي اذا هم طلبوا منهم ذلك وفقاً للمعاهدة ١٩٣٦ ولكن المصريين رفضوا . وهـــذا ما جعل الانكليز يقفون وقفة معادية .

وكان عدد الجنود التابعين للجيش المصري والذين دخلوا فلسطين عند بدء النضال

ستة الاف . وازداد هؤلاء في معارك النقب فبلغوا عشرين الفا. يدخل في ذلك المتطوعون من الاخوان المسلمين ، وهم خليط من المصريين والسودانيين والليبيين . ولقد تم تدويب هؤلاء المتطوعين على القتال في معسكرات اعدت لهـذه الغاية في (مرسى مطروح) و (هاكستب) .

ويمكننا تلخيص الارقام المتقدم ذكرها بقولنا ان مجموع المقاتلين التابعين للجيوش العربية النظامية عندما اجتازت تلك الجيوش حدود فلسطين كما يلي : ـ

عـــدد	الاسم
١,٥٠٠	الجيش السوري
١,٠٠٠	الجيش اللبناني
١,٥٠٠	الجيش العراقي
٤,٥٠٠	الجيش العربي الاردني
١,٥٠٠	الجيش السعودي
١٠,٠٠٠	الجيش المصري (يدخل في ذلك المتطوعون) .
٢٠,٠٠٠	

اين هذا العدد من النظرية العسكرية القائلة ان عدد الجيش (اي جيش) يجب ان يكون في حالة السلم واحداً فى المئة (١٪) من مجموع عدد السكان وعشرة في المئة(١٠٪) في حالة الحرب . اي ان مصر التي يعيش فيها عشرون مليوناً من السكان ، عليهـا ان تجند في حالة السلم مئتي الف جندي ، وفي حالة القتال مليونين . مع انها ـ كما ترى من هذه الارقام ـ لم تنزل الى الميدان سوى عشرة الاف مقاتـل في البدء وعشرين الفاً في المراحل الاخيرة للقتال . وكذلك قـل عن الجيوش العربية الاخرى فانهـا لم تنزل الى الميدان العدد الذي يضمن لها النصر من الجنود ، دع عنك النصر ، فانهـا تخاذلت بشكل جعل بعضها يقبع في الاراضي العربية والبعض الآخر ينسحب حتى عن الارض العربية التي خصصت للعرب في قرار التقسيم. وهذا ما سنذكره بالتفصيل في الفصول التالية:

وكانت الخطة التي رسمها رؤساء اركان حرب الدول العربية في اجـتماع عقدوه في الزرقاء الى الشمال من عمـان في اواخر نيسان تقضي بان تدخـل الجيوش فلسطين في مساء اليوم الخامس عشر من ايار ، وان يزحف الجيش اللبناني من رأس الناقورة نحو الساحل الفلسطيني باتجاه عكـا . . . وان يقوم جيش التحرير بقيادة فوزي القاوقجي بغارات على منطقة حيفا الـتي كانت بيد اليهود . . . وان يزحف الجيش السوري من مرتفعات بانياس وبنت جبيل نحو صفد والناصرة والعفولة... وان يزحف الجيش العراقي

عن طريق جسر اللنبي على نهر الاردن باتجاه غور بيسان ، فالعفولة . . . وان تزحف بعض قطعات الجيش الاردني من جسر دامية وجسر الشيخ حسين على النهر نفسه باتجاه جنوب بيسان فشمال جنين الى العفولة ...، والبعض الآخر صوب باب الواد عن طريق رام الله ، وكان على هذه الجيوش عند التقائها بالعفولة ان تزحف نحو الساحل ، فتحتل منطقتي الخضيرة وناثانيا اليهوديتين . وبذلك تشطر اليهود الى شطرين : شطر في الشمال (حيفا وصفد وطبريا وبيسان) وشطر في الجنوب (تل ابيب وملبس وديران) . وكان على الجيش المصري ان يجتاز الحدود الفلسطينية عند رفح والعوجا ثم يزحف باستقامة غزة ومجدل عسقلان . وبهذا يشطر اليهود هناك الى شطرين : شطر تقدم ذكره عند ديران والمستعمرات المجاورة لها ، وشطر في اقصى الجنوب عند القطاع المسمى بالنقب؛ وكان على المتطوعين المصريين ان يصلوا عن طريق الخليل وبيت لحم ، الى القدس ، فيطوقوها من ناحيتها القبلية بينما يطوقها الاردنيون من ناحيتها الشمالية والشرقية . واما القدس نفسها فقد اتفق على تجنيبها ويلات القتال ، على ان يظل مرابطاً فيها حماة الديار من ابنائها .

تلك هي الخطة (١) التي رسمها رؤساء اركان حرب الجيوش العربية في الاجتماع الذي قلنا انهم عقدوه في الزرقاء . وقد اسندت القيادة العليا يومئذ الى جلالة الملك عبد الله وكان ذلك بطلب منه واصرار من وزارة الخارجية البريطانية ، والطلب محفوظ في ملفات ، الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، وعين الجنرال العراقي نور الدين محمود قائداً عاماً تابعاً للملك عبد الله .

ويظهر ان الشق الاول من هذه الخطة (وهو المتعلق بالقتال) لم يرق في عين الفريق (٢) غلوب باشا John Bagot Glubb , C.M.G. , D.S.O. , O.B.E. ,M.C. فاستبد له ،

---

(١) قال Jon Kimshe في الصفحة ٢٣٨ في كتابه Seven Fallen Pillars ان ضابطاً بريطانياً كبيراً من ضباط الجنرال Mecmillan كان مطلعا على هذه الخطة وانه اوضحها لرجال مكتب الاستخبار البريطاني بحيفا في ٦ ايار ، اي قبل بدء الغزو بتسعة ايام . وكانت (اي الخطة) تقضي بان يتصل المصريون بالجيش العربي في قطاع الخليل - بيت لحم فيهاجم الجيشان معا ، الاردني والمصري ، الاحياء الجديدة من مدينة القدس . تلك الاحياء التي كان معظمها بيد اليهود . ولكن الفريقين عادا فاختلفا . ولم يسمح للمصريين بالزحف صوب القدس .

(٢) اقرأ نبذة من تاريخ حياته في الملحق قبل الاخير من ملاحق هذا الكتاب .

بوصفه رئيساً لاركان حرب الجيش العربي ، بشق اخر ، وما كان لأحد ان يعترضه اذ كان يصدر اوامره باسم القائد الاعلى ، الملك عبد الله .

ولقد تم هذا الاستبدال قبل الميعاد المقرر للزحف بثمان واربعين ساعة . فدخل الجيش السوري الحدود من ناحية تقع الى الجنوب من بحيرة طبريا ، واحتل سمخ .

وعبر الجيش المصري الحدود عند رفح ، وراح يزحف نحو الشمال الى ان وقف عند اسدود ، وكانت كتائب المتطوعين المصريين والسودانيين والليبيين قد سبقته عن طريق بئر السبع الى قطاع الخليل وجنوب القدس .

وعبر الجيش العراقي الحدود عند جسر المجامع فاحتل مشروع روتنبرغ وراح يحاصر كيشر ، وكانت هذه محمية بخط منيع هو الذي كان البريطانيون يسمونه بـ (خط ايدن)

وزحف الجيش العربي الاردني على ذراعين :

ذراع اجتاز جسر اللنبي ، وراح يتأهب للزحف صوب القدس ، وذراع اجتاز جسر دامية باتجاه نابلس وهنا انشطر الى شطرين : شطر بقي مرابطا في ذلك القطاع وآخر أم باب الواد عن طريق رام الله .

واما الجيش اللبناني فقد بقي مرابطا عند الحدود ، متخذاً لنفسه خط الدفاع .

ويحدثك الخبراء في الشؤون العسكرية احاديث مختلفة عن الاسباب التي ادت الى تغيير الخطة الاصلية والنتائج السيئة التي ادى اليها ذلك التغيير ، وكاد القوم يجيبون على ان هذا التغيير كان مقصوداً ، وان الذي اقترحه (غلوب باشا) كان يرمي الى زج الجيوش العربية في مآزق لا قبل لها بها ، من ذلك ما قاله الزعيم منير ابو فاضل من ان غلوب هذا كان يرمي الى كشف الجناح الايسر للجيش السوري (١) .

وقال لي شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية انه عندما اجتمع بالملك عبد الله في درعا ، وكان ذلك في ١٩ ايار ١٩٤٨ ، وحضر الاجتماع كل من رياض الصلح وجميل مردم وعبد الرحمن عزام وسعد الدين صبور ، تساءل عن الاسباب التي ادت الى تغيير الخطة ، فقال له الملك (سأحتل القدس غداً ، وتل ابيب بعد اسبوع) واكد قوله هذا بشهادة سعد الدين صبور ضابط الارتباط المصري الذي اكد للقوتلي ان لدى الجيش العربي عتاداً لا ينضب ، وانه يملك ما يقرب من ٢٦٠ مدرعة ،

ومهما كان الامر ، فقد تلقى عرب فلسطين عامة ، وسكان بيت المقدس خاصة ، أنباء زحف الجيوش العربية بالرضا والاغتباط . وباتوا يرتقبون سقوط القدس، وسقوط

(١) اقرأ العدد ٤٣٣٣ من جريدة (النهار) البيروتية بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٥٠

تل ابيب ، وخلاص البلاد من محنتها في وقت قريب ، وازدادوا سروراً واغتباطاً عندما جاءهم نبأ القرار الذي اصدره مجلس الجامعة في ١٢ نيسان ١٩٤٨ وقد جاء فيه : (ان دخول الجيوش العربية فلسطين لانقاذها يجب ان ينظر اليه كتدبير موقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال او التجزئة لفلسطين ، وانه بعد اتمام تحريرها تسلم الى اصحابها ليحكموها كما يريدون ، ومما زاد في اغتباطهم ايضا ان زحف الجيوش هـذا جاء في وقت اعلن اليهود فيه استقلالهم ، وراحوا يتحدون العرب ، وسادت في البـلاد انباء تقول ان بعض الدول العربية راغبة في القتال ، ومن ذلك مـا قيل عن مصر من انها لا تريد الحرب ، وان النقراشي ممثلها في مؤتمر بلودان قال لزملائه ان بلاده لا تملك من القوة ما يؤهلها لكسب الحرب .. وما قيل عن العاهل السعودي الملك عبد العزيز آل سعود من انه ابرق الى ممثله في ذلك المؤتمر يقول ان بلاده ليست على استعداد لخوض الحرب ، وانه ينصح الفلسطينيين ان يكونوا اكثر تعقلا ، وان يقبلوا الامر الواقع . . وكان قد ذاع ايضا ان الملك عبد الله كان راغباً عن الحرب ، وان بينه وبـين اليهود اتفاقا سابقا يقضي بان يقتسم هو واليهود البلاد ، فيأخذ كل منهما شطرا (١) . . هذه الانباء كانت قد انتشرت بسرعة البرق .

وعندما اجتاحت الجيوش العربية الحدود الفلسطينية تلاشت ، وحل محلها الاغتباط والرجاء ، وراح اليهود يرتعشون جزعا : اذ كانت الدلائل كلهـا تشير الى ان العرب متحدون ، وانهم يسيرون وفق خطة عسكرية موحدة ، ولم يكن لديهـم (اي اليهود) يومئذ اكثر من ثمانية الاف مقاتل نظامي ، ليست لديهم مدافع ثقيلة ولم يكن لديهم من الاسلحة الخفيفة الا النذر اليسير (٢) ، لا ولا كانت لديهم مدافـع مضادة للطائرات ولا كانت لديهم طائرات تسبح في الجو ، فاجتمع عـلى اثر ذلك تسعة من كبار قادة الهاغانا في منزل بن غوريون بتل ابيب ، وراحوا يتشاورون ، ماذا يصنعون (٣) ؟ اذ كانت قواتهم موزعة في جميع انحاء فلسطين (٤) ، الامر الذي افقدها قوتها ، ولم يكن في

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا الاتفاق في ١٢ نيسان ١٩٤٨

(٢) هذا ما قاله دافيد بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل بعد وقف القتال في المدينة .

(٣) هذا ما قاله اسرائيل جاليلي ، احد القواد التسعة المذكورين ، في ذلك الحين . وقد نشرت اقواله جريدة (بالستين بوست) في عددها الصادر بتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٩ ، بمناسبة مرور سنة على دخول الجيوش العربية .

(٤) اكد لي الفريق كلوب باشا رئيس اركان حرب الجيش العربي الاردني ان عدد اليهود المسلحين والمدربين كان ، عند بدء القتال في شهر مايس ١٩٤٨ ، خمسة وستين الفاً . اقرا رسالته التي ارسلها اليّ بتاريخ ١٥ - ٢ - ١٩٥٥ رقم ق ٤٠ - ١ - ٦١٠

مقدورهم ان يجمعوها في اماكن معينة .

ولئن اشــترى اليهود مــن براغ ، عاصمــة تشيكوسلوفاكيا ، طائرات من نوع Messerschmit ، الا انهم لم يستطيعوا جلبها الى اسرائيل عن طريــق الجو ، اذ ان الحكومة اليونانية رفضت ان تسمح لهذه الطائرات بالنزول في مطاراتها ، والتزود بالبنزين منها ، وقد اضطر اليهود ان يرسلوا هذه الطائرات شقفاً متناثرة ، وفي طائرات من نوع داكوتا ، وكانت العملية شاقة بدرجة ان هذه الطائرات وصلت متأخرة ، ولم تتمكن من الاشتراك في قتال ضد المصريين الا بعد شهر ، وكان يدير الطائرات اليهودية يومئذ رجال من قوة الطيران البريطاني القدماء .

البريطانيون يحتفظون بميناء حيفا اسبوعين آخرين

●

بعد ان انسحب المندوب السامي من القدس ، وانسحب معه سائر البريطانيين الذين كانوا فيها وفي غيرها من مدن فلسطين ، ابحر فريق كبير منهم عائدين الى بلادهم .وبقي فريق آخر في ميناء حيفا ، ريــثما تتم عملية الجــلاء ، ومكث هؤلاء في الميناء اسبوعين كاملين من ١٥ ايار الى ٣٠ ايار ١٩٤٨ ، فقد اصدرت وزارة الدفاع البريطانية في اليوم السادس من شهر نيسان ١٩٤٨ (رقم ١٧٦ ٨١٦) امراً اجازت فيه بقــاء القوات البريطانية في ميناء حيفا مدة اسبوعين بعد انتهاء الانتداب (١٥ ايار ١٩٤٨) ، وعملا بهذا الامر اصدر اللفتنانت جنرال غوردن هولمس الكسندر ماكميلان G.H.A. Macmillan C.M.O. , D.S.O. ,M.C. بوصفه القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين بيانا تاريخه ١٥ ايار ١٩٤٨ ورقمــه ٧ ، وقد انتدب فيه قائدين من قواده لينوبا عنه في ادارة الميناء وادارة سكة حديد فلسطين ، ومنح كلا القائدين ، في هذا البيان ، السلطات اللازمة لان يعملا في الميناء والسكة الحديدية كما يشاءان . . . وان يصدرا من الاوامر والتعليمات ما يمكنهما من العمل بحرية وسهولة ... وان يفرضا ويجمعا من الضرائب والفوائد الجمركية والرسوم ما لا بد منه . . . وان ينفذا احكام القوانين والانظمة المتعلقة بالمرفأ والشؤون الجمركية ، والسكك الحديدية كلها او بعضها سواء في ذلك القوانين والانظمة القديمة او التي وضعت قبل انتهاء الانتداب ، كما يشاءان . . . وان يضعا يديهما ، ويحتفظان بما يشاءان من اموال منقولة وغير منقولة ، من اجل القيام بالمهام المتقدم ذكرها . . . وان ينتدبا من الموظفين واعضاء اللجان من يريدان لينوب عنهما في تنفيذ الاعمــال

المتقدم ذكرها ، شريطة ان يحصلا مقدما على موافقة القائد العام من اجل هذا الانتداب وفرض البيان عقوبات صارمة على كل من يخالف أمراً من الاوامر التي يصدرها القائدان ، قائد الميناء وقائد السكة الحديدية ، وهذه العقوبة عبارة عن السجن خمس سنوات او الغرامة (١) .

الجيش السوري قبل حرب فلسطين

تخلصت سوريا من الانتداب الافرنسي واستقلت عام ١٩٤٥ ، ولقد تكون الجيش السوري كجيش مستقل في ١ آب ١٩٤٥ ، أي قبل جلاء الافرنسيين عن البلاد بثمانية شهور (٢) وعندما جلا هؤلاء عن البلاد اقترح البريطانيون على السوريين (٣) ان تكون قواتهم مؤلفة من عشرة آلاف رجل يقومون بالاعمال التالية : —

العدد	
٦٥٠٠	درك وشرطة للامن الداخلي
١٥٠٠	حرس حدود وبادية
٢٠٠٠	احتياط

ولكن القائمين على الامر في سوريا لم يكترثوا يومئذ للامر كثيراً ، فقد كان لهم من مشاكلهم الداخلية ما يعيقهم عن التفكير في شؤون الجيش . لا بل ان اكثرهم كانوا يميلون للاعتقاد بانه ليس ثمة لزوم لتأسيس جيش قوي في البلاد . لان سوريا محاطة بدول صديقة وشعوب عربية لا تضمر لها الشر . وبامكانها ان تعيش في امان من طوارىء الحدثان كما هي الحال في سويسرا . واذا كان لا بد من وجود قوة تحفظ الامن في الداخل فلتكن هذه على غرار الشرطة أو الدرك في البلاد الاخرى .

حتى القلة من السوريين الذين قالوا يومئذ بتقوية الجيش فما كانوا يحسبون للعدو الخارجي حسابا بمقدار ما كانوا يحسبون للملك عبد الله ملك الاردن المجاور لهم وهو

(١) بعد هذا أقرا ما كتبناه عن الطائرات المصرية التي اسقطتها المدافع البريطانية المقاومة للطائرات تلك المدافع التي بقيت في منطقه ميناء حيفا : ولقد تم ذلك (اى حادث اسقاط الطائرات المصرية) في ٢٢ ايار ١٩٤٨ .

(٢) جلا الافرنسيون عن سوريا في ١٧ نيسان ١٩٤٦

(٣) تذكران البريطانيين وقفوا الى جانب السوريين في حربهم الاخيرة ضد الفرنسيين .

منهم وفيهم ، وكانت اسلحة الجيش السوري يومئذ (١٩٤٥) عبارة عن (١) : –

العـــدد	
٨٨٨٦	بندقية
٤٦٦	رشاشة (عيار ٥ و ٧)
٢٣٠	رشاش (عيار ٨)
١٦	مدفع ميدان (عيار ٧٥ ملم)
١٤	مدفع هاون (عيار ٣ بوصات)
١١	دبابة صغيرة
٣٢	مصفحة خفيفة

واشترى الجيش بعد ذلك مئتي رشيش افرنسي من غير عتاد . وكانت هذه الاسلحة فرنسية وبالية . وكان الجيش تحت رحمة الافرنسيين من حيث الذخيرة وقطع الغيار . ولم تكن الاعوام الثلاثة الـــتي انقضت بين ذلك التاريخ (اي التاريخ الذي تكون فيه الجيش) والتاريخ الذي دخل فيه فلسطين (١٩٤٥–١٩٤٨) كافية لتقويته وتجديـــد اسلحته . وكانت هناك عوامل داخلية جعلت الجيش يسير في غير الاتجاه الذي يرضاه له المخلصون . فقد اطلعت عـــلى تقرير رفعه رئيس الاركان الزعيم عبد الله عطفه الى وزارة الدفاع في ٢٥ ايار ١٩٤٦ رقم ٢٨٠ – س – ٣ اقترح فيه تقوية الجيش السوري وتزويده بالاسلحة الحديثة والاعتدة الكافية . فالاسلحة التي يملكها الجيش في الوقت الحاضر فرنسية وقديمـــة ، والذخيرة لا تكفي لاكثر من ساعة واحـــدة في القتال . والسيارات ووسائل النقل تكاد ، من حيث الكم والكيف ، لا تذكر ، وليس ثمة عدد كاف من الضباط يركن اليهم .

وجـــاء في التقرير نفسه (٢٥–٥ ٤٦ رقم ٢٨٠–س–٣ انه من الضروري جعـــل الجيوش العربية متقاربة في قواتها وانظمتها ، هذا اذا لم يكن في الامكـــان توحيدها ، واقترح ان تؤلف اركان حربية مختلطة من جيوش الدول العربية ووضعها تحت اشراف الجامعة العربية . وان تشيد مصانع لتموين هذه الجيوش بانواع موحـــدة من الاسلحة بحيث تستغني البلاد العربية عن مصانع الدول الاجنبية .

ولكن هذا التقرير ظل على ما يظهر حبرا عـــلى ورق . وظلت فكرة حياد سوريا مسيطرة على عقول القائمين على الامر الى ان ادلهم الجو في فلسطين ، وراحت السحب

(١) اطلعت على هذه الارقام في تقرير لرئاسة الاركان تاريخه ٢٥–١٠–١٩٤٥ رقم ١٦–٣

تنذر بنشوب الحرب فيها بين العرب واليهود . الامر الذي حدا بقادة الجيش الى التفكير جدياً في الوسائل المؤدية الى تقوية جيشهم ، فقد اطلعت على تقرير لرئيس اركان الجيش السوري تاريخه ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٧ ورقمه ٨٨٢٤ ـ٤ـس طلب فيه شراء مقادير من الاسلحة والالبسة والذخائر تكفي لتجهيز عشرة آلاف جندي ، والعمل على اعداد ما يكفي من تلك الاسلحة والمعدات لتجهيز عدد مماثل من الجنود على سبيل الاحتياط لعام ١٩٤٨ . ولكن يبدو ان ذلك التقرير لم ينل في بادىء الامر التقدير الذي يستحقه . فانا ما رأينا ولا سمعنا ان تدبيراً جدياً قد اتخذ من اجل تقوية الجيش وتدريب رجاله وتزويده بالسلاح ، ليس هذا فحسب ، فان الجنود الذين كانوا يؤلفون نواة الجيش ، راحوا يستخدمون في فتح الطرق (؟) ومكافحة الجراد (؟) وما الى ذلك من الاشغال التي تعيق الجنود عن اعمالهم العسكرية ، فقد اطلعت على تقرير رفعه رئيس الاركان الى وزارة الدفاع بعد تقريره الاول بشهر (٢٧ كانون الاول ١٩٤٧) وقد اشار فيه الى تلك العادة السيئة التي كانت متبعة في ذلك الحين من حيث تشغيل الجنود في الاعمال المدنية التي لا تمت لشؤون الدفاع بصلة ، وقد طلب الحد من استخدام الجيش في هذه الامور وزعم ان الحكومة اقرت هذا المبدأ وحدت من استخدام الجنود في الاعمال المدنية ، الا ان عدداً كبيراً من هولاء الجنود ظلوا يعملون في مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة :

يدلنا على هذا، الكشف التالي الذي عثرنا عليه في سجلات وزارة الدفاع . وقد جاء فيه ان قوة الجيش السوري كانت في اواخر عام ١٩٤٧ عبارة عن ٨٤٦١ رجلا موزعين كما يلي :

العدد	
١٠٦٦	في مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة
١٥٠٠	في حراسة الحدود .
٣٩٥	في الكلية العسكرية بحمص .
٥٥٠٠	في القطعات المحاربة (يدخل في هذا العدد سلاح الطيران ومستخدموه وهم عبارة عن اربعمئة رجل) .
٨٤٦١	

اضف الى ذلك ان عدداً كبيراً من هؤلاء الرجال القادرين على القتال الحقوا بجيش الانقاذ ، فقد اكد لي الزعيم عبد الله عطفه ، رئيس الاركان ان الجيش السوري زود جيش الانقاذ بستة واربعين ضابطاً من ضباطه وما ينوف عن الاربعمئة جندي ونقيب وبألفي بندقية وبمقادير كبيرة من الاعتدة والاسلحة الاخرى .

وعلى ذكر الاسلحة نقـول ، والشيء بالشيء يذكر ، ان اسلحة الجيش السوري كانت الى ذلك الحين ، قليلة ، ومعظم هذا القليل كان افرنسياً فاسداً ، ولقد ذهبت معظم الجهود التي بذلها القائمون على الامر من اجل اصلاح هذا الوضع وشراء الاسلحة الصالحة للقتال ، سدى ، ولهذا الفشل اسباب عديدة ، بعضها داخلي والبعض الاخر خارجي . فقد اطلعت على رسالة بعثت بها وزارة الخارجية السورية الى وزارة الدفاع بتاريخ ٤٧/١/١٤ رقم ٤٤/٢٣٢/١١ جاء فيها : ان شركة افرنسية عرضت ان تبيع الحكومة السورية بواسطة وزارة التسليح الفرنسية اعتدة عسكرية من نماذج مختلفة ، وان الامر صدر من فرنسا الى الملحق العسكري في بيروت كي يتصل بالحكومـة السورية ويعرض عليها الامر ، وتألفت لجنة من الضباط برئاسة المقدم رسمي القدسي كي تقوم بهذه المهمة وتبتاع الذخيرة اللازمة ، ولا يدري احد الى الآن لماذا كتب وزير الدفاع في ذيل المخابرات الرسمية التي تبودلت في هذا الموضوع يقول : (لا حاجة الى الذخيرة الافرنسية الآن) تاريخ هذا الشرح ١٩ / ١ / ١٩٤٧ ورقمه ٧٥ / س . وكان يتولى وزارة الدفاع يومئذ احمد الشرباتي .

وفي اوائل عام ١٩٤٨ انتدب اربعة من كبار ضباط في الجيش السوري (فوزي سلو ، عزيز عبد الكريم ، جمال فيصل ، فؤاد مردم) لشراء الاسلحة ، فسافر هؤلاء الى اوروبا وعبثاً حاولوا ان يشتروا ما يشاؤون ، اذ كان الحظر قد فرض على بيع الاسلحة مـن مجلس الامن ، وكان اليهود قد بذلوا كل ما في وسعهم من جهد لئلا يتمكن السوريون من الحصول على ما يبتغون ، والصفقة الوحيدة التي نجحوا في شرائها من تشيكوسلوفاكيا وقعت نتيجة تهاون احد الضباط الاربعة المتقـدم ذكرهم ، ألا وهو فـؤاد مردم ، بيد اليهود .

حدثني احمد الشرباتي الذي كان وزيراً للدفاع في ذلك الحين . ان قضية الاسلحة هذه بولغ في بحثها ، وان الحقيقة تتلخص فيما يلي : ـ

المال الذي استعمل لدفع ثمن الاسلحة مال الجامعة العربية ، والاتفاق قد تم عـلى يد الحكومة السورية باسم الجامعة ، والشركة التي تعهدت بيع الاسلحة هي شركـة (سكودا) التشيكوسلوفاكية بوساطة وكلائها بدمشق ، والاسلحة التي تم الاتفاق عـلى تسليمها عبارة عن عشرة آلاف بندقية وبضعة ملايين مـن الطلقات ، والضباط الذين انتدبوا لتسلم الاسلحة هم فوزي سلو وعزيز عبد الكريم وجمال فيصل وفـؤاد مردم . وان هؤلاء لم يقترفوا خيانة ، وان كانوا في الحقيقـة اخطأوا ؛ اذ ابطأوا في تسلم الاسلحة وشحنها : هذه البندقية طويلة ! .. وتلك قصيرة ! .. وهذه غير موافقة للشروط !

فقد استغرقت هذة العملية وقتاًطويلا. لا بل انه اطول من اللازم . من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم الى ان اعلنت الهدنة الاولى !

وأخيراً ارسل السلاح عبر نهر الدانوب وبحر الادرياتيك ، في باخرة تسمى (لونا) وعندما وصلت هذه الى نقطة قريبة من الساحل الجنوبي لايطاليا ضربتها بارجة حربية قيل انها بريطانية فشطرتها شطرين ، وما كادت تصل الى الشواطيء حتى غرقت .

ارسل فؤاد مردم الى مكان الغرق ليعمل على انقاذ الاسلحة ، فانقذها ، وكانت الاسلحة قد اصابها عطب بنسبة ٢٠ ٪

بعد انقاذ الاسلحة شحنها فؤاد مردم في مركب شراعي كبير الى مرفأ اللاذقيـة . وسافر هو الى الاسكندرية ، وهنا ضاع اثرها ، فلم يعلم احد ماذا اصابها ؟ هل اخذها اليهود ؟ ام غرقت مرة اخرى في البحر ؟ ام ماذا ؟ المهم في الامر انهـا لم تصل الى سوريا ... »

هذا ما قاله لي وزير الدفاع السوري وقد اتصل بي أن فؤاد مردم حوكم من لـدن محكمة سورية . غير انني لا ادري ماذا كان قرار المحكمة ، والرأي السائد في سوريا ان في الامر اهمالا ، وليس فيه خيانة والله اعلم بالصواب .

وهكذا فشل السوريون في الحصول على الاسلحة التي كانوا في اشد الحاجة اليهـا . ولم يكن لدى الجيش السوري ، عندما أمر باجتياز الحدود ، من العتاد والـذخيرة ما يكفي لاكثر من اسبوع واحد .

ولقد اصدر الشراباتي نفسه ، بوصفه وزيراً للدفاع ، امره بوقف التطوع حتى اشعار آخر ، وبتسريح العسكريين الذين قضوا في خدمة الجيش خمسة عشر عاما او يزيد واحالتهم على التقاعد (١) . والغريب في هذا الامر انه صدر في وقت كانت السحب فيه تتجمع في الافق وجميع الادلة تشير الى اقتراب العاصفة . فان الكتاب الـذي يحمل في طياتة هذا الامر والذي اطلعت عليه في اضبارات رئاسـة الاركان مؤرخ في ٢٥ آذار ١٩٤٨ (اى قبـل زحف الجيش السوري باربعين يوما) واما رقمة فهو ٤٩٩ — س .

ان الحقائق المتقدم ذكرها — قلة الرجال وقلة السلاح — هي الـتي جعلت رئيس الاركان الزعيم عطفه يقترح على ولاة الامور ان لا يزجوا بالجيش في قتـال كجيش نظامي بل يأمروا بدخول افراده المعركة كمتطوعين ، عـلى ان يزودوا بجميع الوسائل والامكانيات التي تملكها الحكومة من اسلحة ومعدات .

---

(١) اكدلي السيد مجد الدين الجابري ، نائب حلب فى مجلس النواب السوري ان الشراباتي ، عندما اصدر امره هذا ، كان يرمي الى التخلص من العناصر الغريبة التى لاتمت الى العروبة بصلة كالاكراد والاتراك ، والدروز ، وما الى ذلك .

ولكن اقتراحه هذا رفض ، اذ قررت الحكومة السورية ان يدخل الجيش السوري معركة فلسطين كجيش نظامي ، وان يجتاز الحدود في ١٥ أيار ١٩٤٨ .

هذا القرار صدر في اوائل شهر أيار ، وكان الجيش السوري يومئذ مؤلفاً من ثلاثه الوية (١) :

اللواء الاول : يقوده العقيد عبد الوهاب الحكيم

اللواء الثاني : يقوده العقيد محمد جميل البرهاني

اللواء الثالث : يقوده العقيد حسني الزعيم (وبعد قليل انتدب هذا مديراً عاماً للشرطة (٢) فحل محله ضابط آخر برتبة مقدم) .

اما اللواء الاول فقد كان اقوى هذه الالوية . وهو الذي خاض معركة سمخ .

واما اللواء الثاني فانه بعد ان كان معسكراً في حلب امر بالمرابطة على الحدود الجنوبية بين سوريا وفلسطين ، من بانياس الى سمخ .

وأما اللواء الثالث فقد كان في دير الزور والجزيرة ؛ وقد استعانوا بافراده وضباطه لتقوية اللوائين الاول والثاني .

هذا من حيث التنظم والتشكيل ، وأما من حيث العدد فقد كانت القوات السورية قبل بدء القتال (١٩٤٨) عبارة عن ثمانية آلاف رجل موزعين كما يلي :

العدد	
٢٠٠٠	لواء أمر بدخول المعركة فوراً .
٢٠٠٠	لواء أعد للقتال في فلسطين عند اللزوم .
٥٠٠	سوريون تطوعوا للقتال في جيش الانقاذ .
٣٥٠٠	سوريون أمروا بالمرابطة على الحدود والقيام بالخدمات الحكومية في مصالح الدولة ودواوينها المختلفة (ادارة وصحة واشغال وما الى ذلك)
٨٠٠٠	

ولم تكن الالوية المتقدم ذكرها لتؤلف وحدة عسكرية منظمة كما هي الحال في الجيوش الاخرى ، بل كان كل واحد منها مرتبطاً برئاسة الاركان في دمشق ، وكثيراً ما كانت تتلقى اوامرها من وزارة الدفاع رأساً دون ان يكون لرئاسة الاركان علم بذلك :

والاهم من هذا وذاك هو العتاد ، فقد حدثني اللواء المتقاعد عبد الله عطفه الذى كان عند بدء القتال رئيساً للاركان انه لم يكن لدي الجيش السوري عندما أمر باجتياز

(١) اللواء مؤلف من فوجين مشاة ، وفوج مدرعات ، وفوج مدفعية .

(٢) انه هو الذي دبّر الانقلاب السوري الاول ، وتولى رئاسة الجمهورية السورية بمدخلع شكري القوتلي واخراجه من سوريا . وكان ذلك في ٢٩ آذار ١٩٤٩

الحدود ، من العتاد والذخيرة ما يكفي لاكثر من اسبوع واحد ، وهذا ما حدا به لان يقترح على ولاة الامور اقتراحه الذي ذكرناه في الاسطر المتقدمة .

هذا ما عرفته عن الجيش السوري قبل ان يدخل معركة فلسطين ، وفي الفصل الثاني سأحدثك ايها القارىء الكريم عما فعله هذا الجيش بعد ان اجتاز الحدود ودخل المعركة والى ان يحين الوقت لهذا ارى من الفائدة ان اقص عليك فيما يلي نبذة عن تاريخ حياة رجل كان عند اعلان الحرب الفلسطينية يحمل اكبر رتبة عسكرية ويحتل ارفع مقام في الجيش الا وهو رئيس الاركان الزعيم عبد الله عطفه ، انه عبد الله بن محمد علي عطفه.

ولد في دمشق سنة ١٨٩٧ ، ولما اتم دراسته الابتدائية فيها ، ارسله ابوه الى استانبول فتخرج من مدرستها الحربية (١٩١٥) . وفي الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) اشترك في جبهة فلسطين . ثم التحق في عهد الملك فيصل (١٩٢٠) بالجيش العربي السوري فحارب في الرياق وفي ميسلون ، ولما احتل الجيش الفرنسي سوريا التحق بقطعاته الخاصة (١٩٢١) . وراح يتدرج في مراقي الرتب العسكرية حتى وصل الى رتبة كولونيل (زعيم) وأرسله الافرنسيون الى باريس حيث درس في مدرسة الاركان العليا ١٩٣٦ - ١٩٣٨ ونال منها شهادة ركن ، ثم عاد الى سوريا حيث تولى قيادة مختلف القطعات واعمال الاركان .

وفي الحرب الكونية الثانية عين قائداً لقوات الدفاع عن الشواطىء السورية ١٩٤٣.

وبعد حوادث ايار عام ١٩٤٥ عين قائداً عاماً للدرك السوري ثم رئيسا لاركان حرب الجيش السوري (١ آب ١٩٤٥) .

وعندما نشبت حرب فلسطين (١٥ / ٥ / ٤٨) كان رئيسا للاركان ، ولكنه احيل الى التقاعد بعد ذلك بستة ايام (٢١ ايار) ولما وقع الانقلاب السوري الاول وتولى الحكم حسني الزعيم ، وكان ذلك في ٢٩ آذار ١٩٤٩ ، اعيد الى الجيش (في ١٥ نيسان) ورفع الى رتبة لواء (جنرال) وبعد شهرين تولى وزارة الدفاع ٢٥ حزيران ١٩٤٩ وعلى عهده وقع الانقلاب الثاني وتولى الحكم سامي الحناوي وظل يتصرف بشؤون الوزارة حتى ٢٣ كانون الاول ١٩٤٩ وفي ذلك التاريخ احيل الى التقاعد.

يحمل اوسمة عديدة نذكر منها :

وسام الحرب من الاتراك العثمانيين ، وسام صليب الحرب من الالمان ، وسام الحرب من الفرنسيين . وسام الاستحقاق السوري (من الدرجة الممتازة) . وسام الاخلاص السوري . وسام الحرب السوري (من الدرجة الممتازة) . وسام الاستحقاق اللبناني . وسام الارز اللبناني . الوشاح الاكبر من نيشان النيل المصري .

الجيش السوري يجتاز الحدود الفلسطينية

في ١٣ أيار ١٩٤٨ راح الجيش السوري يزحف نحو (سمخ) . وقبل ان تغيب شمس اليوم التالي ١٤ ايار كان قد اقترب منها ، وحط رحاله على المرتفعات المطلة عليها وعلى (الحمة) وفي ١٥ ايار اجتاز الحدود .

الامر بزحف الجيش السوري اصدرته القيادة العامة في عمان : اصدرته عن طريق رئاسة الاركان في الشام وكان ذلك في ١٥ ايار . وهذه احالته في اليوم نفسه (١٥/٥/٤٨ رقم ١٠٢٩ / ٣) الى قيادة اللواء الاول الذي كان يرابط في قطاع الحمة ، فاجتاز اللواء المذكور من فوره الحدود .

وبعد الظهر دخل مع اليهود في قتال عنيف . واستمر القتال حتى اليوم الثامن عشر : وفي ذلك اليوم احتل سمخ . وباحتلالها سقطت في يده مستعمرتا (مشمار هاغولان) و (مسعدة) ولكنه (اي الجيش السوري) فشل في محاولاته التي قام بها في ٢١ ايار لاحتلال (دجانيا) والمستعمرات اليهودية الاخرى، ولهذا الفشل اسباب نذكرها فيما يلي :

عندما صدر قرار التقسيم ونشب القتال في فلسطين (١٩٤٧) لم يكن الجيش السوري على استعداد لخوض غمار الحرب ، هذا رغم ما كان المؤتمرون من رجال الحكم في البلاد العربية قد قرروه في بلودان ١٩٤٦ من ان الحرب لا محالة قادمة ، وان على الجيوش العربية ان تتأهب لنجدة فلسطين ، فقد احتفظ رجال السياسة في سوريا بذلك القرار السري ، ولم يذكروا شيئاً عنه لرجال الجيش وقادته ، حتى ان معظم هؤلاء القادة ما كانوا يعلمون انهم سيدعون للقتال ، وما علموا بهذا الا في اواخر شهر نيسان ١٩٤٨ وقبل بدء القتال ببضعة ايام ، ولما صدر الامر اليهم بالزحف لم يكونوا على استعداد لمواجهة الوضع .

واليك ما قاله لي العقيد عبد الوهاب بك الحكيم (١) الذي قاد الجيش السوري في

---

(١) ولد بدمشق عام ١٩٠١ م . واتم دراسته الاولية في مدارسها . ثم سافر الى الاستانة . حيث تخرج من مدارسها العسكرية عام ١٩١٦ . اشترك في معارك سيناء أثناء الحرب الكونية الاولى (١٩١٤) واسره الانكليز في معركة تل رفح . ثم التحق بالثورة العربية التي اوقد نارها المغفور له الملك حسين ، وكان مع الامير فيصل عندما دخل هذا دمشق . وانخرط في الجيش وظل يعمل فيه اثناء الاحتلال الافرنسي . ودخل مدرسة الاركان الافرنسية بباريس (١٩٣٨) فسمي ركنا (١٩٣٩) . وقبل جلاء الافرنسيين عن الشام فر من القطعات الافرنسية والتحق بالقطعات الوطنية ١٩٤٥ . وصار رئيسا للاركان الثاني في الجيش السوري . وتقلب في الرتب حتى اصبح عقيدا . وشغل عددا كبيرا من المناصب في الجيش . فقد كان قائدا لقوات البادية ، وقائدا للواء الاول ولحامية دمشق ، ومديرا للتجنيد العام ، ومديرا للكلية العسكرية ، وملحقا عسكريا في انقرة . وعهد اليه بقيادة الرتل السوري الذي اجتاز حدود فلسطين .

معارك سمخ ودجانيا في هذا الصدد ، قال :

« كنت عند صدور قرار التقسيم ، قائداً لحامية دمشق ، وكان ولاة الامور قد عهدوا الي بقيادة اللواء الاول المرابط فيها ، وما كنت اعلم انني ساكلف بالزحف نحو فلسطين ، وما علمت بذلك الا في اليوم الواحد والعشرين من شهر نيسان ، اي قبل المعركة التي خضتها بثلاثة اسابيع ، اذ جاءني يومئذ وزير الدفاع (١) واخبرني ان الحرب قادمة ، وان علي ان اهيء لوائي ، وان اكون على استعداد لدخول فلسطين في التاريخ الذي سيحدد لي فيما بعد .

فرحت اعد للامر عدته . وكان لوائي المؤلف من الفي رجل (٢) مبعثراً هنا وهناك ولم يكن مسلحا تسليحاً كاملا ، لا ، ولا كان مجهزاً تجهيزا كافيا : فوجان (٣) من المشاة وفوج من المدرعات . وآخر من المدافع . ولم تكن هذه الافواج مدربة تدريباً كافياً . بل كانت في حاجة للتدريب مدة لاتقل عن ثلاثة شهور لتصبح صالحة للقتال . ولكن الامر صدر بوجوب تدريبها وتهيئتها للقتال في بحر اسبوعين . فانصعت للامر . وتمكنت من حشد اللواء كله في (قطنا) . وكان ذلك في اليوم الاول من شهر ايار .

ولقد اتصلت في اليوم نفسه وبناء على الامر الذي تلقيته من وزير الدفاع ، باسماعيل صفوت باشا قائد قوات تحرير فلسطين فامرني هذا ان ادخل فلسطين في تمام الساعة الواحدة من اليوم الخامس عشر من شهر ايار ١٩٤٨ . ونص الامر الخطي الذي تلقيته في هذا الصدد على ان ادخلها من ناحية بنت جبيل وصفد.

فرحنا انا وزملائي الضباط ، نتدارس الموقف ونرسم الخطط فقد كان لدينا يومئذ اثنا عشر مدفعاً من عيار ٧٥ ومدفعان من عيار ١٠٥ واربعة مدافع هاون من عيار ٧١ ميلمتراً وستة من عيار ٦٠ ملميتراً . واما من المدرعات فقد كان لدينا ثلاث سرايا (٤) وهي انكليزية من النوع المعروف ب (مورمون) وسرية (٥) دبابات افرنسية من النوع

---

(١) احمد الشراباتي : خريج مدرسة للطيران في الولايات المتحدة وكان قبل الحرب الفلسطينية يشتغل بالتجارة .

(٢) واما الجيش السوري في البلاد كلها فقد كان عبارة عن ثلاثة الوية مجموع رجالها سبعة الاف مقاتل .

(٣) الفوج مؤلف من ٤٠٠ مقاتل .

(٤) السرية عبارة عن اثني عشرة مدرعة

(٥) السرية عبارة عن عشر دبابات

المعروف بـ (رينو) وهي من مخلفات الجيش الافرنسي . وكذلك قل عن بنادق المشاة وعن جميع الاسلحة الاخرى فانها افرنسية وكان معنا اثنا عشر رشاشاً كبيراً وسبعة وعشرون رشاشا صغيراً .

ولقد امرت بارسال هذه المدافع والمدرعات والدبابات الى حيث اريد . بعضهـا ارسلته عن طريق بيروت ، والبعض الآخر عن طريق مرجعيون . على ان يتم تمركزها في المواضع التي عينتها لها قبل وصول المشاة . وقد تم ذلك في ١٢ ايار (١) . وفي صباح اليوم التالي (اي في ١٣ ايار) اخبرني وزير الدفاع ان الخطة قد تغيرت ، وان على الجيش السوري ان يدخل فلسطين عن طريق سمخ ، وان الامر بهذا التغيير قد اتى من عمان (٢) وهو يقضي باحتلال سمخ والمستعمرات المجاورة لها .

فانصعت للامر ، رغم الصعاب التي تكتنف الخطة الجديدة . اذ كانت القطعـات الالية الثقيلة قد وصلت الى مراكزها . فوقفت على مقربة من الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية ولم يكن من السهل ارجاعها عن طريق دمشق بـل ارجعناها عن طريق مرجعيون الى الحمة فسمخ . ولم يبق بيننا وبين الميعاد المحدد لاجتياز الحدود (١٥ ايار) سوى يومين اضف الى ذلك ان القطاع الجديد الذي امرنا بالزحف نحوه الا وهو قطاع سمخ ، كان مجهولا لدينا . ولم يكن لدى المكتب الثاني للاركان ، وهو المسؤول عن الاستخبارات اية معلومات عن ذلك القطاع ، وكان علينا ان نجتاز سهلا مكشوفاً للعدو المتخفي في التلال المقابلة وكان ذلك القطاع بعيداً عن مراكز التموين .

ومع ذلك فقد غادرنا انا والمشاة دمشق في ١٣ ايـار قاصدين سمخ ، وامرت في الوقت نفسه (اي في ١٣ ايار) القطعات الالية ان تلحق بنا عند (فيق) على مقربة من الحمة وما كادت شمس اليوم التالي (١٤ ايار) تغيب حتى كنا قد اقتربنا من الحمة وحططنا رحلنا على المرتفعات المطلة على سمخ . واما القطعات الالية فقد اتت عن طريق مرجعيون ـ المطلة ـ بانياس الى القنطرة ، ف (فيق) . وكان بامكان اليهود المرابطين في الحولة ان يروا هذه القطعات وهي تمر وان يحصروها بالواحدة . وصل معظمها في الساعة الثامنة

---

(١) اكد لي رئيس اركان الجيش السوري عبد الله عطفه ، أنه في هـذا اليوم (١٢ ايار) وفيه فقط علم ان الجيوش العربية قررت دخول فلسطين في ١٥ ايار . وفيه ايضاً علم بتأليف قيادة عامة في عمان . وفيه وصل الى دمشق اللواء الركن نور الدين محمود باشا العراقي الذي انتدب معاوناً للقائد العام الملك عبد الله . فاصدر (أي رئيس الاركان السوري) امره الى العقيد عبد الوهاب الحكيم كي يضع نفسه ولواءه تحت تصرف القيادة العامة .

(٢) كانت الدول العربية قد اتفقت فعهدت بالقيادة العامة الى الملك عبد الله .

من صباح اليوم الخامس عشر ، وبعضها (اربع دبابات) لم يصل بسبب عطل طرأ عليه وهكذا كان موقفنا في اليوم المحدد للهجوم: رتل قليل العدد.. ناقص الادوات.. ضعيف التدريب .. جاهل كل الجهل بطبيعة الاراضي التي سيخوض غمار الحرب فيها ، وبسكانها .. وعددهم .. واسلحتهم.. وتحصيناتهم .. يقابل ذلك عدد من المستعمرات اليهودية (مشمار هاغولان . مسعدة . دجانيا آ دجانيا ب) وكانت هذه محصنة ومسلحة تسليحاً كاملا . اضف الى ذلك ان اليهود كانوا عند بدء القتال قد احتلوا بعض المواضع العربية (السمره ،سمخ) وحصنوها . وكان بين الموضع الواحد من هذه المواضع والآخر وبين كل مستعمرة واخرى طريق مستورة عمقها ثلاثة امتار يستعملونها لحركاتهم ونقل قواتهم من مكان الى مكان دون ان نراهم .

اجتزنا الحدود الفلسطينية في الساعة الواحدة من صباح اليوم الخامس عشر من ايار ولم تكن القطعات الثقيلة قد وصلت بعد . وشرعنا فور اجتياز الحدود نناوش اليهود مستطلعين قواتهم واماكن تمركزهم . ولما وصلت القطعات الثقيلة وكان الوقت عصراً رحنا نقصف مواضعهم بمدافعنا . ولم يكن لدينا من العتاد اكثر من مئة قنبلة لكل مدفع ثقيل ، والفي طلقة لكل مدفع رشاش .

واستمرت المناوشات بيننا وبين اليهود اربعة ايام: من اليوم الخامس عشر حتى الثامن عشر من شهر ايار . في صباح ١٥ ايار احتل اللواء السوري المكان الذي كان البريطانيون يعسكرون فيه ويعرف بـ (الكمب) ثم احتل المحجر (الكرانتينا) .

وفي صباح ١٦ ايار اكتفى بعملية الاستكشاف فرأى انه لا يملك من القوة ما يكفي لاحتلال سمح . اشترك في هذه المناوشات فوجان: يقود الفوج الاول منها الرئيس امير شلاش بن الامير رمضان شلاش من عشيرة بوسرايا بالجزيرة ، والثاني يقوده الرئيس حسن غنام، وكل واحد من هذين الفوجين مؤلف من ثلاث سرايا والسرية مؤلفة من مئة وستين شخصاً فيكون مجموع الرجال الذين اشتركوا في المناوشات خلال الايام الاربعة المتقدم ذكرها ٩٦٠ رجلا ثمانمائة منهم مسلحون . والباقون غير مسلحين .

(هذا ما قاله العقيد عبد الوهاب الحكيم واما رئيس الاركان عبد الله عطفه فقد أكد لي ان الرتل السوري الذي اشترك في معركة سمخ كان قوامه ثلاثة آلاف جندي ، وكان معه بطارية (اربعة مدافع) من عيار ٧٥ ملم ومدفعان من عيار ١٠٥ ، وقال ان هذه المدافع استعارها الجيش السوري من لبنان) .

«وكان لنا اثنتا عشرة طائرةمن النوع الاميركي المعروف بـ(هاربرت) .وقامت هذه بخدمات ممتازة خلال تلك الفترة اذ كانت تدعم الرتل السوري بقذائفها.وقد استعملت للقصف رغم انها ما كانت لتنفع في الحالات الاعتيادية ، الا للتدريب. انها وان كانت تربض في مطار دمشق فقد كان باستطاعتها ان تهب للعمل وتحلق في جو المعركة في بحر بضع دقائق

هذا ما قاله لي العقيد عبد الوهاب الحكيم .

واما رئيس الاركان الزعيم عبد الله عطفه فقد قال لي ما يلي :

ان مقاومة اليهود في ١٦ ايار كانت عنيفة بدرجة جعلت قائد اللواء الاول يبرق الى رؤسائه طالباً انجاده.وقد اطلعني على برقية ارسلها هذا القائد اليه (اي الى رئيس الاركان) والى وزير الدفاع ، تاريخها في ١٧ ايار ورقمها ٦ ، يقول فيها :

« بلغت تلفياتنا اثناء عمليات ١٦ ايـــار خمسة قتلى وثلاثين جريحاً منهم ضابطان . لا يمكن القيام بان هجوم قبل قدوم الجيش العراقي ليحمي جناحي الايسر.

واما اليهود فيقولون ان السوريين كانوا اقوى من اليهود عدةً وعدداً ، وانه لم يكن لديهم سوى سلاح خفيف من البنادق والرشاشات والمدافع المضادة الخفيفة ؛ بينما كان لدي السوريين مدافع من عيار ٣٧ ملمتراً تحملها الدبابات السورية وبطاريات ميـدان عبارة عن ٧٥ ملمتراً .

وهذا ما قاله لي رئيس الاركان ،اذ قال : ما كان لليهود في معركة سمخ ، عندبدئها، مصفحات ولا مدافع . وكان الجيش السوري يومئذ متفوقاً من هذه الناحية . ولكن اوار المعركة ما كاد يحتدم حتى راحت النجدات تنهال على اليهود ففاجأوا السوريين باسلحة لم تكن لديهم من قبل . وكان منها مدافـــع من طراز هاون . وماكان اليهود لتمكنوا من ارسال هذه النجدات لو اسرع اللواء الاول في احتلال سمخ ، ولم يتأخر من احتلالها ستة ايام .

«ولكني بالرغم من ذلك ، لم استطع مهاجمة سمخ . اذ كنت في حاجة لفوج ثالث . ولما اعطيت ما طلبت ، واتاني (في ١٨ ايار) فوج ثالث من المشاة ، وكان هذا مؤلفاً من اربعمئة مقاتل واربعة مدافع ، قمت بهجوم كاسح على سمخ . وكانت الساعة تدق الرابعة صباحاً ، وما كادت هذه تدق الثامنة حتى كان الرتل الذي اقوده قد احتل سمخ احتلها باقسامها الثلاث : المحطة ، وعمارة البوليس ، والمدينة نفسها . وبسقوط سمخ سقطت (في ٢٠ - ٥) مستعمرتا (مشمارهاغولان ومسعدة) . الواقعتين الى الشرق من نهر اليرموك ، فاحتلها الجيش . في اليوم التالي ١٩ ايار .

«ولم يفقد الجيش السوري في هذه المعركة سوى قتيل واحد وثلاثة عشر جريحـاً . وأما قتلى اليهود فكانوا كثيرين ، جمعنا منهم ١١٣ جثة ، واسرنا عشرين يهودياً وغنمنا وحدة صحية كاملة ، وبعض البنادق والاعتدة والسيارات ، وعدداً كبيراً من المدافـع المعروفة ب (بازوكا) .

ومن الانصاف أن اعترف ان الجيش العراقي الذي كان يرابط في جسر المجامع وعلى مسافة ميلين منا الى اليسار قد ساعدنا في هذه المعركة ، وان كان قد قصر في مساعدتنا عندماهاجمنا بعد ذلك بيومين المستعمرتين اليهودتين المعروفتين (دجانيا) (أ) ودجانيا (ب) كما سأذكر ذلك بعد قليل .

ولقـد زارنا ، اثر سقوط سمخ في ٢٠ ايار رئيس الجمهورية شكري القوتلي . وكان يرافقه وزير الدفاع احمد الشراباتي والجنرال طه الهاشمي ، فشكرني ، ولكنه في في الوقت نفسه ، لامني ، لانني استعملت في الايام الاربعة المنصرمة اربعمئة وخمسين قنبلة من قنابل المدفعية ، قائلا انه يجب علي ان لا اسرف في استعمال القنابل التي بيدي وان اقسم هذه القنابل بحيث تكفيني لستة شهور ، اذ ان الحرب طويلة المـدى وان معادنا لقليل ...

هذا ما حدثني به العقيد عبد الوهاب بك الحكيم ، الذي قاد الرتـل السوري في معركة سمخ ، وقد حدثني ايضاً عن المعارك التي خاض غمارها من اجل الاستيلاء على مستعمرتي دجانيا (أ) ودجانيا (ب) . فقال :

قررت بعد احتلال سمخ ان اشن غارة على مستعمرتي دجانيا (أ) و (ب) ، وطلبت الى الجيش العراقي المرابط على يساري عند جسر المجامع ان يسندني بمدافعه وطائراته ، وكانت لديه مقادير كافية من المدافع الثقيلة والطائرات . وهو في هذا القطاع عبارة عن كتيبتين مؤلفتين من الف وخمسمئة مقاتل .

واصدرت امري بالهجوم في الساعة الرابعة من صباح اليوم الواحد والعشرين من شهر ايار . وفي الوقت المضروب بدأ الهجوم . ولكم كان استغرابي شديداً عندما رأيت ان الجيش العراقي لم يطلق طلقة واحدة لا من مدافعه ولا من طائراته ، ليسند المهاجمين لا ، ولا تقدم جندي واحد من جنوده ليرى ما الذي وقع! ليس هذا فسحسب . فانه اي الجيش العراقي ، انسحب والمعركة قائمة بيننا وبين اليهود ، من مراكزه التي كان يحتلها في قطاع جسر المجامع ، انسحب منها ليلا ولم يخبرنا ، وبانسحابه هذا ترك جناحنا الايسر مكشوفا للعدو . وكان هذا قد اتى بعدد من مدافع الهاون ، والصواريخ ، واتته نجـدة كبيرة من المشاة من فرق الصاعقة المعروفين بـ (البالماخ) فراح يضرب مواضعنا وامطرها

بوابل من النيران . فانسحبنا الى الوراء . الى المرتفعات المطلــة على سمخ . وا خلينا في الوقت نفسه (اي في ٢١ـ ٥) سمخ ومستعمرتي مشمار هاغولان و مسعدة .

وأخبرت وزارة الدفاع بما وقع ، فاتاني المقدم محمود الهندي (١) يلومني لمهاجمتي دجانيا ، قائلا ان الاوامر قد صدرت لجميع الجيوش من عمان كي لا تقوم باية حركة عسكرية في ميادين القتال الى اشعار آخر (٢) .

وهكذا توقف الجيش عن القتال في جبهة سمخ وراح يحتشد في قطاع (جسر بنات يعقوب) .

وامرت بالعودة الى دمشق ، حيث عهد الي بمهمة بعيدة عن جبهة القتال .

وقامت بعدئذ ، في قطاع جسر بنات يعقوب معركة بين السوريين واليهود . وكان الجيش السوري قد تقوى بانضمام اللواء الثاني اليه وكان هــذا قبل ذلك مرابطاً في حلب فاحتل مستعمرة (كعوش) اليهودية الواقعة على بعد ميل واحد ، من جسر بنات يعقوب والذي احتلها هو المقدم سامي الحناوي ، قائد اللواء الثاني وكان هذا يأتمر بأوامر رئيسه حسني الزعيم الذي تولى رياسة الاركان بعد عبد الله عطفه .

ويعزو بعض الخبراء العسكريين من الاردنيين فشل الجيش السوري في معركــة دجانيا(أ) ودجانيا (ب) الى الاخطاء التي اقترفها قادته يومئذ ، وعن غير قصد ، مــن الناحية الفنية ، فان (لائحة التوقيت) التي وضعوها لم تكن من التنظيم بحيث تضمن قصف المدافع وسير المدرعات وزحف المشاة في اوقاتها المضروبة .. ومــا كان هناك اتصال متين بين القطعات المختلفة وكما ان المدفعية لم تقم بالمساندة في الوقت اللازم، فان ضابط المشاة الذي كان في الميدان فتح اللاسلكي وراح يطلب من رجال المدفعية ان يقصفوا مكاناً معيناً والتقط اليهود هذه الاشارة ، فراحوا يصدرون الامر ـ كأنهم سوريون ـ الى اولئك الرجال (اي المدفعين السوريين) ذا كرين اهدافاً اخرى ، وكانت هــذه هي المواضع التي وصل اليها المشاة السوريون وكانت تقصف عندها المدرعات السورية وضربت هذه بمدافع سورية مع ان قواعد القتال تقض بالا يستعمل اللاسلكي في مثل

---

(١) ضابط الارتباط بين الجيش السوري والقيادة العامة بعمان .

(٢) هــذا ماقاله لي قائد اللواء . واما رئيس الاركان فقد قال لي ان الامر الــذي صدر من القيادة في عمان يقضي باحتــلال سمخ والمستعمرات المجــاورة لها وتأسيس زقبة جسر الى الغرب من الشريعة . ويضيف رئيس الاركان الى ذلك قوله ان العقيد عبد الوهاب الحكيم اخطأ لانه لم يحصن سمخ عند احتلاله لها في ٢١ـ٥ ولو حصنها لما وقعت بيد اليهود .

واكدلي الخبراء العسكريون ان اليهود لو تعقبوا الجيش السوري بعد هزيمة سمخ لاحتلوا دمشق.

هذه الحالات ::: وقتل في هذه المعركة من السوريين خلق كثير :

حدثني الزعيم عبد الله عطفه رئيس اركـان الجيش السوري في ذلك الحين ان خسائر السوريين عندانسحابهم من مستعمرتي دجانيا وسمخ كانت زهاء ثلاثين شهيداًومئة وعشرين جريحاً.

يقول اليهود عن معركة سمخ

١ -- بينما كانت الطائرات السورية تضرب المستعمرات اليهودية القائمـة في وادي الاردن ، تسندها الطائرات العراقية راحت الطائرات اليهودية تقصف قرية (حارب) السورية ، ومعسكر الجيش السوري في تل الاقصر وحشوده في الحمة وفي ضواحي امقيس.

ويقولون :

٢ ـ ان الجيش السوري استخدم في اليوم الذي احتل فيه سمخ خمس عشرة مصفحة وعشر دبابات وحاملة برن وانه اقتصر في هجومه على الدبابات تساندها المدافع من بعيد بينما كمن المشاة في جهات الكرنتينا وعنـد مفترق الطريق جنوبي السمخ . وفي الساعـة السادسة من صباح ١٨ ايار شرع اليهود في الانسحاب من المدينة تاركين وراءهم عدداً من القتلى منهم ثلاثة من القواد احدهم قائد الحامية والثاني قائد النجدة وقيل ان هـذا عندما جرح انتحر واعطب مدفعاً من المدافع اليهودية المضاد للدبـابات ولم يبق بيـد اليهود سوى عدد قليل من مدافع المعروفة بـ (برن) (وشاتو) ومدفع (بيزا) الرشاش،»وقد ذقنا الاهوال في مرابضنا . فقد كانت الابنية من حولنا تتهاوى الواحـد اثر الاخر ، واستحكاماتنا تدمر الواحد تلو الآخر . وكان العدو يستعمل انواعاً من القنابل المدمرة والحارقة فتنفذ من جدار الاستحكام وتنفجر في داخله فتدمره مع حاميته .

اضف الى ذلك ان الجيش اليهودي لم يكن قد استعمل الى ذلك الحين، المدفعية وكان يفتقر اليها ، ولم يكن السلاح الجوي اليهودي يستحق الذكر في ذلك الحين .

ويقولون :

٣ ـ ان الجيش السوري كان يمطر الامكنة التي يمكن ان تأتي النجدات اليهودية منها الى سمخ بوابل من قذائفه، كالفراغ الواقع بين سمخ ودجانيا، والفراغ الواقع بين سمخ ومستعمرات فيكيم ومسعدة وشعار هاجولان ، وهذا ما جعل الانسحاب من سمخ عسيراً وهو الذي جعلهم يفقدون عدداً كبيراً من رجالهم عندما انسحبوا . ولاسيما لان الانسحاب جرى دون تغطية ، ومن استطاع النجاة لا يستطيع ان يذكر كيف نجا . فقد لجأ عدد كبير من الجرحى الى ركام شجر الصبر ، وانطرح عددا آخر بين الاعشاب ، ومات معظمهم من النزيف . والذين كتبت لهم الحياة فروا في اتجاه (دجانيا) ولما سقطت سمخ بيد السوريين

راحت العائلات اليهودية ترحل عن المستعمرات القائمة في وادي الاردن . وراح شباب اليهود يتنادون للدفاع عن المستعمرات .

ويقول اليهودعن معركه دجانيا

٤ _ ان الذين ركضوا لنجدة مستعمرتي دجانيا (أ) ودجانيا (ب) ينتمون الى السرايا التي اشتركت في احتلال صفد ، وانهم من المتطوعين العراقيين ، وان الهجوم السوري على هاتين المستعمرتين بدأ في صبيحة اليوم العشرين من ايار . وان السوريين اقتربوا الى مسافة مئتي متر من دجانيا (ب) وان هذا الهجوم الفولاذي ابتلع عدداً كبيراً جداً من الشبان اليهود .

ويقول اليهود عن معركة دجانيا(أ) :

انهم استعملوا في هذه المعركة عدداً غير قليل من مدافع المورتر ، وانهم تمكنوا من تدمير احدى المصفحات السورية التي كانت تسير صوب دجانيا بمحاذاة شاطىء بحيرة طبريا ، كما دمروا مصفحة اخرى عندما وصلت هذه الى بوابة المستعمرة وراحت تقتحم سياج الامان . واحرقوا ثالثة من طراز (رينو) بعد ان نجح رجالها من الوصول الى قلب المستعمرة ووقفت امام حديقة (غان موليا) ، ورغم الحريق ظل هؤلاء الرجال يطلقون النار على سكـــان المستعمرة ، الى ان تغلب عليهم اللهب فخروا صرعي ، وان اليهود استعملوا من اجل ذلك القنابل المعروفة بـ (مولوتوف) وكانت هذه الدبابة الثالثة تحمل مدفعاً من عيار ٣٨ ملمتراً ومدفعاً رشاشاً من طراز (شاتو) . وطرأ عطل على مصفحتين اخريين وقعت احداهما غنيمة بيد اليهود . الامر الذي جعل السوريين يبطئون في تقدمهم بالمشاة ، وان ظلوا يقذفون الاستحكامات اليهودية بقذائفهم من بطاريات الميدان والرشاشات الثقيلة التي نصبوها على سطح عمارة البوليس في سمخ . فكان اليهود يردون عليها من مدافع المورتر من عيار ٣ بوصات .

واما عن معركة دجانيا (ب) فيقول اليهود :

ان الدبابات السورية كانت تقذف حممها من مسافة لا تزيد على مئتي متر ، وان المشاة السوريين كانوا يتحركون في اثر الدبابات ، تساندهم بطاريات الميدان ومدافع الهوشكس من سطح عمارة البوليس في سمخ . ومن رشاشات البراوننغ . وكثيراً ما كان السوريون يصيبون الهدف في رميهم ، حتى ان احدى القذائف السورية اخترقت احد الاستحكامات اليهودية وانفجرت وقضت على عدد من ضباط الحامية كانوا في داخلـه ، وكـانت الاصابات بين اليهود في المرحلة الاولى من الهجوم كثيرة للغاية وظل الحال على هـذا المنوال الى ان اتت اليهود نجدات جديدة وكانت هذه مسلحة بعدد من المدافع القوسية

(المورتر) فتغير وجه القتال، وعبثاً حاول السوريون مرتين اقتحام المستعمرة في ذلك النهار .

وعندما وصل الى الجبهة اليهودية بعد ظهر ذلك اليوم ٢٠/٥/٤٨ ولاول مرة في تاريخ القتال بطاريات من مدافع الميدان ، وراحت هذه تقصف المراكز السورية ،ادرك السوريون انه لا فائدة ترجى من مواصلة القتال هناك فانسحبوا .

وفي اليوم التالي ٢١-٥-٤٧ بدأت معركة سمخ الثانية فانسحب السوريون منهــا واحتلها اليهود .

الجيش اللبناني

●

في ١٥ ايار زحف الجيش اللبناني كما زحف غيره من الجيوش العربية ولما وصل الى حدود فلسطين وقف عندها واتخذ لنفسه خطة الدفاع . وكان طول هذه الحدود عبارة عن مئة وعشرة كيلو مترات وكان يقوده الجنرال الامير فؤاد شهاب وكان عدد القوات التي رابطت عند الحدود ثلاثة آلاف . هذا من اصل خمسة آلاف رجل هم الجيش كله . وظل الباقون يصونون الامن في داخل البلاد . وفي اليوم الســـادس من شهر حزيران سنة ١٩٤٨ احتل الفوج الثالث قرية (المالكية) . احتلها قاصداً تقوية خط الدفاع تساعده قوة من المدافع واخرى من المصفحات . وكان يقوده المقدم جميل الحسامي . احتلها بعد معركة دامية ، اشتبك فيها الفريقان بالسلاح الابيض وتراشقا القنابل اليدوية . وحضر احتلالها فضلا عن قائد الجيش الجنرال الامير فؤاد شهاب ؛ وكل من الامير مجيد ارسلان وزير الدفاع ، وفوزي القاوقجي من رجال جيش الانقاذ .

وسارت قطعات من جيش الانقاذ بعد احتلال المالكية صوب الناصرة ، يقودها فوزي القاوقجي . ولكنها انكسرت فارتدت على أعقابها ، وتعقبها اليهود ؛ فاجتازوا الحدود ، وتغلغلوا فيها بضعة كيلومترات محتلين بعض القرى . ولكنهم عادوا فخرجوا منها بطرق ديبلوماسية .

ويقول المطلعون على بواطن الامور ان الامير شهاب كان يعارض في هذه الحركة ، لا ، بل انه كان يصارح القوم بأن الجيش اللبناني لا يستطيع القتال . وانه اذا كان لا بد لهذا الجيش من الاشتراك في حرب منظمة فان عليه ان يتخذ لنفسه خطة الدفاع ،لا الهجوم .

واما رياض الصلح رئيس الوزراء ، فانه كان يقول : لا بد من الهجوم . ولما احتدم

الجدل بين الاثنين احتكما الى رئيسها الاعلى وهو رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري. فوقف هذا الى جانب قائده ، وراح الجيش يقف عند الحدود مدافعاً .

وكان الجيش اللبناني موفور السلاح والذخيرة . وكان لديه منها الشيء الكثير من بقايا الجيش الافرنسي .

ولما لم يكن في حاجة لها كلها فقد اعار جزءاً منها للجيش السوري . وهــذا الجزء عبارة عن : اربعة مدافع من عيار ١٠٥ من مدافع الميدان واعتدتها . وكان معها اربعمئة قذيفة وعشرون جندياً واثنان من صف الضباط . وبقيت مع السوريين ثلاثة شهور .

ذلك لان اليهود كانوا اكثر تحرشاً بالسوريين منهم باللبنانيين . ولقد تطوع هؤلاء (أي السوريون) وارسلوا عدداً من جنودهم المتطوعين ، فراحوا يرابطون في القطاع الاوسط على مقربة من المالكية . وأما هو (اي الجيش اللبنــاني) فقد ظل مرابطاً في قرية المالكية وضواحيها .

واستغرب الناس عندما سمعوا انه كان بين رجال المدفعية اللبنانية عدد من الضباط اليهود . وراحوا يتساءلون كيف يجوز ذلك ؟ واليهودي يهودي اينما حل وحيثما سار . وراح قادة الجيش يدفعون التهمة عن انفسهم بقولهم ان هذا العدد ليس بكبير ؛ وانه لا يزيد على اثنين هما :

(١) الكبتن (دوبين) رئيس مصلحة المــدفعية ، وهو المسؤول عن شراء الاسلــحة وتصليحها وعن الذخيرة والمحروقات . وقد تولى في فترة من فترات القتال قيادة مدفعية جيش الانقاذ في قطاع الناصرة .

(٢) الكبتن (سنانس) وهو طبيب في المستشفى العسكري .

وكلاهما من يهود بيروت المخلصين (؟) . ومن دلائل اخلاصهم ان قام بنو قومهم ، يهود فلسطين ، في ١٧ تشرين الاول ١٩٤٨ بهجوم شديد على لبنان . فاجتازوا الحدود واحتلوا سبع عشرة قرية من ضياعه(١) . وبعد ان مكثوا فيها بضعة ايام اخلوها. وهناك من يقول ان اخلاءها كان نتيجة ضغط سياسي .

---

(١) عرفنا من هذه القرى : – بليدا – ميس الجبل – مركبة – محيبيب (ام حبيب ؟) كفركلا – القنطرة – عديسة – طيبة – تل النحاس – رب الثلاثين – الجنان – الحوالة وقتل اليهود عدداً غير قليل من سكان هذه القرى . فمن قرية الحولة وحدها قتلوا تسعة وثمانين رجلا واربع نساء .

واما قائد الجيش اللبناني في حرب فلسطين فهو الامير فؤاد شهاب بن الامير عبد الله بن الامير حسن شهاب اللبناني . ولد في جونية سنة ١٩٠٣ م . ودرس علومه الثانوية في مدرسة الفرير بجونية . وفي الثامنة عشرة من عمره التحق بالجيش الافرنسي ، فدخل المدرسة الحربية بدمشق ، وتخرج منها برتبة ملازم . ثم ارسل الى فرنسا حيث اتم علومه العسكرية . وما زال حتى تخرج من مدرسة اركان الحرب العليا بباريس . وفي سنة ١٩٤٤ رقي الى رتبة زعيم (كولونيل) . وتولى الامر في لبنان بتاريخ ١٨ ايلول ١٩٥٢ يوم أرغم الشيخ بشارة الخوري على التخلي عـــن منصبه كرئيس للجمهورية ، وتولى هو (اي الامير شهاب) رئاسة الدولـــة ، الى ان اجتمع مجلس النواب ، وانتخب كميل شمعون رئيساً للجمهورية وقد تم ذلك بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٥٢ .

الجيش العراقي

●

اجتاز حدود فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ . اجتازها عن طريق المفرق ـ وادي العرب المطل على وادي الاردن باتجاه جسر المجامع وقد تضاربت الآراء في تقدير القوة التي كان عليها يومئذ فمن قائل(١) انه كان مؤلفاً من القوة الآلية التي جاءت من بغداد وحطت رحلهـــا في المفرق في ٢ ايار ، ومن جحفل اللواء الاول الذي هبط المفرق ايضاً في ١٤ ايار .

ومن قائل(٢) ان القوة العراقية التي دخلت فلسطين ، واشتركت في مراحل القتال الاولى كانت عبارة عن جحفل(٣) واحد .

---

(١) هذا القول اقتبسته من ملفات وزارة الدفاع العراقية بتاريخ ٢٢ كانون الاول ١٩٥٣ .

(٢) قال لي هذا القول عامر حسك من رجال جيش الانقاذ وكان في حرب فلسطين آمراً للواء اليرموك الاول .

(٣) الجحفل العراقي عبارة عن ثلاثة افواج مجموع رجالها الفان .

وقال بعض النقاد من العراقيين انفسهم(١) انه كان باستطاعة القيادة العراقية ان ترسل الى فلسطين ، عند بدء القتال ، اكثر من نصف قوات الجيش العراقي ، والا تكتفي بارسال جزء ضئيل منه .

ويذكر هؤلاء النقاد ان الحكومة العراقية ساقت ، سنة ١٩٣٥ ، فرقة كاملة من جيشها الى الديوانية لقمع ثورة اوقد نارها الشيخ خوام العبد العباسي من مشايخ الديوانية مع ان العصاة الذين اشتركوا في تلك الثورة لا يزيدون على الثلاثين الا قليلا وكانوا متحصنين في قلعة أُنشئت من طين . وكان يقود الفرقة العراقية عامئذ القائد العراقي المشهور بكر صدقي ، ورئيس أركانه طه الهاشمي .

حدثني امير اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا ان القوة التي قادها بكر صدقي في حركات الفرات الاولى ، حوالي ١٩٣٦ ، كانت عبارة عن فرقة وانه هو نفسه (اي اسماعيل صفوت باشا) قاد القوات العراقية التي اشتركت في حركات بارزان الاخيرة ، حوالي ١٩٤٦ ، وقد اشترك في تلك الحركات عامئذ معظم قوات الجيش العراقي .

وسألت العميد الركن نور الدين محمود باشا الذي تولى قيادة القطعات العراقية في حرب فلسطين عندما زرته ببغداد مستطلعاً رأيه في هذا الصدد فقلت له :

« مما لا شك فيه ان القوة العراقية كانت ، عند بدء القتال ، قليلة . ولكنها كثرت بعد الهدنة الاولى . فهل كان ذلك ناشئاً عن الاسلوب العسكري الذي يقضي بتدريب الجنود وحشدهم على مراحل تدريجية ، ام انه ناشىء عن الاعتقاد بأن اليهود جبناء . وان التغلب عليهم لا يحتاج الى جيش كبير » .

فقال :

« كلا السببين واقع ، لا سبيل الى انكاره » .

ولما لاحظ المخلصون من ابناء العراق تلكؤاً في ارسال الجيش العراقي وكان القتال قد اشتد بين اليهود والمجاهدين من عرب فلسطين، راحوا يصرخون، وقام طلاب المدارس العراقية بمظاهرات صاخبة في شوارع بغداد طالبين الاسراع في سوق الجيش لانقاذ فلسطين ، واعتصم عدد كبير منهم في مدارسهم واضربوا عن الطعام ، الى ان وعدت الحكومة بارسال الجيش ، وقد ارسلته .

---

(١) سمعتهم يتحدثون بمرارة عن هذه الناحية عندما نزلتُ بغداد في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٣ مستطلعاً آراءهم فيما جرى بفلسطين .

ومهما كانت الاسباب التي جعلت ولاة الامور في بغداد يتلكؤون ، فلا يرسلون عند بدء القتال سوى قوة ضئيلة من قواتهم الى فلسطين ، فانه لمـا لاشك فيه ان تلك القوة كانت قد ازدادت في غضون الهدنة الاولى (١١ حزيران - تموز ١٩٤٨) ، فأصبحت عند استئناف القتال في ٩ تموز ١٩٤٨ عبارة عن عشرة الاف مقاتل . قال عزام ان قوة الجيش العراقي في فلسطين بلغت ثمانية آلاف مقاتلا .

وفيما يلي تاريخ وصول كل قطعة من القطعات العسكرية العراقية الى البلاد وارقامها وتشكيلاتها واسماء قادتها والقطاعات الحربية التي كانت تعمل فيهـا ، بعضه مقتبسا من اضبارات وزارة الدفاع العراقية والبعض الاخر اطلعت عليه بنفسي اثناء القتال :

(١) **جحفل اللواء الاول** : آمره العقيد الركن نجيب الربيعي . وصل من بغداد ، وحط رحله في المفرق في ١٤ ايار . وكان قد سبقه اليه في ٢ ايار الفوج الآلي . اجتاز هذا الجحفل حدود فلسطين في ١٥ ايار ، فحط رحله باديء ذي بـــدء في قطاع جسر المجامع وهو الذي حارب اليهود في كيشر .

كانت لديه كتيبة مدفعية ونصف كتيبة من المدافع من عيار ٥و٤ وسرية من المدرعات وكان يرافقه فوجان من المناضلين الفلسطينيين هما :

فوج الشعراوية ، وفوج صلاح الدين . وكانت مهمة هذين الفوجين ستر القطعات النظامية . وفي ٢١ ايار انتقلت معظم هذه القطعات من قطاع جسر المجامع الى قطاع السامرة وبقي بعضها في جسر المجامع .

اما القطعات التي جاءت الى السامرة ، وهي القوة الآلية ، فكان معها الف بندقية وكان آمرها العقيد الركن رفيق عارف . فقد انشطرت الى اربعة ارتال (١) :

آ ـ رتل أم جنين ، يقوده المقدم الركن نوح عبد الله الحلبي ، وقد اسموه (رتل اسد)

ب ـ ورتل ولى وجهه شطر طول كرم يقوده المقدم الركن طارق سعيد فهمي ؛ وقد اسموه (رتل نمر) .

ج ـ ورتل ذهب الى قلقيلية ، يقوده الرئيس سعيد القريشي ، وقد اسموه (رتل قريش)

د ـ ورتل بقي في نابلس على سبيل الاحتياط مع آمر القوة كلها رفيق عارف ، وقد اسموه (رتل فهد) .

(٢) **جحفل اللواء الرابع** : آمره العقيد الركن صالح زكي توفيق . وصل الى المفرق في ١ حزيران ١٩٤٨ فاجتـــاز الحـــدود في ٢ حزيران ، ودخل في معركة جنين في ٣ منه . وانتقلت بعض افواجه الى قطاع رأس العين اثر سقوط اللد (١١ تموز) والرملة

---

(١) قوة الرتل ١٥٠ بندقية

(١٢ تموز) وبقي البعض الآخر بين جنين واللجون. كان مع هذا الجحفل بطارية مدفعية ذات ١٨ رطل وسرية من المدرعات وفوج من رجال الشرطة وفوجان فلسطينيان هما: فوج الكرمل - وفوج خالد بن الوليد. مهمتهما ستر القطعات النظامية

(٣) **الفوج الثاني من اللواء الخامس**: آمره المقدم عمر علي؛ وصل الى المفرق في ١ حزيران ١٩٤٨. وفي مساء اليوم نفسه سار الى الزرقاء. ومن هناك سار الى اريحا فهبطها في الساعة العاشرة ليلا. وفي صبيحة اليوم التالي (٢ حزيران) أم نابلس عن طريق غور الجفتلك ووادي البيدان. وفيما كان يعد العدة في نابلس للزحف صوب مستعمرة (كفار يونا) اليهودية من اعمال طول كرم تلقى خبراً عن تطويق اليهود لجنين ليلة ٢/٣ حزيران فأمر بالزحف نحو جنين لنجدة المحصورين، فزحف في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي (٣ حزيران). وانضم اليه بعد قليل فوج آخر من افواج اللواء نفسه يقوده شلمون الآشوري. وفي الساعة السابعة والنصف كان هذان الفوجان يقفان على اهبة الاستعداد عند مفترق طريق قباطية.

(٤) **جحفل اللواء الثالث**: آمره . . . . وصل الى الزرقاء في ١٥ تموز ١٩٤٨ واجتاز من فوره حدود فلسطين، فرابط فوج من افواجه عند جسر دامية. ونزل آخر (هو فوج عبد الاله) في الهوارة. ورابطت بقية افراده في دير شرف. كان معه كتيبة من المدافع من عيار ٣٫٧.

(٥) **جحفل اللواء الخامس**: آمره . . . . وصل الى المفرق في ٢٤ تموز ١٩٤٨ وأمر بان يرابط في الشونه على سبيل الاحتياط، كان معه كتيبة من المدافع من عيار ٣٫٧ وبطرية متوسطة ذات ست بوصات (١). هذا هو الاحتياط العام.

وهناك القوة الجوية الملكية العراقية: فقد أمرت هذه، في ٨ أيار، بالحركة من العراق، وهبطت مطار المفرق في ١٢ منه وكانت عبارة عن سربين (٢) (الاول والسابع) من قاذفات القنابل الخفيفة ورف مقاتل من طراز كلادبتر. واضيف اليها بعد قليل بضع طائرات من النوع المعروف بفيوري. وزيد بعد الهدنة الاولى عدد الاسراب من هذا النوع (فيوري) الا ان العثور على عتاده كان متعذراً للغاية. ومع ذلك فقد قامت الطائرات العراقية بقسط غير قليل من واجبها في كيشر وباب الواد وقاقون، وهاجمت

---

(١) استخدمت هذه البطرية في معارك القدس جنبا الى جنب المدافع التي استخدمها هناك الجيش العربي الاردني.

(٢) السرب عبارة عن اثنتي عشرة طائرة والرف عبارة عن ثلاث طائرات.

بتاح تكفا ، وتل ابيب . وارسل رف منها الى مصر ، وآخر الى الشام . وكانت خسائرها في حرب فلسطين عبارة عن طائرة اتسن وطائرتي كلادبتر في المفرق . وطائرتي فيوري في الجبهة المصرية . واستشهد ضابط طيار وفقد ضابط آخر ، وخمسة اشخاص من الرتب الاخرى . اما قائد القوة الجوية العراقية فانه سامي باشا فتاح .

واما خسائر الجيش العراقي في حرب فلسطين فكانت ٩٨ شهيداً ، بينهم عشرة من الضباط (١) ومن الجنود الشهداء ٥٠ لاقوا ربهم في جنين ٤٥ في فاقون ٢٣ في كوكب الهوى ١٧ في جسر المجامع وكيشر ١٢ في هاكوفتش ١١ في المزار ٩ في كفر قاسم ٨ في طول كرم ٤ في مجدل يابـــا ٤ في قلقيلية ٢ في الطيرة ١ في رأس العـــين ١ في طوباس ١ في نابلس ١ في عارة وعرعرة .

هذا مع العلم بان الجبهة التي عهد الى الجيش العراقي بالدفاع عنها كانت حتى الهدنة الاولى واسعة ، طولها مئة كيلو مترا وهي تمتد من كيشر الى مجدل الصادق وباقة الغربية باستثناء فجوة واقعة بين جنين وبيسان . وبوصول النجدات الجديدة في منتصف الهدنة الاولى اصبحت عند استئناف القتال عبارة عن ١٦٠ كيلو مترا .

واما القائد المسؤول عن القطعات العراقية كلها في حرب فلسطين فانه :-

امير اللواء الركن نور الدين محمود من ٥-٥-٤٨ الى ١٤-٥-٤٨ (٢)

الزعيم طاهر الزبيدي من ١٨-٥-٤٨ الى ٢٠-٧-٤٨

امير اللواء مصطفى راغب من ٢٠-٧ ٤٨ الى ١١-١٠-٤٨ (٣)

الفريق الركن نور الدين محمود ١١-١٠-٤٨ الى ١٦-٦-٤٩

الزعيم الركن رفيق عارف من ١٦-٦-٤٩ الى ٢٧-٧-٤٩

---

(١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

(٢) في هذا التاريخ انتدب وكيلا للقائد العام (الملك عبد الله) الذى انتخب قائداً عاما للجيوش العربية كلها .

(٣) هكذا ورد تاريخ استقالة مصطفى راغب في ملفات وزارة الدفاع ، مع انني اطلعت على كتاب خطه مصطفى راغب بيده ، وكان ذلك بتاريخ ١٤-٩-٤٨ ، وقد قال فيه انـه (قدم امس (اي في ١٣-٩-١٩٤٨) استقالته الى رئيس الاركان صالح صائب باشا بسبب الوضع الحالي في فلسطين وقد وصفه بانه مؤلم للغاية . وقال انه كان الى الان يسلي نفسه بالامل وامكان النصر ولكنه اصبح الان على يقين ان يوم النصر بعيد . وانه لن ير اليوم الذى كان ينتظره لتقديم خدمة البلادة . وان اليهود حتماهم الرابحين . وانه يريد ان يكون احد الممثلين لهذه الرواية .

اسلحة الجيش العراقي

●

تضاربت الآراء فيما كان الجيش العراقي يملكه من اسلحة اثناء القتال في فلسطين : فمن قائل انه لا يملك من السلاح مـــا يكفي لسد حاجته . ولقد قرأت في بعض التقارير الرسمية العراقية ان مجلس الوزراء العراقي لم يوافق على مشروع كان رئيس اركان الجيش امير اللواء الركن صالح صائب الجبوري قدمه (عام ١٩٤٦) لاجل تقوية الجيش في بحر ثلاث سنوات .

وقد قدر نفقاته بثلاثة ملايين ، ثم خفضه الى مليون ونصف مليون دينار عراقي . وانهم اي العراقيين عبثا حاولوا اقناع بريطانيا كي تزود جيشهم بما ينقصه من سلاح . وقـــد حاولوا اقناعها مرتين : — الاولى في خريف عام ١٩٤٧ والثانية في ٢٢ ايلول سنة ١٩٤٨ فقد كان جواب الانكليز فى كل مرة انهم لا يستطيعون رفع الحظر المفروض على تصدير الاسلحة .

وفشل العراق ايضاً في محاولاته للحصول على اسلحة من الدول الصديقة الاخرى : تارة لعدم توفر المال اللازم لذلك ؛ وطوراً لعدم ملائمة الشروط التي تقدم بها البائعون وتعذر الحصول على شركات تأمين معروفة توافق على التأمين ، وتمسك الحكومة العراقية بالاساليب التجارية المألوفة فيما يتعلق بالضمان والشحن .

وجاء في احد التقارير ان الجيش العراقي تمكن من الحصول على كميات ضئيلة من العتاد المطلوب لطائراته من الجامعة للعربية ومن الحكومـــة المصرية ، واحتجز مرة في دوائر السكك الحديدية العراقية مقداراً ضئيلا من السلاح كـــان قد ورد الى القطعات البريطانية في العراق ، وتمكن من الحصول على مقادير ضئيلة من مدافع الهاون من منتجات معمل سوري كما تمكن من الحصول على مقادير ضئيلة (٢,٠٠٠ طلقة) من الطلقات التي تستعملها المدرعات من الحكومة السعودية .

هذا ما يقوله الرسميون من رجالات العراق . واما المعارضون الناقمون فيقولون انه كان لـــدى الجيش مقادير كبيرة من السلاح والعتاد . وان الجيش لم يصرف في حرب فلسطين سوى ٢٥٠٠ قذيفة من قذائف المدفعية من مختلف العيارات ، ومليون ونصف مليون طلقة من طلقات الاسلحة الخفيفة . فيكون قد تبقى لدى الجيش ٥٠,٠٠٠ قذيفة من قذائف المدفعية وثلاثون مليون طلقة من طلقات الاسلحة الخفيفة .

واكد لي صديق اثق بصدق روايته من الضباط العراقيين ان الجيش العراقي مكث قبل ان يرحل عن فلسطين ، ثلاثة ايام صحاح في شغل شاغل يحمل اسلحته واعتدته .

وهناك فريق ثالث يقول انه وان لم يكن لدى الجيش العراقي ، في فترة القتال سلاح كاف وعتاد ، الا انه كان بامكان القائمين على الامر في بغداد ان يزودوه ، لو شاءوا ؛ بكل ما يحتاج اليه من سلاح وعتاد .

فقد ابرق الملحق العسكري في لندن المقدم الركن حسن مصطفى الى وزارة الدفاع بتاريخ ١٨-٥-١٩٤٨ يقول : ـ اتفقت مع وزارة الحربية البريطانية على ان يعطونا الاعتدة التالية من الشرق الاوسط :

١٢,٦٠٠ قنبلة ذات ٢٥ رطل و ١٠٠,٠٠٠ طلقة عيار ٧,٩٢ مدافع بيزا للمدرعات و ٣٠,٠٠٠ كبسولة والاعتدة الاخرى التي طلبتها وزارة الدفاع لسنة ١٩٤٧ من بريطانيا اقترح الاتصال بمعسكر فايد بمصر وارسال السيارات اللازمة لاستلامها قبل ان يصدر امر الحظر فان صدور مثل هذا الامر متوقع قريباً .

وابرقت وزارة الحربية البريطانية الى القيادة البريطانية في فايد كي تسلم هذه الاسلحة للعراقيين .

وابرق الملحق العسكري ، بعد ذلك بخمسة ايام ، الى المفوضية العراقية بعمان بالمعنى نفسه طالباً ايصال برقيته الى رئيس اركان الجيش العراقي في الزرقاء :

ولما اطلع الامير عبد الاله الوصي على العرش على البرقية الثانية ارسل امير اللواء نور الدين محمود في طيارة خاصة الى مصر. فسافر من فوره واتصل بالقيادة البريطانية في فايد فابلغته هذه ان امر الحظر قد صدر قبل وصوله بيوم واحد . وامتنعت عن تسليمه الاعتدة .

عند البحث عن البرقية الاولى وجدت في جيب صالح صائب باشا رئيس الاركان ولما سئل عنها . .. اعتذر قائلا : انه نسيها في جيبه .

ليس هذا فحسب ، فان المطلعين على حقائق الامور في بغداد يأتون امامك بالدليل تلو الدليل على ان الكبار الذين كان بيدهم زمام الحل والعقد لم يبرهنوا على حسن نواياهم من هذه الناحية .

من ذلك ما قالوه عن العقيد الركن غازي الداغستاني (١) الذي ارسلته القيادة العراقية في جبهة فلسطين، بتاريخ ٨-٩-١٩٤٨، الى بغداد ليأتيها بالاسلحة الفرنسية التي كانت في مستودعات الحكومة (٢) لتسلح بها المتطوعين الفلسطينيين التي تولت القيادة العراقية تجنيدهم وتسليحهم. فرفض رئيس اركان الجيش صالح صائب باشا، الانصياع لامر وزير الدفاع صادق البصام ذلك الامر القائل بوجوب تسليم تلك الاسلحة وهي :-

٧ مدافع ثقيلة (عيار ١٥ سم) و ١٤٥ رشاشة ثقيلة و ٢٢٢ رشاشة خفيفة وحوالي ٣٠٠٠٠ بندقية.

واحتج رئيس الاركان بادئي ذي بدء بان المدافع الثقيلة (ذات ١٥ س م) ينقصها الصمامات. فاستعدت قيادة الجيش السوري لتقديم ٣٦٠٠ صمامة ومع هذا فقد رفض رئيس الاركان ان يسلمها لاي انسان.

ولم يسمح رئيس الاركان للعقيد الداغستاني بالعودة الى الجبهة، لئلا يُحدّث رفاقه بما جرى، بل استبقاه في بغداد، واقامه مديراً لاشغال الجيش !!!

هذا ما اتصل بي من انباء الجيش العراقي في حرب فلسطين؛ ذكرته، وفوق كل ذي علم عليم.

مشروع روتنبرغ (٣) ومعركة كيشر

●

في ١١ ايار انذر بهجت باشا طبارة متصرف اربد، اليهود الذين يعملون في محطة

---

(١) ابن محمد فاضل باشا الداغستاني. ولد في بغداد سنة ١٩١١. واتم دراسته العسكرية في كليتها وفي بلاد الانكليز وتدرج في مناصب الجيش حتى اصبح عقيدا ركنا واشترك في حرب فلسطين

(٢) كانت حكومة العراق استوردت هذه الاسلحة من سوريا خلال حركات ايار ١٩٤١ ولكنها لم تستعملها.

(٣) سمي كذلك نسبة الى الشخص الذي رسم خطوطه الاولى، وهو المهندس الكهربائي المعروف (بنحاس روتنبرغ). انه من يهود روسيا. وقد حصل على امتياز من الحكومة البريطانية لاضاءة فلسطين بالكهرباء سبعين عاما. وامضي الاتفاق بينه وبين وكلاء التاج البريطاني بالنيابة عن السر هربرت صموئيل المندوب السامي لفلسطين في ٢١ ايلول ١٩٢١. وقد منح بموجب هذا الاتفاق حق استغلال نهر الاردن وحوضه، ونهر اليرموك وروافده، لتوليد القوى الكهربائية. ثم رخص له ان يبني على جسر المجامع محطة كهربائية وان يغير مجرى اليرموك وروافده اذا شاء :

الكهرباء المعروفة بـ (روتنبرغ) عند جسر المجامع ، ان يغادروا المكان . وكانت تلك المحطة واقعة في الاراضي الاردنية . وقد خيرهم ان يستبقوا فيها العدد الكافي من العمال لادارة المشروع على ان لا يكون هؤلاء مسلحين ، وان يرحل الآخرون ، قائلا ان الحكومة لن تكون مسؤولة عن ارواحهم اذا هم بقوا في اماكنهم بعـــد منتصف الليل من اليوم الخامس عشر من شهر ايار ،

وقام المتصرف بمهمة الانذار ، كما امره به رئيس الوزراء توفيق باشا ابو الهدى .

وفيما يلي نص الانذار بالحرف الواحد

انذار الى مشروع روتنبرغ

صادر بأمر فخامة رئيس وزراء المملكة الاردنية الهاشمية

المبلّغ : متصرف لواء عجلون بهجت طبارة وقائد المنطقة نديم السمان بالنيابة عن فخامة رئيس الوزراء .

المبلغ اليه : بيفوستين بهاراف سكرتير شركة الكهرباء وابراهام داسكال مد المشروع

تاريخ وساعة التبليغ : ٩٤٨/٥/١١ الساعة الثانية بعد الظهر .

مادة ١ : يستمر المشروع بعمله ضمن الشروط الآتية :

(اولا) كافة المسلحين الذين يقطنون المشروع ضمن اراضي المملـــكة الاردنية الهاشمية يسلمون اسلحتهم الى المركز الذي ينتخبه متصرف اللواء وقائد المنطقة لغاية الساعة السادسة من مساء هذا اليوم ويعود هؤلاء الافراد الى فلسطين حالا .

(ثانياً) يبقى بالمشروع الاشخاص الذين يحتاج اليهم المشروع لتأمين استمرار العمل فيه على ان لا يحملوا اي نوع من الاسلحة .

(ثالثاً) يبقى المشروع تحت الاشراف العسكري من قبل القوات العربية .

مادة ٢ : عند عدم قبول جميع ما هو مذكور في الشرط الاول تطبق الشروط التالية:

(أ) على جميع الموجودين في المشروع ان ينسحبوا حالا لجهة فلسطين .

(ب) يتوقف المشروع عن العمل ويكون تحت الاشراف والاحتلال العسكري من قبل القوات العربية مباشرة .

(ج) تطبق محتويات هذه المادة لغاية الساعة السادسة من مساء هذا اليوم .

مادة ٣ : اذا لم ينفذ المسؤولين احد المادتين يكون المشروع معرضاً للخطر ويجري

احتلاله بالقوة من قبل القوات العربية اعتباراً من تاريخ وساعة انتهـــاء الانتداب البريطاني على فلسطين .

١١ - ٥ - ٩٤٨ تواقيع

والذي تسلم الانذار هو المختار (دَسْكر) الملقب بأبي يوسف ، وسكرتير الشركة الذي استحضر من حيفا خصيصاً لهذه الغاية واسمه (بقوتين بهـــاراف) ورضي هذان اليهوديان بالشرط المفروض . فأبقيا اربعين شخصاً ، منهم سيدتان ، لادارة المشروع ؛ ورحل الآخرون الى (كيشر) المستعمرة اليهودية الواقعة في الضفة الغربية والمسيطرة على جسر المجامع وقد انضموا الي اليهود المرابطين في تلك المستعمرة بقصد الدفاع عنها . وكان المختار نفسه مع الراحلين ، مع انه من الخطرين .

واستغرب القوم لماذا لم يأمر ابو الهدى بالقاء القبض عليه ، وعلى جميع اليهود الذين كانوا في المكان ، وجلهم ان لم نقل كلهم . من المحاربين ؟ ولماذا لم يأمر ايضاً باستيلاء الحكومة على المشروع كله ، وعلى ما فيه من ما كنـــات وآلات وادوات قدرها بعضهم بملايين الجنيهات ؟ فان بقاء هذه الالآت بيد اليهود لما يقويهم في اعمالهم وصناعاتهم سواء في تلك الاعمال الحربية والاجتماعية .

وفي ١٤ ايار كانت ترابط في ذلك المـــكان سرية من سرايا الجيش العربي يقودها الرئيس فارس العبد . ولكن هذه السرية مالبثت ان أمرت بمغادرته(١) . فطلب المتصرف استبقاءها ، الى ان يأتي الجيش العراقي . وقد جاء هذا بالفعل قبيل منتصف الليل ١٤ - ١٥ ايار . فاحتل المكان . وكان يقوده القائد العراقي طاهر الزبيدي . واعتقل اليهود الاربعين الذين أبقاهم ابو الهدى في المشروع . وكان الواجب يقضي بأن يحتل الجيش ، قبل كل شيء ، الابراج المنتصبة في وسط المشروع ، هذا ما قاله الاردنيون . ولكن العراقيين يؤكدون ان جنودهم لم يلتفتوا للسلب ، وان الجسر هناك نسفه اليهود قبل وصول العراقيين الى ذلك القطاع . وهذا ما قاله أيضاً اليهود . ولكن شيئاً من هذا وامثاله من التدابير العسكرية لم يتخذ . وفيما كان الجنود منشغلين بالنهب والسلب نُسف (جسر المجامع) . نسفَه اليهود المرابطون في عمارة البوليس . تلك العمارة القائمة على مقربة من كيشر ، والمطلة على النهر ، وعبثاً حاول العراقيون بعدئذ عبور النهر من ذلك المكان ، والاستيلاء على كيشر .

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن انسحاب الاردنيين من ذلك الموضوع في الفصل الذي خصصناه لمعركة يافا .

وتتلخص اقوال اليهود(١) في معركة كيشر ، انهم بذلوا كل ما في وسعهم من جهد لصد الهجمات التي قام بها العراقيون على هذه المستعمرة منذ اليوم الذي اجتازوا فيه حدود فلسطين (١٥ أيار) الى اليوم الذي انسحبوا فيه من تلك المنطقة (٢٥ ايار) . وبدأ الاحتكاك بين الفريقين عندما انذرهم قائد القوات العراقية طالبا منهم اعادة الثلاثين يهودياً الذين هربوا من نهرايم ، واعادة السلاح الذي حملوه من المستعمرة . والا فان البطاريات العربية ستمحو مستعمرة كيشر من على وجه الارض .

وقد ارسل هذا الانذار مع مغيب شمس اليوم الرابع عشر من شهر أيار . وفي الليل نسف اليهود الجسر التركي القديم بين نهرايم وكيشر ، كما نسفوا جسر روتنبرغ ، وفي ساعة مبكرة من صبيحة اليوم التالي (١٥ ايار) نسفوا جسر السكة الحديدية الواقع على نهر الاردن وكانت اسلاك التلفون قد قطعت بين كيشر والمستعمرات اليهودية الاخرى في وادي الاردن .

وراح العراقيون في صباح ١٦ ايار يقصفون المستعمرة بمدافع المورتر من عيار ٣ بوصات ومدافع الميدان من عيار خمسة وعشرين رطلا ، وكانت هذه منصوبة فوق الهضاب الكائنة على جانبي طريق اربد . والقت الطائرات العراقية بعض القنابل على المستعمرة ، الا انها اخطأت الهدف . وبعد برهة وجيزة بدأت المدافع العراقية من عيار ٣،٧ بوصة المنصوبة في جهة الشونة تقصف المستعمرة . فدمرت بعض مبانيها .

ويقول اليهود انهم اعطبوا في ذلك النهار ثلاث مصفحات عراقية وسيارتين من سيارات النقل ودراجة نارية . ومع ذلك فقد تمكن ثلاث فئات من المشاة العراقيين في اجتياز النهر والوصول الى نقطة تبعد زهاء ثلاثة كيلومترات عن المستعمرة من الجنوب عند خط السكة الحديدية .

وشن العراقيون في فجر اليوم التالي (الاحد الموافق ١٧ ايار) هجوماً على كيشر من اتجاهين : الاول من ناحية المضخة المنصوبة على النهر لشركة البترول العراقية وقد اجتازت المصفحات العراقية النهر من تلك الناحية بقصد الاطباق على كيشر .

---

(١) لخصنا هذه الاقوال عن مجموعة اعدها السيد درويش الشامي من موظفي مكتب الارتباط الخارجي بالقدس ، وقد ترجمها معجم مانر من مقالات وتقارير نشرها الكتاب اليهود في مؤلفاتهم . وقد اسماها (في خط النار) .

والثاني من ناحية طريق اربد ، وكانت المصفحات التي أتت من هذه الناحية تطلق النار من غير حساب .

وفيما كانت هذه المصفحات العراقية السبع تزحف صوب المستعمرة من البر ، كانت الطائرات العراقية تقذف عليها حممها من الجو . واستعمل اليهود في صد هـذا الهجوم رشاشين ومدفعاً مقاوماً للدبابات ومدفعين من المدافع القوسية (مورتر) من عيار بوسطتين وثلاث بوصات . واشتد قصف المدافع العربية الى درجة ان فتكت قنابلهـا بعدد من حامية مركز البوليس ، ونفذت قنبلة الى داخل احد الأستحكامات ، فدمرته ، وقضت على جميع اليهود الذين كانوا فيه ، وفيما كان اليهود يخلون استحكاماً ثانيـاً اصابته قنبلة فدمرته وقضت على من كان فيه .

وفيما كان قصف المدافع متواصلا شرع المشاة العراقيون يزحفون صوب المستعمرة من ناحية (هضبة الجمل) على بعد اربعمئة متر من حدود المستعمرة . بينما كانت فئات اخرى منهم تتظاهر بالزحف من نواح اخرى بقصد التضليـل . فراح اليهود يدافعون عن المستعمرة دفاع المستميت . ونجحوا في صد العراقيين . ويقولون ان خسائر العراقيين بلغت في تلك المعركة ستين قتيلا . وكذلك قل عن خسـائر اليهود ، واستغل اليهود في هذه المعركة السدود التي كانوا اقاموها على النهر . اذ انهم عندما نشبت المعركة فتحوا هذه السدود اكثر من المعتاد، فارتفع منسوب المياه في معابر الاردن واعاق هذا العمل تقدم الجيش العراقي الى حد كبير . الامر الذي جعله ينقل سياراته على الجرارات عبر النهر من جوار (المنشية) .

واستأنف العراقيون القصف في صبيحة اليوم التـالي (الاثنين الموافق ١٨ ايار) مستعملين في هذه المرة زهاء ٢٤ مصفحة ، هبطت معظمها من الهضبة الواقعة بين المنشية وكيشر ، ووجهتها الشمال . فدخل بعضهـا قرية (جسر المجامع) . واجتازها البعض الآخر ميمما صوب عمارة البوليس في المسـتعمرة . وتمكن العراقيون من تدمير احد الاستحكامات القائمة امام المستعمرة بمدافع المورتر من عيار ثلاث بوصات ورشاش من طراز براوننغ . وكادت العمارة تقع بأيديهم لولا ان اتت اليهود ، في تلك البرهة ، نجدة قوية من المشاة تدعمهم طائرة . وراحت هذه تلقي قنابلها على المهـاجمين . كما راحت الرشاشات اليهودية تعمل على صدهم .

وظل القتال ناشباً بين الفريقين الى ان اقترب العراقيون من عمارة البوليس واضحوا منها قاب قوسين (٧٠متراً فقط) . وكان الظلام قد خيم فراحوا يزحفون تتقدمهم دبابة

اقتربت من سياج مركز البوليس حتى لاصقته ، وراحت ترش الارض من حوله بمدفع رشاش لتفجر ما يمكن ان يكون هناك من الغام . وتمكنت من اقتحام السياج ،واقتربت من باب العمارة . ولكنهالم تستطع اقتحامه . اذ قذفها المدافعون بعدد من القنابل المعروفة بـ (مولوتوف) فأحرقوها . فعاد العراقيون الي قرية جسر المجـــامع : ورابطوا فوق الهضبة المعروفة بـ (الجمل) .

وكان التعب قد انهك قوى الفريقين ، اليهود والعراقيين . ولما عززت حامية كيشر اليهودية في صبيحة اليوم التـــالي (١٩ أيار) وأضحت قوتهم عبارة عن لواء كامل ، ارتفعت معنوياتهم ، وازدادت هذه ارتفاعاً عندما وصلتهم في يوم الخميس (٢٠ أيار) نجدة جديدة واعتدة جديدة ، واتتهم نجدة ثالثة في ليلة الجمعة ٢١ ايار اضف الى ذلك ان بطاريات اليهود المرابطة في (كوكب الهوى) راحت تقصف العراقيين ومرا كز احتشادهم في جنوب مستعمرة كيشر . فانسحب هؤلاء من مرا كزهم .

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ ايار تمكن اليهود من احتلال (هضبة الجمل) وبذلك انتهت معركة كيشر بالفشل .

معركة كيشر

●

بعد ان قصصت عليك ماقاله الاردنيون واليهود عن معركة كيشر ، أرى من الانصاف ايضاً ان اقص فيما يلي ما قاله لي العراقيون (١) عن هذه المعركة :

وقف الجيش العراقي على الحدود في اليوم الرابع عشر من شهر ايار واجتاز تلك الحدود في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ١٥ ايار ، جاء من المفرق الى وادي العرب واطل من هناك على كيشر وراء الاردن من الغرب . وكان عبارة عن قوة آلية يقودها الزعيم طاهر محمد الزبيدي . معها مـــدرعات ومشاة وسريـــة هندسية وافراد من جميع الصفوف ، تعززهم المدافع :

وكان هناك في استقبالهـــا ، عند وادي العرب ، الامير عبـــد الاله وقائد الجيش العراقي نور الدين محمود ، وضابط ركنـــه الاول اسماعيل صفوة ،ورئيس الاركـــان صالح صائب .

---

(١) اذكر منهم الزعيم طاهر محمد الزبيدي والعقيد الركن نجيب الربيعي ، وهما القائدان العراقيان اللذان قادا القطعات العراقية في هذه المعركة .

يقول الزبيدي انه كانت هناك سرية اردنية يقودها الرئيس فارس العبد ، وان هذه السرية كانت تحتل القسم الشمالي من مشروع روتمبورغ ، وانه عندما وصل الى هناك وزار المخفر الاردني وجد فيه متصرف لواء اربد بهجت باشا طبارة. وقائد المنطقة نديم السمان ، ولم يكن في المخفر سوى جندي اردني واحد ، فقال له المتصرف أنه تلقي امراً من مساعد رئيس الاركان في عمان اللواء عبد القادر باشا الجندي كي يخلي المشروع وينسحب من الميدان وعبثاً حاول اقناعه كي يرجىء انسحابه ساعتين ريثما تحضر قواته وتتسلم المشروع واخيراً وبعد اللتيـا والتي تمكن من اقناعه لساعة واحدة (١) .

وفيما كان العراقيون يتسلمون المشروع ، وقبل ان يتم التسليم ، نسف اليهود الجسر القائم هناك . نسفوه . في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين من مساء اليوم الرابع عشر ، حتى ان بعض حجراتـه المتطـايرة في الهواء وقعت على راس القـائد العراقي الزبيدي (٢) .

وما كادت الساعة تشير الى الدقيقة الاولى بعد نصف الليل (١٤-١٥ ٥-١٩٤٨) حتى كان العراقيون قد اجتازوا الحدود . وراحوا يقاتلون اليهود .

وكان اول من وصل الى مشروع الكهرباء السرية الثالثة يقودها الرئيس الاول محسن محمد علي . وهي من سرايا الفوج الالي يقودها المقدم نوح عبد الله . وكان معها يومئذ فصيل من الرشاشات الخفيفة عددها اربعة وآخر من الرشاشات الثقيلة وسرية من البرنات .

ثم وصلت السرايا الاخرى . فوقف الفوج كله وهو عبارة عن ثلاث سرايا امـام كيشر يبغي احتلالها . سرية احتلت محطة الكهرباء معها فصيل رشاش ، واخرى خاضت النهر ، واحتلت رأس الجسر ، وراح فصيل الى مخفر جسر المجامع فاحتله .

وانضم الى القوة المتقدم ذكرها ، بعد يومين (١٧ ايار) ، لواء مؤلف من ثلاثـة افواج يقوده العقيد الركن نجيب الربيعي ،

تلك هي القوات التي اشتركت في معركـة كيشر . وكان معها كتيبـة مدرعـات (اربعون مدرعة) آمرها طارق سعيد فهمي وكتيبة مدفعية (١٨ مدفعاً) من عيار ٢٥ رطلا وكتيبة اخرى من المدافع من عيار ٣٫٧ وسرية هندسة.

---

(١) اكد لي الزبيدي ، وهو يروي لي هذه القصة انه استحلف زميله الاردني باسم العروبة والاسلام كي يرجيء انسحابه ساعة واحدة على الاقل ، ريثما تصل قواته وتتسلم المشروع .

(٢) هذا ما رواه لي الزبيدي نفسه .

اما القوة اليهودية التي كانت في كيشر فما عرف العرب عنها شيئاً لانها كانت مختبئة في حصون متينة محصنة بالاسمنت المسلح، وفي خنادق مطمورة في جوف الارض . وان قدرها بعضهم بمئة وخمسين مسلحاً ، وقد استعملت في دفاعها مدافع قوسية (موتر) من عيار ٣ و٤ ورشاشات من طراز فيزا . ولم يكن حصار العراقيين للمستعمرة تاما ، بحيث كان باستطاعة النجدات ان تصلها باستمرار من سمخ ودجانيا ، ومن العفولة .

واحتلت تلك النجدات في طريقها الى كيشر القرية العربية المعروفة بـ (كوكب الهوى) احتلتها لتسيطر على ساحة القتال في كيشر . اذ انها واقعة على هضبة مرتفعة تشرف على كيشر وعلى ما حولها من بقاع .

ومع ذلك فقد تمكن العراقيون من عبور النهر ، ومن تطويق كيشر وراحوا يقصفونها من البر والجو . اذ اشتركت طائراتهم في القتال هناك ثلاثة ايام متوالية (١٥ و ١٦ و ١٧ ايار) . وفيما كانت هذه تقصفها من الجو والمدافع تقصفها من الجبال الواقعة في الضفة الشرقية للنهر ، عبرت سريتان من المدرعات النهر . عبرته من ناحية المنشية . ووقفت في موضع قريب من كيشر والى الجنوب منها . باستقامة كوكب الهوى ، وجاءت سرية اخرى (هي السرية الاولى) يقودها الرئيس الاول ثابت مشتاق فعبرت النهر واحاطت بكيشر من الناحية الغربية .

وجاءت سرية أخرى (هي السرية الثانية) يقودها الرئيس الاول عبد المجيد خضر فوقفت في المعبر ، على مقربة من مستعمرة بيت يوسف ، الى الشرق من كيشر .

وتقدمت سرية اخرى (هي السرية الثالثة) يقودها طاهر يحيى ، فراحت تزحف صوب كيشر من ناحيتها الشمالية .

وتمكنت هذه من الوصول الى الباب الحديدي ، فنطحته وحطمت جانباً منه . وكادت تدخله لولا ان تلقى العراقيون في تلك اللحظة امراً بالانسحاب . فانسحبوا الى قطاع السامرة وكان ذلك في ٢٠ ايار ١٩٤٨ .

ولا يعلم احد الا الذين كانت بيدهم مقاليد الامور لماذا أمر الجيش العراقي بالكف عن محاصرة كيشر وبينما كانت اللقمة قريبة من الفم . ولم تكن خسائره الى تلك اللحظة قد تعدت الحد المعقول اذ جاء في اخبارات وزارة الدفاع ان عدد الشهداء في معركة كيشر سبعة عشر جندياً ، وجرح مثل هذا العدد او اكثر قليلا .

اكد لي اللواء نجيب باشا الربيعي انه اعترض على الامر الذي صدر بانسحابه ولوائه في وقت كانت كيشر فيه على وشك السقوط . ولكنهم لم يأبهوا لاعتراضه .

والاغرب من هذا ان القوة العراقية التي انسحبت من قطاع جسر المجامع بقيت في (وادي العرب) بين اربد والشونة اربعاً وعشرين ساعة كاملة دون ان تقوم باي عمل يذكر

فلا ابقيت في كيشر لتتم عملها ، ولا سيقت فوراً الى السامرة او الى ايـة ناحية من نواحي الجبهة التي كان القتال فيها محتدماً . لا ، ولا عرف الناس الى الآن لمـاذا سيق الجيش العراقي الى تلك الناحية من الجبهة المنيعة بقلاعها وحصونها والتي لا تقدم في الحرب ولا تؤخر ، وكانت هناك مداخل اخرى لو أمر الجيش بسلوكها لسلكها بسهولة .

حدثني احد ضباط الاركان السابقين في الجيش العراقي ان ضابطاً عراقيا كبيراً سأل القائد العام نور الدين محمود : ـ هل أتينا لفلسطين لنصطدم بهذه القلعة؟ فأجابه باللهجة العراقية المعروفة : ـ

« انا شعلبه ؟ روح اسأل كلوب (١) » فـذهب الضابط الى كلوب ، وسأله السؤال نفسه ، فما كان من كلوب إلا ان انتهره قائلا : ـ

« انت هنا لتنفذ الخطة ، ولست هنا لتناقشها » وامره بالخروج .

عند ما انسحب العراقيون من قطاع جسر المجامع تركوا فيه فوجاً بقيادة العقيـد عبد الكريم . ثم استبدلوا ذلك الفوج في أواخر شهر حزيران ١٩٤٨ بفوج من رجال الشرطة عددهم سبعمئة ، يقودهم العقيد عبد القادر حسين . وانضم الى هذا الفوج بعد قليل رعيل (٤) من المدرعات وبطرية (٤) من المدافع .

ويؤكد العراقيون انه لا صحة لما قيل عن انسحابهم انسحاباً كلياً من ذلك القطاع ، ولو فعلوا ذلك لتمكن العدو من خرق الجبهة هنالك ، ولهدد مواصلات الجيش العراقي الممتدة من جسر المجامع الى المفرق .

كوكب الهوى (٢)

طوقها اليهود في اليوم الذي كان الجيش العراقي يجتاز فيه حدود فلسطين . طوقوها قاصدين احتلالها لئلا تقع كيشر بين نارين. نار المناضلين الفلسطينيين المرابطين فيها ونار النظاميين من العراقيين الذين ما ان اجتازوا الحدود حتى حطوا رحلهم في قطاع جسر المجامع طوقها اليهود بقوات كبيرة . ورغم ان حاميتها قاومتهم ، إلا انهم تغلبوا عليهـا ،

---

(١) يعني كلوب باشا رئيس اركان الجيش العربي الاردني ذو الكلمة العليا في حرب فلسطين وقـد اوضحنا ذلك في موضوع آخر من مواضيع الكتاب .

(٢) قرية عربية من قرى بيسان . مساحة اراضيها ٩,٩٤٩ دونمًا . وفيها ثلاثمئة نسمة من السكان (١٩٤٥) كلهم مسلمون . تقع على هضبة مرتفعة تشرف على كيشر ، وعلى بعد خمسة كيلومترات الى الجنوب الغربي .

وطردوها من هناك . وفيما كان اليهود يهمون باحتلالها أدركهم العراقيون . وكان لا بد لهم من استبقائها عربية ليتمكنوا من حماية الجناح الايسر لقواتهم التي كانت تهاجم كيشر من الجنوب . فقامت بين الفريقين معركة دامية ، انتهت بتغلب العراقيين . فاحتلوها ؛ والسرية التي احتلتها كانت بقيادة الرئيس الاول طالب جاسم العزاوي . وهي من سرايا الفوج الاول من لواء المشاة الخامس عشر . وهو (اي اللواء) من مرتبات الجحفل الاول

بقي العراقيون في القرية من الخامس عشر حتى مساء اليوم السابع عشر من شهر ايار. لم ينفك اليهود عن مهاجمتهم لها خلال الايام الثلاثة المذكورة ، وقد اشتد ضغطهم في اليوم الثامن عشر، حيث اتوها بقوات كبيرة ، وحاصروها من كل جانب ، قاصدين تخفيف الضغط العراقي عن كيشر . وقد نجحوا في خطتهم الى حد بعيد . عندئذ قرر العراقيون سحب سريتهم منها . ولكي تتمكن هذه من الانسحاب باقل خسارة ممكنة ، ساقوا اليها سرية اخرى. وما كادت شمس ذلك النهار (١٨ ايار) تجنح الى المغيب حتى كانت كوكب الهوى قد سقطت بيد اليهود . خسر العراقيون في معركة كوكب الهوى ٢٣ شهيداً بينهم آمر السرية الاولى الرئيس الاول طالب جاسم العزاوي .

الجيش المصري يجتاز حدود فلسطين

●

١ـ في اليوم الرابع عشر من شهر ايار (مايو) ١٩٤٨ اصدر رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا امره الى الجيش المصري باجتياز الحدود . اصدره باسم الملك فاروق بوصفه القائد الاعلي للجيش ؛ وجاء في البلاغ الرسمي الاول الذي اذاعته الحكومة المصرية (ان عمليات فلسطين مجرد حملة لتأديب العصابات الصهيونية .) واذاع شيخ الجامع الازهر في اليوم نفسه نداء الى المصريين قال فيه (ان النضال من اجل فلسطين جهاد مقدس

وفي صباح اليوم الخامس عشر راحت كتائب الجيش المصري تعبر الحدود .

٢ ـ كان هذا القرار مفاجئاً للكثيرين من رجالات العرب ؛ ولعدد كبير من المصريين الذين لم يتوقعوا دخول مصر الحرب . حتى عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة العربية فقد اعترف لشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، عندما سأله هذا في ١٣ ايار عما اذا كانت مصر ستدخل القتال ، اجابه بالنفي ، مستنداً الى ما كان قد سمعه من النقراشي نفسه .

وكذلك كان جواب عزام الى الملك عبد الله عندما التقيا في اريحا في اليوم التالي(١٤

ايار) وكم كان استغرابهما شديداً عندما سمعا في منتصف تلك الليلة، ان مصر اعلنت الحرب ذلك لان النقراشي كان الى تلك اللحظة ، ولسبب لا يزال مجهولا الى الآن ، لا يريد القتال حتى انه اراد، في بادىء الامر ، ان يمنع الاخوان المسلمين المصريين ان يدخلوا فلسطين . عندما اراد هؤلاء ان يتطوعوا لمساعدة اخوانهم الفلسطينيين اثر صدور قرار التقسيم ، وراح يضع العراقيل في سبيلهم ، ويحول دون وصول النجدات والمؤن اليهم . ليس هذا فحسب ، بل انه منع اولئك المجاهدين من الاخوان المسلمين الذين تسللوا الى فلسطين من العودة الى منازلهم .

كما انه (اي النقراشي) منع المناضلين الفلسطينيين ان يجوبوا الصحراء الغربية ليشتروا منها السلاح . وراح يطارد الالمان الاسرى الذين هربوا من المعسكرات الانكليزية في مصر، كي لا يتطوعوا في صفوف هؤلاء المناضلين .

هكذا كان موقف الحكومة المصرية من حرب فلسطين من اليوم الـذي صدر فيه قرار التقسيم الى مساء اليوم الثالث عشر من شهر ايار . ولكنه تبدل ، كما سبق وقلت ، في اليوم الرابع عشر ، وكان ذلك بتأثير من الرأي العام ، ونزولا عند رغبة الملك فاروق

٣ ـ لم يكتف النقراشي بان اعلن الحرب . بـل راح يعلن للملأ في وسط البرلمان إن مصر قادرة على تنفيذ رغبتها ، وان لها من الوسائل ما يكفل لها النصر .

ولكن . . .

كان الجيش المصري ، قبل حرب فلسطين ، مكوناً من تسع كتائب (١) وحينما صدر الامر بدخول فلسطين لم يكن على الحدود ، سوى ثلاث كتائب ، هي :

(١) الكتيبة السادسة . رئيس اركانها جمال عبد الناصر

(٢) الكتيبة التاسعة . رئيس اركانها عبد الحكيم عامر

(٣) الكتيبة الاولى . رئيس اركانها زكريا محي الدين

وفي قول : ان قوة الجيش المصري كانت ، عندما اجتازت حدود فلسطين ، عبارة عن ستة آلاف رجل ، وكان يرابط في العريش يومئذ ، على سبيل الاحتياط ، ستة آلاف آخرون ، وعندما راح الجيش يتغلغل في البلاد ورأى قوة خصمه سيق الجنود المرابطون على الحدود . وجيء بستة آلاف آخرين من مصر عـلى سبيل الاحتياط . وسيق هؤلاء

---

(١) هذه المعلومات اقتبستها من (مذكرات جمال عبد الناصر) تلك المذكرات التي نشرتها مجلة (اخر ساعة) المصرية في عددها ١٠٦٣ الصادر بتاريخ ٩ اذار ١٩٥٥

ايضاً في مراحل الحرب الاخيرة الى ميدان القتال ، فاصبح عـــدد المقاتلين المصريين في فلسطين لا يقلون عن ثمانية عشر الفاً .

كان القائد المسؤول عن هذه القوات ، في بادىء الامر، اللواء المواوي : ولما انتهت معارك النقب الاولى بالفشل سحبته الحكومة المصرية ، وعهدت بالقيادة الى اللواء احمـــد فؤاد صادق باشا . واما القوة السودانية التي كان يقودها الضابط السوداني الصاغ زاهر سرور فقد كانت خاضعة لاوامر القائد المصري ، وهو قائد الميدان .

معركة الدنقور

●

٤ـ كان اول عمل قام به الجيش المصري،عندما اجتاز الحدود ، ان حاصر مستعمرة (الدنقور) ، وهي قريبة من الحدود . والكتيبة التي حاصرتها هي السادسة ، كان يقودها محمد نجيب (١) حاصرتها في اليوم السادس عشر من شهر ايار . ولم يكن لديها ايـــة معلومات عن المستعمرة وسكانها ؛ لا ، ولا عن تحصيناتها ، واسلحتها . ولم يكن لدى رجال الكتيبة من الوقت ما يكفي لاجراء الكشف، وقد دلهم على موقع المستعمرة بدوي من البدو الضاربين خيامهم على الحدود ، وما كان هذا يعرف شيئاً عنها خـــلا موقعها والطريق التي تتصل اليها . .

واندفـــع الجنود الى الاسلاك ، الا انهم ردوا . ذلك لأن المستعمرة كانت محصنة تحصيناً كاملا ، وما كان باستطاعة المهاجمين ان يقتحموها بوسائلهم المحدودة ؛

ورغم ان الكتيبة المصرية أصيبت بخسائر جسيمة ، وارتدت على اعقابها الى رفح ، سمع الناس في تلك الليلة راديو القاهرة يذيع :

(ان عملية تطهير الدنقور تمت بنجاح !)

الطائرات المصرية تغير على تل ابيب

●

وفيما كانت عملية الدنقور قائمة كانت الكتيبة التاسعة تزحف صوب غزة ، وكانت

---

(١) انه اللواء الركن محمد نجيب الذي تزعم حركة الانقلاب المصري في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ واطاح هو ورفاقه الضباط الاحرار بالملك فاروق .

الطائرات المصرية تغير على تل ابيب ، وتقذفها بالقنابل ، وسقطت احدى هذه الطائرات اثر اصابة خزانها برصاصة يهودية . وكان يقودها نجل مدير قسم الخيالة في مصلحة البوليس . وكان هذا اول عربي يقع في شرك الاسر (١)

الجيش المصري يتجه نحو الشمال

●

٥ ـ بعد معركة الدنقور امرت الكتيبة السادسة بالتقدم نحو غزة . حيث تسلمت المواقع التي كانت تحتلها الكتيبة التاسعة ، وتحركت هذه (أي التاسعة) الى الشمال صوب دير سنيد .

وراحت الكتيبتان الاولى والثانية ، تزحفان صوب المجدل على الطريق الساحلي . هذا وقد تركت المستعمرات اليهودية المنتشرة في جنوب فلسطين وشأنها . فلم يكن بالامكان اقتحامها . لانها محصنة .

معركة يدمردخاي

●

٦ ـ اما الكتيبة التاسعة التي قلنا انها اتجهت شمالا صوب دير اسنيد ، فقد كان عليها ان تحتل مستعمرة (يد مردخاي) الواقعة على الطريق . وقد احتلتها بعد معركة حامية بدأت في ١٩ ايار وانتهت في ٢٤ . وبعد ان قذفها المصريون بما لا يقل عن الف قنبلة من قنابل المدافع الضخمة من عيار ٢٥ رطلا .

خسر المصريون في هذه المعركة عدداً غير قليل من رجالهم ضباطاً وجنوداً . وكان اكبر خطأ اقترفوه فيها انهم كانوا يهاجمون المستعمرة بالمشاة نهاراً . ولم تكن لديهم قوات مدرعة تكفي لحمايتهم .

روى جمال عبد الناصر الذي كان يومئذ يرابط في غزة انه كان على كتيبته (السادسة)

---

(١) لست ادري ان كان هذا هو محمود محمد بركة قائد السرب الذي ذكره عبد الرحمن عفان في الصفحة ٦٢ من كتاب (كنت اسيرا) والذي قال عنه انه سقط اسيرا بعد اغارته الثانية على تل ابيب في منتصف الساعة التاسعة من صباح ١٥ ايار ، وانه كان يحمل شارة (الاسير رقم ١) وقد جرح اثناء الغارة .

ـ وكان هو يومئذ ركنها ـ ان تمون الكتائب المصرية التي زحفت صوب الشمال ، وفيها الكتيبة التاسعة التي كانت تحاصر يدمردخاي. ولم يكن باستطاعته ايصال الوجبات الساخنة الى الخطوط الامامية ، اذ لم يكن بيده سوى الف جنيه هي التي سلمه اياها عبد الحكيم عامر ، وكل ما فعله جمال انه اشترى بذلك المبلغ كل ما كان في غزة من جبن وزيتون : وارسله الى ميدان القتال .

ولجأ اليهود الى حيلة هي التي جعلت المصريين يخسرون عدداً كبيراً من القتلى والجرحى هي انهم تظاهروا بادىء ذي بدء بالضعف ؛ ورفعوا علم التسليم ، ولما اقترب المصريون من الحصون ليتسلموها ، راح اليهود يحصدونهم بمدافعهم الرشاشة ، عندئذ صب المصريون على المستعمرة جام غضبهم ،فقذفوها بما لا يقل عن ثلاث آلاف قنبلة من العيار نفسه ، ثم هاجموها بالاسلحة الخفيفة الاخرى ، وزحف المشاة ، فاحتلوها ، وبلغت خسارة المصريين فيها مئتي شهيد .

تذكرت وانا انتبع اخبار هذه المعركة (أي معركة يدمردخاي) الخلاف الذي قام بيني وبين حافظ العلمي سنة ١٩٤٢ عندما شرع هذا في مفاوضته اليهود ليبيعهم ارضه التي بنوا عليها مستعمرتهم هذه . فلما نصحته ألا يفعل اجابني انه مضطر لذلك لانه في حاجة للمال يسد به ديونه الى عدد من البنوك ، والا اعلنوا افلاسه . فقلت له : خيرٌ لنا ان نفلس وان نموت جوعا من ان نتخلى عن ارضنا ونبيعها من اليهود ، ينشئون عليها القلاع والحصون .

ولما لم استطع اقناعه قلت لولاة الامور ، وكنت يومئذ قائمقاماً مسؤولاً عن ادارة غزة وقطاعها ، وكانت (دير سنيد) من اعمال ذلك القطاع . ان قيام مستعمرة يهودية في تلك البقعة من الارض يحيط بها عدد من القرى العربية فيه خطر على الامن . فاقتنع حاكم اللواء بصحة قولي . ولكن رجال السكرتيرية العامة بالقدس لم يقتنعوا ، فأجازوا البيع ، وما كاد اليهود يشترون الارض حتى انشأوا عليها مستعمرتهم هذه ، وكان من امرها وأمرهم ما كان .

بعثرة القوات المصرية

●

٧ ـ بعد معركة (يدمردخاي) ، وهي التي يسميها المصريون (دير سنيد)، تقدمت الكتيبة التاسعة نحو اسدود ، والكتيبة الاولى نحو المجدل : ومن هناك سارت هذه (اي

الكتيبة الاولى) صوب عراق سويدان والفالوجة وبيت جبرين .

وبدا للناس انه كان يهم القيادة المصرية ان تحتل اكبر مساحة ممكنة من الارض . فقد تبعثرت الكتائب الاربعة على خطوط طويلة ، واضحت في وضع لا يسمح لها بمهاجمة العدو . لا ، بل انها تكاد لا تقوى على حماية نفسها ومواصلاتها . حتى القيادة فانه لم يبق تحت تصرفها احتياطي متحرك تستطيع ان توجهه الى حيث تشاء ، او تضرب به العدو انى شاءت(١) .

وفي تلك الفترة من القتال وصلت الى الميدان كتيبة جديدة هي الكتيبة السابقة فاصبح عدد الكتائب المصرية المقاتلة خمسة .

معركة كفار نتساليم

●

٨ ـ قلنا ان الكتيبة التاسعة تقدمت ، بعد معركة (يدمردخاي) صوب اسدود . ولما كانت مستعمرة (كفارنتساليم) تقع في طريقها ، فقد أمرت بمهاجمة تلك المستعمرة. واراد ركن الكتيبة عبد الحكيم عامر ان يجري قرعة بين السرايا التي ترافقه ليحدد ايها تقوم بمهمة الهجوم . الا ان اليوزباشي محمود خليف قائد احدى السرايا رفض القرعة قائلا انه يريد ان يكون وسريته في الطليعة ، فهجموا . واحتلوا كفار نتساليم . احتلوها في ٧ حزيران ١٩٤٨ . واستشهد في هذه المعركة عشرة من المصريين بينهم اليوزباشي محمود خليق (٢) والملازم محمد محسن حمد . وجرح كثيرون بينهم الميرآلاي محمد نجيب وأركان حربه الصاغ عبد الحكيم عامر . والاثنـان الاخيران من قادة حركة الانقلاب العسكري الذي اطاح بعرش فاروق في ٢٣ تموز ١٩٥٢ .

توقف الجيش المصري عند اسدود

●

٩ ـ بعد معركة (كفار نتساليم) وصل الجيش المصري الى اسدود . وهناك وقف

---

(١) اقرأ ما كتبه في هذا الصدد البكباشي جمال عبد الناصر رئيس الوزارة المصرية في العدد ١٠٦٣ (من مجلة اخر ساعة) المصرية بتاريخ ٩ اذار ١٩٥٥ وكان هو في حرب فلسطين ركناً للكتيبة السادسة

(٢) لست ادري ان كان هذا هو الاسم الصحيح ، ام انه اليوزباشي سعد خليفة الذي ورد اسمه في قائمة الشهداء المصريين ، ام ان كلا الاسمين صحيح ، وان كلاهما من الشهداء .

وراح يلتزم خطة الدفاع ، بدلا من الهجوم ، فلم تستطيع ان يتقدم الى يبنا ، البلد الذي كان يعتزم الوصول اليه . وهو البلد العربي الوحيد في تلك الجبهة .. والقريب من اليهود.

غزة

●

لم يكن في غزة ، عندما جد الجد وذر قرن النضال في فلسطين عقب قرار التقسيم ، الا النذر اليسير من السلاح ، وان كان فيها عدد غير قليل من الشباب المخلصين والرجال المدربين على حمل السلاح والتجوال في ميادين القتال .

وما كـــاد الجو يدلهم حتى راح الناس يهبون من رقادهم ، وراح الزعماء يتنادون فألفوا من بينهم لجنة لادارة شؤون النضال . وقد اسموها (اللجنة القومية) ، وكانت هذه مؤلفة من خمسة وخمسين رجلا ؛ من رجالات المدينة : نذكر منهم السادة : ـ

موسى الصوراني ـ رشدي الشوا ـ رجب ابو رمضان ـ عبد الخالق ابو شعبان ـ حسني خيال ـ محمد ابو شعبان ـ عاصم بسيسو ـ محمد دلول ـ موسى حلس ـيوسف الصايغ ـ حمدي الحسيني ـ رشاد الطباع ـ منير الريس ـ رأفت البورنو ـ الشيخ عبد الله القيشاوي ـ ابراهيم الصوراني ـعيسى سيسالم ، عبد القادرحتحت ـ احمد سكيك.

الاثنا عشر الاولون تولوا ادارة الشؤون السياسية ، والسبعة الباقون للشؤون المالية. وانتخب رشاد الطباع امينا للسر ورشدي السقا مساعداً له ، وكان الاعضاء كلما اجتمعوا ينتخبون واحد من بينهم لرئاسة الجلسة . . ولكن هؤلاء الاعضاء لم يكونوا متحدين ، ولا كانوا متجانسين وبعضهم يحترمون الهيئة العربية العليا ويميلون للاخذ برأيها . وكانوا يسيرون على الخطة التي يرسمها لهم رئيسها الحاج امين . والبعض الآخر يكرهون تلك الهيئة ولا يميلون للاخذ برأيها ، وكان هناك فريق ثالث لا يميل الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهذا ما جعل اللجنة كثيرة التردد في قراراتها ، وهو الذي حال دون نجاحها في كثير من الامور ، ومع ذلك فمن الانصاف ان نذكر ان اللجنة قدمت لبلدها خدمات لا بأس بها وان زعمـــاء غزه لم يغادروا مدينتهم اثناء النضال ، ولم تلهيهم عن واجباتهم الغارات الجوية المتواصلة التي كان يقوم بها اليهود اثناء معارك النقب . وان الامن في داخـــل المدينة وفي القطاع التابع لها كان مستتبا ، وان الفضل في ذلك يعود للتدابير التي اتخذتها اللجنة القومية . فان اول عمل قامت به تلك اللجنة هو جمع التبرعات من القادرين على

الدفع ، ولما رأت ان المبالغ التي جمعتها عن تلك الطريق لا تفي بالمرام ، راحت تفرض على السكان بعض الضرائب .

وانا لذاكرون بصورة خاصة الضرائب التي فرضت على البضائع المستوردة والمصدرة والتي جمعت من الاشخاص الذين يحصلون على (هويات) (١) وبلغت واردات اللجنة عن تلك الطريق اثنين وعشرين الف جنيه ، انفقتها على المتطوعين وعلى اطعامهم ونقلهم وما الى ذلك من الشؤون ، وانفقت جانباً كبيراً منه في سبيل الحصول على السلاح ، وكانت الصفقة الاولى من الاسلحة التي اشترتها عبارة عن ستين بندقية ايطالية .

ودعت اللجنة القومية ابناء غزة للتطوع فتقدم منهم ، في بادىء الامر ، زهاء اربعين وكان هؤلاء هم النواة الاولى لحامية المدينة ، وازداد عددهم بعد حين فبلغ المئة ،وكثيراً ما جاوز المئتين . ولكن هذا العدد لم يكن دوما ثابتاً ، فكثيراً ما كان ينقص ويزداد تبعاً للظروف والاحوال ، وثبات المتطوعين . وتم تنظيم المتطوعين بعد قليل ، فألفت منهم فرقة اسموها (فرقة الجهاد المقدس) ، الفت من ١٨٥ مسلحاً منهم :

١٠٩ غزيون ٩ مصريون ٥ سوريون ٣ يوغسلافيون ٢ عراقيان ١ لبناني ١ الباني والباقون (٥٥) من مدن فلسطين وقراها الاخرى .

واطلعت على السجل الذي دونت فيه اللجنة القومية اسماء هؤلاء المسلحين ، فعلمت منه انه كان فيهم ١٥ ضابطاً و ٣٧ صف ضباط و ١٣٣ جنديا ، اما الضباط فهم المقدم عبد الحق العزاوي (عراقي) وكانوا يسمونه (ابو ماضي) وهو الذي عهدت اليه الهيئة العربية العليا بقيادة هذه الحامية ، وكان يعمل معه الرئيس الاول محمد عليم تراجارني (البانيا) والرئيس الدكتور محمود كمال (يوغسلافيا) والملازم الاول جمال الصوراني(غزه) والملازم الاول مالك الحسيني (القدس) والملازم الثاني خليل عويضه (غزه) والملازم الثاني خالد وناس المغربي (يافا) وانتدبت اللجنة القومية السيد سعيد العشي ليساعد العزاوي في اعماله الادارية .

وقسمت قوة الجهاد في غزه (٢) الى ثلاث سرايا فعهد بقيادة السرية الثالثة (بنادق مشاة) الى الملازم الاول راسم مصطفى علي (يوغسلافيا) والسرية الثامنة الى الملازم

---

(١) بطاقات شخصية تلصق فيها صور اصحابها وتدلك على اسمائهم ومدنهم وصفاتهم .

(٢) ظلت هذه القوة تعمل حتى اليوم الثالث من شهر شباط (فبراير) ١٩٤٩ حيث حلت وصودرت اسلحتها . وسنذكر ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

الثاني ابراهيم محمود السعدني (يافا) واما السرية التي كان يقودها الملازم الاول عبدالحفيظ العسيلي (الخليل) فكانت تعمل في دير البلح .

وزودت الهيئة العربية تلك الفرقة بـ :-

٧١ بندقيـة انكليزية ٣٩ بندقيـة المانية وبندقيتين اميركيتين وبندقيتين ايطاليتين وبندقيتين روسيتين و ٨ برنات و ٦ ستنات و ٤ تومي و ١٥ مسدس و ٢ رشاشا من طراز لويز و ٤ مدافع مضادة للدبابات (بويز) .

وانضم الى المناضلين المتقدم ذكرهم بعد قليل عدد من المتطوعين جاءوا من مصر بقصد الجهاد . واول من جاء منهم هم الاخوان المسلمون المصريون ، وهبط من هؤلاء في بادىء الامر عبد المنعم النجار ، وبعد ذلك بقليل جاء اليوزباشي كمال صدقي . جاءا ليجوسا خلال الديار ثم عادا الى مصر ليأتيا بالمتطوعين .

وجاء في اعقاب ذلك رجل يدعى (الحاج حسني المنياوي) وهو مصري ، فتولى هذا قيادة المناضلين الغزيين . انه مؤمن وصالح ، وان كان تاجراً ينقصه الخبرة في الشؤون العسكرية ، جاء عند بدء النضال في اوائل عام ١٩٤٨ ، وراح يشتغل مع المناضلين الفلسطينيين جنبا الى جنب . وكثيراً ما عرقل سير القوافل اليهودية ، وكان له ولهم الفضل في تخريب الانابيب التي تسيل فيها المياه من بيت حانون الى المستعمرات اليهودية الكائنة في الجنوب ، وكان ينفق على نفسه من جيبه ، وظل يكافح الى ان جرح في المعركة وقد اصيب في عدة مواضع من بدنه وفقد احدى عينيه ، فعاد الى مصر . ومن المناضلين الفلسطينيين الذين استشهدوا بينما كانوا يحاربون معه مدحت الوحيدي ويوسف داود وابن الافرنجي .

وقد ذكرنا ما اصابهم في موضع آخر من الكتاب .

وجاء بعد قليل فريق من الاخوان المسلمين المصريين يقودهم (الشيخ محمد فرغلي (١) وعددهم حوالي ثمانين ، ارسلهم المرشد العام حسن البنا . وقد عسكر هؤلاء في معسكر

---

(١) انه عضو في مكتب الارشاد . اصله من مدينة الاسماعيلية . حكمت عليه (اي على الشيخ محمد الفرغلي) محكمة الشعب في القاهرة بالاعدام لاشتراكه في مؤامرة قيل ان الاخوان المسلمين دبروها لقلب نظام الحكم في مصر واغتيال البكباشي جمال عبد الناصر رئيس الوزارة المصرية ورئيس مجلس قيادة الثورة . وقد صدر الحكم باعدامه واعدام ستة اخرين من زعماء الاخوان المسلمين في طليعتهم المرشد العام السيد حسن الهضيبي . وكان ذلك بتاريخ ٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٤ وقد اقترن الحكم يومئذ بموافقة مجلس الثورة ، الا حسن الهضيبي ، فقد خفض حكم الاعدام الذي صدر ضده بالسجن المؤبد

النصيرات على مقربة من دير البلح . واشتبكوا في قتال مع اليهود مراراً ، ولا سيما في (كفار داروم) وقتل منهم عشرون .

وجاء بعد قليل البكباشي (الورداني) من جماعة احمد عبد العزيز ومعه زهاء مئتي متطوع . معظمهم من الليبيين ، جاءوا من العريش الى خان يونس عن طريق الشاطيء ولكنهم لم يمكثوا في غزة ، بل رابطوا في عراق مويدان . وسافر فريق منهم مع احمد عبد العزيز الى قطاع الخليل وجنوب القدس .

واما (الشيخ محمود ابو العزائم (١)) الذي جاء في شهر نيسان مع سبعين مناضلامن المتطوعين المصريين وكانوا يلقبون انفسهم (انصار الحق) - فانه لم يفعل شيئاً . لا ، ولاكان رجاله من الفهم والادراك بحيث يستطيعون العمل ، انهم ، على ما بدا منهم ، كلهم دراويش . لا يعرفون اساليب النضال، وان كانوا يعرفون طريقة التصوف وقراءة الاوراد . وكان معهم ثلاث ممرضات ، وطبيب واحد . ورغم ان هذا كان من المتخصصين في طب الاسنان ، فقد كان اطرشا ، وما كان يصلح للقتال .

ولم تمكث هذه الجماعة في فلسطين اكثر من عشرين يوما ، بل رحلوا منها دون ان يقوموا بأي عمل يذكر .

وارسلت الهيئة العربية العليا من مصر ستة من الالمان الذين تطوعوا للقتال في صفوف العرب ؛ ارسلتهم خصيصا لتدريب المناضلين على الالغام ، وطرق استعمالها ؛ وكانوا من الاخلاص والجرأة على جانب عظيم ، وكانوا يسمون انفسهم باسماء عربية كمحمد وعبد الله وما الى ذلك .

ولادلنك على روح التضحية التي كانت تسيطر عليهم اود ان اذكر لك ما قاله لي اكثر من واحد من المناضلين ، وهو ان احدهم (محمد) رأى وهويعلّم المناضلين ان اللغم الذي جعله موضوعا لدرسه قد اشتعل ، وانه متفجر لا محاله ، وانه اذا ما تفجر اودى بحياة المناضلين الذين من حوله وكانوا كثيرين ، فأمرهم حالا بالابتعاد وانبطح هو على اللغم الذي اشتعل فقضى عليه ، وعلى واحد من المناضلين لم ينتبه الى الامر . فقضى عليه هو ايضا واسمه سعيد العشي .

وقضى نحبه الماني آخر كان يقاتل اليهود في صفوف المصريين عندما هاجم هؤلاء مستعمرة (يد مردخاي) ، ظنه المصريون يهوديا ، فقتلوه .

وما دمنا قد ذكرنا الالمان المتطوعين فانه ليجدر بنا ان نذكر ، والشيء بالشيء يذكر

---

(١) انه شيخ طريقة من الطرق المذهبية المعروفة في الاسماعيلية .

انه كان هناك في معسكر دمرة البريطاني خمس عشرة دبابـــة من الدبابات الثقيلة تركها اصحابها الانكليز . فرآها الالمـــان الستة الذين ذكرناهم في السطور المتقدمة ، فجروا احداها ، جروها في عشر سيارات كبيرة ومحراث كبير (تراكتور) ، وساعدهم في جرها زهاء مئتي شخص من المتطوعين ومن سكان القرى المجاورة . ولما وصلت الى غزة كان العطب قد اخذ منها مأخذه ، فعمروها واستعملوها في مقاتلة اليهود . وكان لها الفضل في معارك دير اسنيد ومستعمرة يد مردخاي ، وفي كفار نتسانيم . وكان يقودها في هذه المعارك المجاهد الغزي المعروف (خالد فيصل) .

وكانت اسلحة المناضلين عبارة عن بنادق اعتياديـــة (انكليزية وايطالية وفرنسية وعثمانية) . اكثرها قديم وبعضها ــ وهو القليل ــ حديث . واما عتاد الجميع فضئيل

واشترت اللجنة القومية رشاشين من طراز برن ورشاشا من طراز تومي وبندقيـــة مضادة للدبابات (بويز) .

وكان لديها اربع سيارات للنقل ، واثنتان صُفحتا واستُعملتا بقصد الحراسة ، وسيارة لشؤون الاسعاف .

واتخذ المناضلون الغزيون (مطار غزه) الكائن عـــلى بعد ميل واحد من مدينتهم الى الجنوب مقراً لهم . وكان البريطانيون قد سلموا هذا المطار العسكري الى البلدية قبل جلائهم عن المدينة بخمسة ايام . وهذه سلمته الى اللجنة القومية .

وما كـــاد العرب يتسلمونه حتى جاء اليهود سكان المستعمرات المجاورة له يبغون الاستيلاء عليه ، واشتبك الفريقان من اجله . ولكن الغلبة كانت للعرب . فاندحر اليهود تاركين وراءهم عدداً من القتلى . واعطبت مصفحة ، الا ان اليهود تمكنوا من جرها وجر قتلاهم .

وكان يقود المناضلين ، كما سبق وقلنا ، المقدم عبد الحق الغزاوي ، هذا في غزة ، واما في المجدل فكان يقودها طارق الافريقي .

ووضع الاثنان في فترة قصيرة من الوقت تحـــت امرة (اللواء عبد الواحد سليمان سبل باشا) (١) الذي ارسلته الجامعة العربية من مصر لقيادة النضال في جنوب فلسطين . وجاء معه اثنان من كبار الضباط المصريين هما : ــ اليوزباشي مصطفى كمال صدقي ــ واليوزباشي عبد المنعم النجار . ولكن هذا (اي سبل) لم يمكث في غزة سوى بضعة

---

(١) كان هذا رئيسا لجمعية (شباب محمد وهو ضابط مصري متقاعد .

ايام . فعاد الى مصر عندما رأى قلة السلاح والعتاد ، ورأى فوق هـذا وذاك الفوضى ضاربة اطنابها في كل ناحية .

ولما اشتد النضال في قطاع غزه ، ورأت اللجنة القومية ان عبد الحق الغزاوي (١) لا يصلح للقيادة ، انتدبت وفدا مؤلفا من ثلاثة اشخاص (٢) فزار الوفد عمان وبيروت والشام والقاهرة . وكان ذلك في اوائل شهر ابريل ١٩٤٨ وبعد ان تحدث الى المسؤولين في العواصم العربية الاربع المتقدم ذكرها واوضح لهم حقيقة الوضع في فلسطين عاد يجر اذيال الخيبة والفشل . وكل ما استطاع ان يحمله معه مئة بندقية ، ومئة الف طلقة منها ما هو انكليزي ومنها ما هو الماني ، وعدداً من قنابل اليد المانية وايطالية ، ومئة جندي يقودهم العقيد عاهد السخن . واتى الوفد معه بمدفع واحد من مدافع الهـاون . الا ان اللجنة العسكرية عادت فاستردت هذا المدفع ، وبعثت به الى يافا .

أما الطلقات والقنابل اليدوية فقد زودهم بها الحاج امين . واما الجنود والبنادق فقد زودتهم بها اللجنة العسكرية بدمشق . ووعدهم عبد الرحمن عزام الامين العـام للجامعة بمئة الف جنيه وبطارية مدافع (٣) . ولكنه لم ينفذ وعده .

غادر العقيد السخن دمشق قاصداً غزة وقد وصلها عن طريق العقبة . وعندما حط رجله فيها (أي في غزه) تسلم حاميتها . وفي البيان الاول الذي اذاعه على الناس بوصفه (مساعد الحاكم العسكري لمدينة غزة ولوائها) قال : « ان قيادة جيش الانقاذ هي التي انتدبته » . وقد أمضى بيانه الثاني بوصفه (قائد اللواء الجنوبي) .

وانتدب عبد الحق الغزاوي مساعداً له . . واما المئة جندي الذين دخلوا معه فانهم مزيج من المتطوعين الفلسطينيين والليبيين والاردنيين والمصريين والسوريين . وكانوا قد دربوا على القتال في معسكر (قطنا) . وقد اتخذوا مطار غزة مقراً لهم .

وما ان وصلوا حتى انضم اليهم ـ مئة متطوع من ابناء غزة فأصبحوا مئتين . وقصارى القول كان عدد المناضلين قبل انسحاب الانكليز من البلاد كما يلي :

---

(١) كان هذا مكروها من لدن اللجنة العسكرية بدمشق ، واستغرب الهاشمي كيف تولى قيادة النضال وقيل انه اي الهاشمي ما كان يكرهه الا لان الحاج امين هو الذي رشحه لقيادة المجاهدين والله اعلم بالصواب .

(٢) هم فايق بسيسو ، الدكتور رشاد الطباع ، وديع ترزي .

(٣) كان في مستودعات الجيش المصري مدافع اشارت البعثة العسكرية الانكليزية بالغائها وعدم استعمالها لقدمها . والذي دل عزام عليها هو اللواء المتقاعد عبد الواحد سبل باشا ، وطلبها عزام من محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء . الا ان هذا (اي النقراشي) رفض تسليمها ولا يدري احد حتى الآن لماذا رفض ؟

عدد	
١٠٩	(أ) غزيون **جهاد مقدس**
٧٦	(ب) متطوعون من ابناء فلسطين وسوريا والعراق وليبيا والبانيا ويوغوسلافيا ارسلتهم الهيئة العربية مع عبد الحق الغزاوي .
٨٠	اخوان مسلمون مصريون جاءوا بقيادة الشيخ محمد فرغلي ، ارسلهم المرشد العام حسن البنا .
١٠٠	(أ) غزيون **جيش الانقاذ**
١٠٠	(ب) متطوعون من ابناء فلسطين وسوريا والأردن وليبيا جاءوا مع العقيد عاهد السخن .
٦	المان متطوعون
٤٧١	

وتألفت في بعض الاحياء المحلية بالاضافة الى حامية المدينة المتقدم ذكرها ، فرق صغيرة مستقلة كالفرقة التي تألفت في حارة الزيتون ، وقد اسموها (الفرقة المحمدية) ، مهمتها حراسة الحي . انها وان لم تكن تابعة للجنة القومية الا انها تتعاون معها وكانت هذه تمدها بالعتاد عند اللزوم .

واما عدد المناضلين في القرى التابعة لغزة فكان كما يلي :

العدد	القرية
١٣٠	برير (وكان حولها عشيرتان من الثوابتة والسواركة في كل منهما عشرون مسلحاً)
٥٠	سمسم
٣٠	دمرة
٢٠	نجد
٢٠	حليقات
١٠	المنصورة
٥٠	عراق سويدان
٣١٠	

وكانت هناك في غزة ، وفي اواخر عهد الانتداب ٩ - ٤ - ١٩٤٨ سرية اردنية هي السرية السادسة (مشاة) من سرايا الجيش العربي . يقودها ضرغام الفالح . ومعه اثنان من الضباط الاردنيين هما : مصطفى الجبور وعيسى الزعمت . وكثيراً ما آزرت هذه السرية المناضلين من ابناء غزه والقرى المجاورة لها في اعمالهم التي ازعجت اعدائهم اليهود

وكانت تمد المناضلين بالعتاد . حتى انها (اي السرية الاردنيـــة) اشتركت في ضرب مستعمرة بيرون اسحق بمصفحاتها . وكان رجالهـــا يلبسون الثياب المدنية ، وفيما كان المناضلون يقومون بأعمال الحراسة داخل المدينـــة كانت السرية الاردنية تتولى حراسة ابواب المدينة ، وكان ضرغام يشرف على اعمال المناضلين بوجه عام .

ولكن هذه السرية انسحبت من البلاد مع الجيش البريطاني عند انتهاء الانتداب في ١٥ ايار .

ولم تجر بين العرب واليهود المقيمين في قطاع غزة معارك كبيرة تستحق الذكر والتدوين اللهم الا في منطقة دير البلح وكفار داروم وفي بيت داراس :

وقد ذكرناها كلها بالتفصيل في مواضع اخرى من هذا الكتاب .

وقد انحصرت اعمال المناضلين في هذا القطاع في عرقلة سير القوافل اليهودية والحيلولة دون وصول المؤن والاسلحة الى المستعمرات الواقعة في جنوب فلسطين .

وعملهم هذا ، في حد ذاته ، مهم وشاق ، ولأدلنك على مبلغ اهميته عليّ ان انقل اليك فيما يلي اسماء المستعمرات اليهودية المنتشرة في هذا القطـــاع (اي القطاع الغزي) ومساحة الاراضي التي تشغلها كل واحدة منها ، وعدد سكانها مقتبسين ذلك أولا من كتابنا « تاريخ غزة » ثم من سجلات الحكومة الرسمية :



اسماء المستعمرات اليهودية في قطاع غزة

عدد متسلسل	اسم المستعمرة	مساحتها بالدونمات	عدد سكانها	تاريخ تأسيسها	ملحوظات
١ ـ	بيار تعبيا	٤٧٠٠	٧٦٨	١٨٩٥	معناها (بئر خير الله) ثار العرب فدمروها في اوائل الاحتلال البريطاني . وأنشئت من جديدعام ١٩٣٠ قريبة من القسطينة .
٢ ـ	غان يبنا	٤٥٦٨	٤٧٦	١٩٣٣	معناها (بستان الحمكة)
٣ ـ	كفار بتساورن	١١٣٠	٢١١	١٩٣٣	معناها (القرية المحصنة) من اراضي السوافير
٤ ـ	نقبا	٢٦٨٢	٤١٠	١٩٣٩	معناها (نحو الجنوب) واقعة في اراضي بيت عفا وعراق سويدان
٥ ـ	كفار واربورغ	٢٠٠٠	٣١٠	١٩٣٩	نسبت الى (فليكس واربورغ) احد زعماء اليهود في اميركا واقعة في اراضي القسطينة والسوافير
٦ ـ	غات	٥٥٠٠	٢٨٦	١٩٤١	سميت على اسم (غات) الفلسطينية القديمة واقعة في اراضي عراق المنشية
٧ ـ	دوروت	٥٥٠٠	٢٥٩	١٩٤١	يتكون هذا الاسم من الحروف الثلاثة الاولى لـ (روف هوز) وامرأته (رفقة) وبنته (ترصة) واقعة في اراضي هوج .
٨ ـ	محار اوكفارعام	٤٣٥٠	٢٢٥	١٩٤٢	واقعة في اراضي سمسم
٩ ـ	نيرحايم اونيرعام	٢٨٠٠	٢١٦	١٩٤٢	واقعة في اراضي بيت حانون
١٠ ـ	رامات هاشومرون	٦٠٠٠	٤٣٥	١٩٤٣	انها اول مستعمرة اقامها اليهود المتدينون في فلسطين
١١ ـ	قريات شموئيل	٣٣١٢	٢٤٥	١٩٤٣	واقعة في اراضي القسطينة
١٢ ـ	يدمردخاي	١٧٣٩	٤٩٥	١٩٤٤	في اراضي هربيا ودير سنيد شراها اليهود من حافظ العلمي

عدد متسلسل	اسم المستعمرة	مساحتها بالدونمات	عدد سكانها	تاريخ تأسيسها	ملحوظات
١٣ —	كفار داروم	٢٦٢	١٤٠	١٩٤٤	من اراضي دير البلح شراها اليهود من وديع فرنسيس قائمقام غزه في ذلك الحين .
١٤ —	كفار نتسانيم	١٩٨٦	١٩٠	١٩٤٤	من اراضي حمامه
١٥ —	بيروت اسحق	٥٨٥٠	١٨٨	١٩٤٥	من اراضي التركمان من احياء غزة اقرب مستعمرة الى المطار . شراها اليهود من آل الحسيني .ولعلها هي التي يسمونها (بديبره) وقد تكونان مستعمرتين منفصلتين .
١٦ —	سدى عفيفا	٤٨٨١	٢٥٠	١٩٤٥	من اراضي الجديده من احياء غزه على طريق بير السبع وتعرف بين الناس بـ Wivless
١٧ —	كدما	١١٢٢	١٨٠	١٩٤٦	من اراضي تل الترمس من قرى غزه
١٨ —	نبايا	٣٢٢٠	٣٥٠	١٩٤٧	من اراضي ياسور

وهناك اربع او خمس مستعمرات اخرى لا اعرف اسماءها .

وكذلك كان الوضع في ١٥ ايار عندما ولى عهد الانتداب ، ذلك العهد البغيض ، الادبار .

وعندما اجتاز الجيش المصري حـــدود فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ وتولى في ذلك القطاع انحصرت اعمال المناضلين الفلســطينيين في حراسة الشواطيء والطرق وخطوط السكه الحديدية .

وكان اول من تقدم من الضباط المصريين الميرالاي محمد نجيب الذي صار فيما بعد رئيساً للجمهورية . وكان اول عمل عمله هذا ان راح يضرب المستعمرة اليهودية القريبة من دير البلح والمعروفة بـ (كفار داروم).

وفي مساء اليوم نفسه ١٥ ايار وصلت طلائع الجيش المصري الى غزة .

وفيما كان المصريون يتقدمون الى الامام ويحتلون مراكزهم في رفح وخان يونس ودير البلح وغزه . كان الفلســطينيون يرحبون بهم اجمل ترحيب وقد رفع هؤلاء على

دورهم ومنازلهم ومكاتبهم ومخازنهم العلمين : الفلسطيني والمصري وراحوا يهنيء بعضهم بعضاً . ولم يرتابوا ، في ان النصر قريب . وان اليهود سيرفعون حتما علم التسليم ، ان لم يكن اليوم ، ففي الغد ، وكل آت قريب ، واذاعت اللجنة القومية بيانا دعت فيه المواطنين الى مساعدة الجيش المصري وتسهيل مهمته ومعاملة افراده المعاملة اللائقة بجيش عربي كريم قدم البلاد لنجدتنا ونصرنا . وختمت بيانها بقولها : « عاش الملك فاروق القائد الاعلى للجيش المصري ، عاش الجيش المصري الباسل ، وعاشت فلسطين عربية عزيزة » .

ولكن المصريين لم يقابلوهم بالمثـل ، بل راحوا يسمعونهم من قوارص الكلم ما جعلهم (اي الفلسطينيين) يعتقدون ان المصريين لا يثقون بهم ، واخيراً راح المصريون يصارحونهم انهم (اي الفلسطينيين) خونة مارقون ، وانهم يعتزمون بيع الجنود المصريين الى اعدائهم اليهود . من هنا ذرّ قرن الخلاف .

ولقد اشتد هذا عندما راح المصريون يصادرون اسلحة الفلسطينيين .

فقد كان في غزة ثلاثة اجهزة لاسلكية رقمها ١٩ وهي اميركية من النوع المخترع سنة ١٩٤٢ صادرها الجيش المصري عندما اجتاز حدود فلسطين . كما صادر حاكم غزة الاداري اليوزباشي كمال بسمة بعدئذ(١) محطة لاسلكية للاذاعة .

وصادر الجيش المصري بعدئذ(٢) ١٢٠ قطعة من السلاح وآلافا من الطلقات كانت في حيازة (الجهاد المقدس) بغزة . كما صادر (٣) ١١٢ خريطة من الخرائط العسكرية التي كانت تملكها تلك القوة . وما شك عقلاء الجانبين (الفلسطينيين والمصريين) في ان اليهود وأتباعهم المنبثين بين الصفوف من رجال الطابور الخامس بذلوا جهوداً جبارة في توسيع شقة هذا الخلاف .

ومما يؤسف له انه بينما كان الفريقان يتجادلان في هذا المضمار وبينما كان الجيش المصري يعبر الحـدود ويزحف نحو الشمال كان اليهود من النـاحية الشمالية يزحفون صوب الجنوب .

واحتل هؤلاء (اي اليهود) معظم القرى الواقعة في شمال غزة كالسوافير والقسطينة وتل الترمس وياصور وجولس والمسميتين الكبيرة والصغيرة . ووقفوا على حدود القرية المعروفة بـ (اسدود) .

---

(١) في ١٩٤٩/١/١٧

(٢) في ١٩٤٩/١/١٨

(٣) في ١٩٤٩/٢/١٧

واما المصريون فقدحطوا رحلهم عند (وادي ابي سويرج) وهذاهو اقصى حدوصلوا اليه وهو الحد المفروض بين العرب واليهود في قرار التقسيم (١)

الاخوان المسلمون المصريون وحرب فلسطين

قلنا في غير هذا الموضع من الكتاب ان الحكومة المصرية التي كان يرأسها النقراشي ما كانت تريد ان تدخل الحرب الفلسطينية ، وانها ما دخلتها الا استجابة لرغبة الشعب المصري ، والملك فاروق ، وللرأي العربي العام . وكان للاخوان المسلمين فضل في اقناع ولاة الامور انه لا مناص من السعي لنجدة فلسطين . وكانوا هم (اي الاخوان المسلمون) البادين . اذ ابرق المرشد العام الشيخ حسن البنا الى مجلس الجامعة العربية عند اجتماعه بعاليه في ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ يقول انه على استعداد لان يبعث كدفعه اولى بعشرة آلاف مجاهد من الاخوان ، وتقدم من فوره بطلب الى حكومة النقراشي طالباً السماح لفوج من هؤلاء المجاهدين باجتياز الحدود . ولكنها رفضت الطلب (٢) . ولما طلبوا اليها ان تسمح لهم بالقيام برحلة علميـــة في (سينا) والحوا في طلبهم ، اضطرت للموافقة ، فاجتاز فريق منهم الترعة الى سينا ، ومـــن هناك راحوا يتسللون الى ربوع فلسطين . وكان ذلك في شهرشباط عام ١٩٤٨ .

١ـ وعندما بدأهؤلاء يناوشون المستعمرات اليهودية القائمة في بئر السبع واتصل بالحكومة امرهم طلبت الى المركز العام للاخوان في القاهرة ان تسحب قواته من فلسطين. ويعتقد الكثيرون ان ذلك وقع نتيجة لاحتجاج اليهود واصرار الانكليز الا ان الاخوان رفضوا الانسحاب . عندئذ راحت الحكومـــة تراقب الحدود ، وتحول دون وصول النجدات والمؤن اليهم . فعاشوا اياماً طوالا على التمر والمـــاء ، ليس هذا فحسب بل انها (اي حكومة النقراشي) منعت عودة المجاهدين الذين يغادرون الميدان لزيارة اهلهم في اجازات قصيرة . فـــالغى الاخوان اجـــازاتهم ، وراحوا يتدربون عـــلى القتـــال في معسكر (قطنة) بسوريا .

---

(١) بعد هذه المقدمة يجدر بك ايها القارىء الكريم ان تقرأ ما كتبناه في مواضع اخرى عن المعارك التي قامت بين الفريقين ، وما اصاب غزه في معارك النقب الاولى والثانية .

(٢) اقرأ الصفحة ٤٧ من كتاب (الاخوان المسلمون في حرب فلسطين) لواضعه كامل اسماعيل الشريف . طبع في مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٩٥١

٢ ـ ولما رأت الحكومة المصرية انه لا مناص من دخول الحرب رضيت عن حركتهم ولو الى حين وسمحت لهم بالتدرب على القتال في معسكر (الهاكستيب) بمصر وزودتهم الحكومة بالاسلحة . كما زودتهم بمئة جندي من جنود المدفعية وعدد من الضباط تركوا الجيش وقد ارتدى هؤلاء ملابس الاعراب . وطلبوا بعض الطائرات بلون مختلف عن لون الطائرات المصريـة . وراح الجميع يتنادون للقتال . وكان يشرف على حركة التطوع الصاغ (محمود لبيب) وكيل الاخوان وقائد وحداتهم العسكرية . واما برامج التدريب فكان يشرف عليها البكباشي (حسين مصطفى) من رجال الجيش المصري . وتولت الجامعة العربية امداد الحركة بالمال فتألفت منهم ثلاث كتائب :

الاولى ـ يقودها البكباشي احمد عبد العزيز (١) وكانت تعمل في بادىء الامر في النقب ، ثم انتقلت الى القطاع الكائن في جنوب القدس .

الثانية ـ يقودها البكباشي عبد الجواد طباله وقد رافقت في بادىء الامر الجيش المصري في المعارك التي دارت رحاها في قطاع غزة. ولما استشهد احمد عبد العزيز استقرت في قطاع بيت لحم الى الجنوب من القدس .

الثالثة ـ يقودها اليوزباشي (محمود عبده) وقد عهد اليها بالدفاع عن صور باهر متضامنة في ذلك مع الاخوان المسلمين الاردنيين يقودهم (عبد اللطيف ابو قورة).

وابتهج عرب فلسطين لهذه الحركة ، وانخرط كثيرون منهم في صفوف الاخوان . وراح الجميع يعملون معاً لانقاذ فلسطين من براثن الصهيونيين ، وبراثن الانكليز والاميركيين الذين كانوا يشدون ازر الصهيونيين .

٣ ـ دخلت الكتيبة الاولى فلسطين في ٢٥ نيسان ١٩٤٨ . فحطت رحلها بادىء ذي بدء في العريش ، وكان قد سبقها اليها في ٧ آذار ١٩٤٨ قائدها احمد عبد العزيز . وجاس فيها خلال الديار . وكان يرافقه في رحلتـه الاستطلاعية هذه الشيخ محمد فرغلي من رؤساء الاخوان والبكباشي زكريا الورداني وعبد المنعم البحار والشيخ عبد الله ابوستة والشيخ فريح المصدر شيخ عشيرة النصيرات «وحناجره» واصطدمت طلائع احمد عبد العزيز وكان عدد رجالها يومئذ خمسة عشر رجلا يرافقهم خمسة وثلاثون رجلا من البدو يقودهم عبد الله ابو سته ، باليهود المقيمين في الدنقور الى الشرق من منازل ابي مدين وقتل في

---

(١) من ضباط فيلق الفرسان . وكان قبلا استاذا في كلية الاركان بمصر ، وقد اشتهر بدروسه ومحاضراته . ذو شخصية وكفاءة ممتازه . ويصفه عارفوه بالجرأة والمغامرة ، رغم انـه لم يتجاوز الخامسة والاربعين من عمره .

هذه المعركة اول رجل من الاخوان المسلمين هو النقيب فتحي .

وبعد ان درس الحالة رسم خطته وهي تقضي بمهاجمة المستعمرات اليهودية الواقعة في النقب . وتحركت كتيبته في ١٥ ايار ميممة خان يونس . تحركت في سيارات سارت على القضبان الحديدية لئلا تصطدم مع الانكليز الذين كانوا لا يزالون مرابطين على الطريق الرئيسي في رفح (١) وهكذا وصلت الكتيبة خان يونس ، دون ان تشتبك مع احد في قتال .

٤ ـ في ١٠ ايار قرر الاخوان المسلمون مهاجمة كفار داروم (٢) . وكانت الخطة التي رسمها لهم القائد احمد عبد العزيز تقضي بقصف المستعمرة بالمدافع اولا ، على ان يشرع بالقصف في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وان يتقدم الفدائيون بعد عشر دقائق ، فينسفون الالغام والاسلاك الشائكة التي تحيط بالمستعمرة . ثم يزحف المشاة صوب المستعمرة من ثلاث جهات ، فيحتلونها ، وكان فيها يومئذ مئة وخمسون مقاتلا يهوديا .

وقد هاجموها بالفعل من ثلاث جهات ، وكان يقود الهجوم من الجنوب اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف) ، ومن الشمال الملازم الاول عمر (عمر البقبلي التونسي) ، ومن الشرق (احمد لبيب الترجمان) .

ويقول الاخ (احمد لبيب الترجمان) وكان احد قواد الاخوان في تلك المعركة ان الهجوم لم يبدأ في موعده المقرر ، وان القصف لم يبدأ الا في الساعة الرابعة والنصف حين وضح النهار في ١١ أيار ، واصبح في مقدور العدوان يرى المهاجمين ويحصدهم بالبنادق والرشاشات . ويقول القائد المسؤول عن المدفعية انه لم يسجل في النهار الاهداف التي تقرر ضربها في الليل ، الامر الذي اضطره الى تأخير الضرب حتى يسفر النهار ،وتتضح امامه الاهداف . وهذا عذر اقبح من الذنب . وحاول بعضهم اقناع القائد بتأخير الهجوم ليوم آخر ، ولكنه ابى الا ان تنفذ الخطة كما هي . ففتحت المدافع الكبيرة افواهها وانطلقت مدافع الهاون تلف المستعمرة بسحب كثيفة من الدخان ، وراح المشاة يزحفون الى ان اصبحوا قاب قوسين او ادنى من المستعمرة . كل هذا والعدو لم يحرك ساكناً ، ولما اقترب المجاهدون من الاسلاك الشائكة راح اليهود يمطرون المصريين بوابل من رصاصهم ، فقتلوا من قتلوا . وكان بين القتلى الفدائيون الذين وُكِلَ اليهم تدمير الاسلاك

---

(١) . الاخوان المسلمون في حرب فلسطين) ص ٩٨

(٢) مستعمرة يهودية واقعة على الطريق العام التي تربط خان يونس بغزة . وعلى بعد كيلومترا واحد من الطريق شرقي (دير البلح) اشتراها اليهود من وديع فرنسيس واسسوا عليها مستعمرة (١٩٤٦)

الشائكة بالغام (البنجالور) . ومع هذا فقد تقدم الى الميدان شاب اسمه (عمر عثمان بلال) وقذف بنفسه على الاسلاك الشائكة المشحونة بالالغام ، فانفجرت وتمزقت تلك الاسلاك وتمزق معها جسد البطل ، بعد ان فتح لاخوانه ممراً في الاسلاك ، فتدفقت الجموع الى داخل المستعمرة . واحتلتها بعد ساعتين من بدء المعركة . ووقعت في داخل المستعمرة معركة دامية كاد النصر فيها يكون حلف الاخوان . لولا ان حدث خطأ اخر وهو ان المدافع المصرية ظلت تقصف المستعمرة رغم وجود المصريين فيها .

ومنشأ الخطأ ان اليوزباشي (حمدي واصف) والملازم الاول (زغلول الشلبي) اللذين عهد اليهما بالمخابرة اللاسلكية لم يكونا متأكدين من دخول المشاة الى المستعمرة ، ولهذا لم يطلبا الى رجال المدفعية التوقف عن القصف ، الامر الذي ادى الي استشهاد اربعين مجاهداً من الاخوان . واضطر هؤلاء الى الانسحاب ، وفي اثناء انسحابهم راح اليهود يضربونهم من الخلف ، وكان لديهم عدد من الرشاشات ومدافع الهاون . وبهـذا بلغ عدد الشهداء اربعة وسبعين ، والجرحى خمسين . هذاما قاله لي الدكتورفؤاد مسلم ،وهو الذي ضمد جراح المجروحين.وانالذاكرون من الجرحىاليوزباشي (معروفالحضري) (١) ومن الشهداء محمد سلطان وعبد الرحمن عبد الخالق ومحمد عبد الرؤوف وعبد الرحـيم عبد الحي ومحمد عبد الخالق .

واقترف الاخوان خطأ آخر ، حـين تركوا الشهداء ولم ينقلوهم معهم . فظلت جثثهم هناك شهراً او يزيد ، ولم تنقل الى مصر الا في ١٨ حزيران اي بعد اعـلان الهدنة الاولى .

بعد هذا الفشل اكتفى الاخوان بتطويق المستعمرة والحيلولـة دون وصول المؤن والذخائر والنجدات اليها . وتقدموا ، فحطوا رحالهم في مخيم (البريج) المطل عـلى وادي غزة والبحر .

٥ ـ حاول اليهود في اليوم التالي (١٢ أيار) تحطيم الحصار ، وادخال قافلة جاءت تحمل الجنود والعتاد . فعلوا ذلك بعد ان كانوا قد نسفوا منزلالشيخ حسين ابى ستة في (المعين) . ولكن الاخوان كمنوا لها ، وامر احمد عبد العزيز قائد المدفعية اليوزباشي(حسن

---

(١) بعد ان جرح معروف الحضري اسره اليهود مع من اسروهم من الضباط المصريين . واعتقلوه في (قطرة) وعذبوه عذاباً شديدا . ولكن عبثاً حاولوا ان يفهموا منه كيف كان هو وزملاؤه يمونون القوات المصرية المحصورة في الفالوجة . وقد نقلوه بعدئـذ الى معتقل (احليل) الى الشمال من يافا . ثم اطلقوا سراحه مع من اطلق سراحه من الاسرى المصريين بعد اتفاقية رودس .

فهمي عبد المجيد) فراح يقصف بمدافعه القافلة ومن فيها . فترك اليهود المصفحات وراحوا يسرعون الخطى نحو المستعمرة . عندئذ سكتت المدافع المصرية وانطلقت الرشاشات . وتقدمت فصيلة من المشاة يقودها (علي صديق) . فقضت على رجال القافلة

وبهذا يكون الاخوان قد ثأروا لانفسهم من اليهود، وكانت غنائمهم في تلك المعركة خمس عشرة مصفحة ومقادير كبيرة من الاسلحة والذخائر .

هذا ما رواه الاخوان المسلمون ، وقد ايده لي المناضلون الذين اشتركوا في هذه المعركة من ابناء دير البلح فقالوا ان المصفحات التي اتى بها اليهود يومئذ اثنا عشرة مصفحة ، وان اليهود وصلوا يومئذ الى (وادي السلقة) على مقربة من محطة دير البلح . وان المصفحات اليهودية كلها سقطت بيد الاخوان المسلمين، وان الاخوان كان يقودهم يومئذ الشيخ محمد فرغلي ، وانه كان بين رجال المدفعية المصرية رجل يدعى (مرجان) وكان هذا يصيب الهدف بشكل يدعو الى الاعجاب . وان عدداً غير قليل من المناضلين الفلسطينيين هبوا لنجدة الاخوان المسلمين المصريين ، وكانوا من غزة ودير البلح وخان يونس ومن النصرات وافراد العشائر المجاورة . وان المصفحات التي غنمها المسلمون كانت مليئة بالعتاد والذخائر ، فقد كان في احداها ٣٦٠ بندقية المانية حديثة الصنع وفي ثانية ثلاثة اطنان ونصف الطن من الطلقات وفي ثالثة مقادير كبيرة من الدقيق ، وفي رابعة ثياب عسكرية وآلات اخرى ، وفي خامسة بنزين ، وكان مع هذه المصفحات رافعة اثقال .

ويؤكد الرواة ان هذا اعظم نصر ناله الاخوان المسلمون المصريون في حرب فلسطين . هذا على الرغم من انهم فقدوا فيها اثنى عشر شهيداً .

والمهم في الامر ان احمد عبد العزيز اقتنع ، بعد هذه المعركة ، بصحة الرأي القائل ان مهاجمة المستعمرات من غير دبابات ثقيلة ضرب من الانتحار ، ذلك لانها محصنة تحصينا تاما ، ومبنية بالحديد والاسمنت المسلح . ولهذا رأى من الافضل ان يستخدم التكتيك المعروف بحرب العصابات .

٦ - ولما اجتاز الجيش المصري الحدود ، ودخل فلسطين في ١٥ ايار ، وكان يقوده اللواء (احمد محمد علي المواوي بك) طلب هذا الى احمد عبد العزيز ان يكون خاضعا لقيادة الجيش العامة ، وكان يريد ان يجعل من كتيبته (قوة ضاربة) ترافق الجيش في جميع حركاته . ولما رفض احمد عبد العزيز هذا الطلب ، وابى الا ان يعمل مستقلا ، رأى المواوي ان يتولى احمد قيادة منطقة بئر السبع فيحمي بذلك ميمنة الجيش المصري من

خطر الالتفاف ،وان يتقدم الجيش النظامي في قطاع غزة شمالا صوب تل ابيب والمستعمرات اليهودية المجاورة لها . وقبل احمـد عبد العزيز هذا الرأي ، فكان اول عمل قام به احمد عبد العزيز بعد ان تسلم قطاع بئر السبع ، ان ضرب المستعمرتين اليهوديتين المجاورتين لمدينة بئر السبع وهما : مستعمرة (العماره) الى الغرب من المدينة و(بيت ايشل) الى الشرق منها فقد ضرب الاولى بمدافعه ، أثناء مروره بالقرب منها وكان ذلك في ١٧ ايار . وضرب الثانية في اليوم الذي هبط فيه بئر السبع ، وكان ذلك في ١٨ أيار . وفيما كان يضربها تقدم اليه المناضلون من ابناء بئر السبع طالبين ان يسمح لهم بمهاجمتها . الا انه قال لهـم : (لا لزوم لمهاجمتها بالمشاة . فقد دكتها المدافع دكا ، حتى لم يبق فيها حجر على حجر) . وارسل احمد عبد العزيز ، فور وصوله الى بئر السبع ، الى كـل من (العوجا ـ حفير) (وعصلوح) حامية ، لا لتحمي دمارها ، لانها كانتا بعيدتين عن متناول اليهود ، ولكن ليؤمن نقل الذخائر من مصر عن طريقهما . لانهما واقعتان عـلى الطريق التي تربط مصر بفلسطين . ولقد اقام على حامية العوجا البكباشي (زكريا الورداني)،وعلى الثانية اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف) ، وكان مع هذا خمسون محاربا .

ولكن ، ما كاد يستقر به المقام في بئر السبع حتى اتاه في ١٩ أيار (وفد) من (الخليل) يطلب منه ارسال جزء من قواته للاشتراك مع الجيش الاردني في الدفاع عن ذلك القطاع . (الخليل وبيت لحم)، فما كان منه الا ان لبى طلبهم،وزحف صوب الخليل في (٢٠ أيار) غير عابىء بما تجره تلك الخطوة من متاعب سياسية . لان المنطقة التي زحـف اليها تدخل حسب الخطة العربية العامه ، في نطاق الجبهة الاردنية (١) زحف على رأس قوة صغيرة من رجاله تاركا في بئر السبع قوة مؤلفة من عدد من الاخوان المسلمين للدفاع عنها ، وقد عهد بقيادة تلك القوة الى اليوزباشي (محمود عبده) .

٧ ـ حدثني الملازم الاول (عمر عمر البنبلي التونسي) من رجال فرقة الكوماندوز بالجيش اللبناني (١٩٥٣) وقـد تطوع يومئذ للقتال في صفوف الاخوان المسلمين أن القوات التي زحفت يومئذ صوب الخليل وكانت تأتمر بامر البكباشي احمد عبد العزيز سميت (القوات المصرية الخفيفة) ، وكانت عبارة عن اربعمئة مقاتل ، مئـة وعشرون منهم تونسيون ، والباقون مصريون ، بينهم ثمانية ضباط هم : ـ مساعد القائد اليوزباشي (حسن فهمي عبد المجيد) ، اليوزباشي معروف الحضري، اليوزباشي (كمال حسين)، اليوزباشي (حمدي واصف) ،اليوزباشي عبد المنعم (عبد الرؤوف)، اليوزباشي (رستم)، الملازم الاول (زغلول

---

(١) . (الاخوان المسلمون في حرب فلسطين) ص ١٠٤

الشلبي) ، الملازم الاول (عمر عمر البنبلي) . جميعهم من ضباط الجيش المصري ، الاول مدفعي ، السادس والسابع من رجال اللاسلكي ، والباقون مشاة ، واما الجنود فكلهم متطوعون. والفت منهم اربع سرايا . قاد الاولى منها(سرية العصفورة) اليوزباشي معروف الحضري، وقاد الثانية) سرية عامر) اليوزباشي رستم ،وقاد الثالثة (سرية الوكيل) اليوزباشي كمال حسين ، وقاد الرابعة (سرية تونس) الملازم الاول عمر عمر البنبلي .

واما سلاح هذه القوات فكان عبارة عن بنادق اعتيادية من صنع انكليزي وثلاثين مدفعا رشاشا من طراز برن وثلاثة مدافع كبيرة ذات اثني عشر رطلا وستة مدافع هاون وكانت المدافع مزودة بمقادير وافرة من الذخيرة ، وكان معها خمس عشرة سيارة من السيارات الكبيرة المعدة لنقل الجنود ، وثلاث ماكنات للاسلكي .

وكانت القوات المصرية الخفيفة التي ذكرناها في السطور المتقدمة تتلقى اوامرها من المواوي الذي اتخذ (المجدل) مقراً له .

٨ ـ ما كاد احمد عبد العزيز يصل الى الخليل في ٢٠ أيار حتى استقبله السكان بالتهليل والترحيب . وما لبث ان غادرها الى بيت لحم ، ليتفقد المعركة التي كانت قائمة على مقربة منها في (رامات راحيل) . ونصب خيامه على مقربة من القبة المعروفة بـ(قبة راحيل). وانا لا نرى اليوم بدا من الوقوف هنا قليلا لنقول انه في ذلك اليوم (اي في اليوم الاول لوصول المتطوعين المصريين) بدت علائم الاختلاف والانقسام بين الاردنيين والمصريين . وكان في كل من الخليل وبيت لحم قوة اردنية تحتل المدينة . وكانت هذه القوة ترفع علمها على دور الحكومة ومراكز البوليس . فاراد المتطوعون المصريون أن يرفعوا علمهم ايضاً . فمنعهم الاردنيون . وهكذا ذر قرن الخلاف بين الفريقين ، وانقسم السكان الى معسكرين ؛ هذا يشايع المصريين ، وذاك يؤيد الاردنيين. واستغل اليهود الفرصة ، فراحوا يعملون على زيادة الخلاف ، وربح الحرب ، فكان لهم ما ارادوا . وسنصف لك في السطور التالية السوداء التي اسفرت عنها ذلك الاختلاف

٩ ـ عندما وصل المصريون الى القطاع الجنوبي من مدينة القدس كانت الحرب على اشدها فيها ، وكان المجاهدون من ابنائها يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل الذود عنها وكانت المعركة قائمة من ناحيتها القبلية حول (رامات راحيل) . وقد احتلوها في ١٧ أيار وكان عددهم يومئذ مئة وخمسة وثمانين . دخلتها حامية مار الياس من ناحيتها الغربية وكانت بقيادة ابراهيم ابي ديه ، وكانت هذه تناوىء اليهود هناك مذ رحل البريطانيون عن البلاد في ١٤ أيار . وقد قتل من رجالها عشرة وجرح خمسة عشر ، والاخوان المسلمون

من السوريين دخلوها من الناحية القبلية ، وكانوا بقيادة الشيخ مصطفى السباعي ، وقد قتل منهم خمسة وعشرون ، ومناضلو صور باهر جاءوها من الناحية الشرقية ، وكانوا بقيادة جاد الله محمود . وكذلك قل عن عرب التعامرة وكان منهم خمسة عشر مناضلا يقودهم احمد السالم . وعرب السواحرة والعبيديين ، وعددهم عشرون مناضلا ، يقودهم محمود العلي . وعدد من المناضلين الخلايلة يقودهم عبد الحليم الشلف . وكان معهم دبابة اردنية فيها بعض الضباط الاردنيين منهم الضابط حكمت مهيار والضابط نذار المفلح من ضباط السرية الثانية عشر التابعة للكتيبة السادسة .

وفرت حامية المستعمرة تاركة وراءها عدداً كبيراً من القتلى والجرحى ، ومقادير وافرة من الذخائر والمؤن والالات المنزلية وادوات القتال .

ذكر (ي . رعنان) القائد العام لقوات الارغون اليهودية ، في تقريره (١) الذي رفعه الى رئيسه (مناحيم بيغن) ، معركة رامات راحيل هذه التي بدأت في ١٤ ايار ، فقال : « انها معركة حامية ، وان العرب استعملوا فيها المصفحات التي غنموها من قافلة كفار عصيون ، وان واحدة من دبابات الجيش العربي كانت تساند المناضلين ، وان الحامية اليهودية كانت تتألف من ثلاث سرايا : سرية من الهاجنا ، وسرية الارغون وسرية من جماعة شترن ، مجموع رجالها اربعمئة مقاتل ، وان القائد المسؤول عن الحامية (موشه دانيال) من رجال الهاجنا وهو القائد الاسمي واما الذي كان يقودها بالفعل فانه (نمرور) من رجال الارغون ، وانه لم يكن لدى اليهود سوى مدفع واحد ، ورشاش كلاهما من طراز (لويس) وعدد غير قليل من قنابل (مولو توف) وان المدفعين حطمهما المناضلون العرب ، وان المناضلين تمكنوا من اول هجوم من افناء جميع المقاتلين اليهود الذين كانوا في نقطة المراقبة (عمارة الطعام) ، كما افنوا وحدة من الاحتياطي ارسلت للقيام بهجوم معاكس بقيادة (يفراح) واحتل المناضلون يومئذ معظم اقسام المستعمرة ، وقطعوا كل اتصال كان بينها وبين مستعمرة (رانونا) المجاورة لها، ووقع عدد كبير من المدافعين اليهود اسرى ، وجرح عدد كبير أيضاً بينهم القائد (دانيال) واصبح مصير الباقين على قيد الحياة في كفة القدر ، لولا ان وصلت ، مع الغروب نجدة من رانونا ، انقذتهم من الموت .

(١) ترجم هذا التقرير الى اللغة العربية السيد درويش الشامي ، من موظفي مكتب الارتباط الخارجي بالقدس ، مع فصول اخرى ترجمها عما كتبه اليهود ، وقد جمعها في مخطوط اسماه (في خط النار) .

وختم رعنان تقريره بقوله :

وفي ساعات الليل كان صف طويل منا يتحسس طريقه في الظلام الى (رانونا) يحمل الجرحى على الظهور وعلى المحفات . وهناك في ارنونا ارقدنا الجرحى الكثيرين في (دار الاولاد) وانطرحنا منهوكي القوى.

واعترف رئيس هذه المنظمة (مناحيم بيغن)في مذكراته ان العرب كانوا عُنُداً في قتالهم ، وان قصفهم كان شديداً ، وكانوا يصيبون الهدف ، وان اليهود فقدوا المدفع الوحيد الذي كان في حوزتهم من طراز لويس ، وان جميع رجال الحامية اصيبوا ،فلاقى معظمهم حتفهم ، ومن لم يقتل او يجرح وقع اسيراً .

ولكن العرب شغلوا ،ويا للاسف ، بنهب المستعمرة بعد احتلالها ، وكانت النجدات اليهودية قد وصلت ،فراحت تحاربهم ،وما كانوا في وضع يمكنهم من صد تلك النجدات فخرجوا من المستعمرة ، ولما يمكثوا فيها ا كثر من يومين (١٩ ايار) .

١٠ ـ اعاد العرب الكرة في اليوم التالي الخميس (٢٠ أيار ١٩٤٨) فهاجموا المستعمرة باعداد اكبر من المناضلين الفلسطينيين (٣٠٠) يقودهم ابراهيم ابو ديه وانضم اليهم هذه المرة ، حوالي اربعين بدوياً من بني صخر ، يقودهم الشيخ محمد الفايز وكان مع ابي دية ثلاثة مدافع صغيرة واربع من المصفحات التي غنمها المناضلون في معركة كفار عصيون . وجاءت مصفحتان من مصفحات الجيش العربي تسندهم ، وكان في كل من هاتين المصفحتين مدفع من عيار ثلاث بوصات . فحمل الجميع على المستعمرة حملة صادقة ، واحتلوها ، وفيما كانوا يجتازون ابوابها اصيب القائد الفلسطيني ابراهيم ابو ديه برصاصة اخترقت النخاع الشوكي فنقل الى المستشفى من فوره (١) واقترف المناضلون الخطأ نفسه ، الذي اقترفوه في اليوم السابق ، واذا انشغل البدو بالنهب وجاء من ورائهم زهاء ثلاثة آلاف نسمة من سكان القرى المجاورة ومن الخلايله والتعامره ، فاعملوا فيها يد النهب وقد ا كد لي الرواة ان البدو قتلوا من سكان القري الذين جاءوا للنهب خمسة اشخاص . ولم يفكروا باقتفاء اثر اليهود . لا ، ولا بتحصين الاما كن التي احتلوها ، فما كاد الليل يجن ، حتى رجع اليهود اليها بقوات كبيرة واستردوها من العرب .

وفي قول ان العرب لم يحتلوا يومئذ المستعمرة كلها ، بل احتلوا جانباً كبيراً منها ، وظل الجانب الآخر بيد اليهود ؛ وان اليهود تحصنوا يومئذ في بيت حصين من بيوت

---

(١) ظل بعد ذلك عطيلاً ، ومكث في بيروت الى ان توفاه الله في مستشفى الجامعة الاميركية

المستعمرة (بيت ها عام) وراحوا من هناك يدفعون هجمات العرب ، المتتالية ، وان الفوضى التي انتشرت في صفوف العرب ، بسبب النهب ، قبل الظهر ؛ قضى عليها عندما وصلت الى المكان ، عند الظهيرة قوة صغيرة من المصريين ، عددها اثني عشر مقاتلا ، واخرى من الاردنيين عددها سبعة مقاتلين (نائب وستة جنود) وكان مع هؤلاء دبابة. فعقد المناضلون المصريون والاردنيون والفلسطينيون مجلساً في الناحية الشمالية الشرقية من المستعمرة ، بحثوا فيه الوضع ، فقرروا تشديد الحراسة من جهة ، ونسف المنزل الذي تحصن فيه اليهود ، فتطوع للقيام بهذا العمل بادىء ذي بدء ثلاثة من المصريين فلم ينجحوا ، بل قتل منهم واحد وجرح الثاني ، وفر الثالث ، ثم تطوع اربعة من الاردنيين ، فلم ينجح هؤلاء ايضاً ، بل جرح احدهم وارتد الآخرون ، ثم تقدم ثلاثة من المناضلين الفلسطينيين (علي محمود الخطيب واسماعيل سليمان من صور باهر وعبد القادر اليماني)وهؤلاء ايضاً لم ينجحوا اذ كان المنزل عبارة عن قطعة واحدة من الباطون المسلح فاستشهد علي محمود الخطيب ، وارتد الاثنان الآخران وقد اصيب المناضل اليماني برصاصة في فكه الاسفل .

ورغم انه قتل عدد غير قليل من اليهود في هذه المعركة ، الا انهم ظلوا متحصنين في (بيت هاعام) .

١١ – حاول العرب أن يهاجموا هذه المستعمرة للمرة الثالثة في يوم السبت الموافق ٢٢ أيار الا انهم وجدوها ، في هذه المرة امنع من عقاب الجو . اذ كان اليهود قد حصنوها قبل طلوع الفجر . تحصينا تاماً .

واشترك معهم في هذا الهجوم ثمانون من السوريين المتطوعين الذين وصلوا يومئذ بقيادة فارس عقيل ابي عبده .

١٢ – في ٢٣ أيار ١٩٤٨ خاض المصريون غبار المعمعة ، يقودهم القائمقام احمد عبد العزيز المصري الذي اعتزم ان يدك المستعمرة على من فيها ، فراحت المدافع المصرية في الساعة الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم تطلق عليها قنابلها وكان يقود هذه المدافع يومئذ الصاغ كمال الدين حسين الذي اصبح بعدئذ (١٩٥٢) من رجال قيادة الثورة وبعد ثلاث ساعات كانت جميع حصونها قد تحولت الى رماد ، وحاميتها قد تمزقت فزحف المناضلون الفلسطينيون واحتلوا جانبا منها واعملوا يد النهب في ابقارها واثاثها .

احتل المصريون التل الكائن في صور باهر ، ذلك التل المشرف على رامات راحيل ورانونا وتل بيوت ، وكان معهم مدفع من عيار رطلين ، وهذا مضاد للدبابات ،

مدفعان من طراز هـاون عيار ٢٥ ملم كـما كان معهم مدفعان رشاشان من طراز برن وكانت مهمة المصريين مساندة المهاجمين بمدافعهم وقطع خط الرجعة على يهود رامات راحيل فيما اذا ارادوا الانسحاب الى رانونا وتل بيوت :

١٣ - وفي ٢٤ أيار ١٩٤٨ عادت المدافع المصرية الى اطلاق قنابلها على المستعمرة وجاء زهاء مئتين وخمسين نفرا من الجنود المصريين والاردنيين بعد ذلك فاحتلوها كلها ورفع العلم المصري عليها . فابتهج القوم . وزاد في ابتهاجهم النبأ الذي اتاهم عـن سقوط مستعمرة يد مردخاي القريبة من دير سنيد بيد المصريين .

١٤ - وفي ٢٥ أيار ١٩٤٨ راح احمد عبد العزيز يتأهب للزحف نحو القدس . وكان ينوي احتلالها . حتى انه رفض الدعوة التي وجهها اليه سراة بيت لحم (١) لتناول العشاء معهم في المساء ، قائلا انه ينوي مطاردة اليهود وفتح الطريق ، وسيتناول طعام العشاء في القدس ، الا انه ما كاد يتم ترتيباته العسكرية حتى اتاه الامر من وراء الاردن (وفي قول آخر ان الامر بالانسحاب اتاه من النقراشي بمصر بناء على طلب من الاردن) بألا يغادر مكانه ؛ وجاء في الامر ان الكيلومتر الخامس ، عند مفترق الطرق بين القدس وبيت لحم وبيت صفافا وصور باهر ، هو الحد الاقصى للقطاع الذي خصص للجيش المصري في جنوب القدس . وفي قول (٢) ان الامر اتى من عمان برحيل المصريين من رامات راحيل وبقاء المناضلين الفلسطينيين فيها .

وشغل المناضلون ، في الوقت نفسه ، بالنهب ، لا بل راحوا يقتتلون (٣) : أيهم يأخذ هذا وايهم يأخذ ذاك ؟ وفيما كانوا في شرههم غارقين وكانت الفوضى ضاربة اطنابها في صفوفهم ولم يحكموا تطويق المستعمرة من جميع جهاتها ، جاء اليهود بعدد كبير مـن مقاتليهم ، فأخرجوهم من المستعمرة ولما يمكثوا فيها اكثر من بضع ساعات .

١٥ - اقتبسنا انباء الهجومين اللذين قلنا انهما وقعا في ٢٣ و ٢٤ ايار وان المصريين خاضوا غمارهما ، من المناضلين المحليين الفلسطينيين ، واما (كامل اسماعيل الشريف)

---

(١) هذا ما حدثني به السيد عيسى البندك رئيس بلدية بيت لحم ، وكان يومئذ صلة الوصل بين المصريين والمناضلين الفلسطينيين .

(٢) الملازم الاول (عمر عمر البنبلي التونسي) احد قادة المتطوعين الذين حاربوا في هذا القطاع هو الذي قال لي هذ القول .

(٣) جاء في الحديث النبوي «اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم : فلان يقاتل للدنيا . . فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله . فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله .

وهو من الاخوان المسلمين المصريين الذين اشتركوا في النضال فقد قال في الصفحة ١١ من كتابه (الاخوان المسلمون في حرب فلسطين)، ان القائد احمد عبد العزيز ارسل في ٢٤ ايار، قوة لاستكشاف حصون المستعمرة، وانه امر بمهاجمتها في مساء ٢٦ ايار وانه دكها بالمدافع وان الهجوم بدأ عند منتصف الليل وكان على رأس القوة المصرية التي هاجمها (لبيب الترجمان) وانه جرى عند الخنادق التي تحيط بالمستعمرة اشتباك رهيب، وان الاخوان تسللوا الى الابراج العالية، وفجروا الالغام، وانهم تغلبوا على اليهود حتى انهم (اي اليهود) راحوا يجلون عنها عبر الممرات السرية الى (تل بيوت) وان عدد القتلى اليهود كان في تلك الليلة كبيرا، وان عدد الشهداء كانوا تسعة من الاخوان المسلمين المصريين وواحدا من الاخوان المسلمين الاردنيين، وكان هؤلاء قبل تلك المعركة يرابطون في صور باهر وكان يقودهم عبد اللطيف ابو قوره، وقد جاءوا في تلك الليلة ليشتركوا في معركة رامات راحيل، وان الطائرات اليهودية جاءت في اليوم التالي (٢٧ أيار) تستطلع طلع الخبر، فلم تجد في المستعمرة الا عدداً قليلا من المجاهدين.

وفي اليوم التالي (٢٨ ايار) اغار اليهود على المستعمرة بقوات كبيرة قدرت بخمسة آلاف. وكان معظمهم قد اتوا في الليل من الاحياء اليهودية في القدس ومن تل بيوت ورانونا تؤيدهم المدافع والسيارات المصفحة، ورأى المصريون انه لا قبل لهم بمثل هذه القوة فانسحبوا من المستعمرة، بعد ان دمروها تدميراً تاماً.

ولما عوتب احمد عبد العزيز لاقترافه مثل هذا الخطأ اعتذر قائلا انه لا يستطيع السيطرة على خط طويل يمتد من العوجا الى بيت لحم بقوة صغيرة كالقوة التي وضعت تحت امرته، وان اسلحته قليلة وعتاده قليل، وانه طلب من القيادة مراراً ان تزوده بالسلاح والعتاد، ولكن المواوي رفض امداده لانه (اي احمد عبد العزيز) تجاوز الحد الذي رسم له ...

١٦ ـ انسحب الاخوان المصريون بعد خروجهم من رامات راحيل الى قرية (صور باهر): واما اليهود فقد تابعوا نصرهم في رامات راحيل، وهاجموا (دير مار الياس) حيث كان الجيش العربي الاردني قد اتخذه مقراً، فاخلاه الاردنيون، واحتله اليهود. ولما كان هذا الدير يشرف على صور باهر وعلى طريق القدس ـ بيت لحم فقد رأى العرب انه لا بد من استرجاعه، فهاجموه. واشترك في الهجوم الاخوان المسلمون الذين انسحبوا الى صور باهر، وكان يقودهم حسين حجازي: والجهاد المقدس يقودهم المناضل جاد الله: وكان التوفيق حليفهم، فانسحب اليهود تاركين وراءهم عدداً من القتلى.

١٧ - بقي المتطوعون المصريون، ومعظمهم كما سبق وقلنا من الاخوان المسلمين في الطنطور وفي قرية شرافات وما جاورهما من البقاع الكائنة جنوبي القدس . وكان يطلق على هذه القوات المصرية (القوات الخفيفة) او (قوات الكوماندوس) . وكان مدافعها منصوبة فوق الجبل المطل على بيت جالا من الشمال الى الغرب ، ولم يقوموا بعد انسحابهم من رامات راحيل باي عمل يذكر من الناحية الحربية ؛ الى ان تم تسليم ذلك القطاع الى الجيش الاردني ، وقد تم ذلك في ١ ايار ١٩٤٩ .

واری ، قبل ان اختم هذا الفصل ، ان اشير الى الحادثين التاليين اللذين حدثا في هذا القطاع : -

١٨ - في يوم الجمعة الموافق ٢٠ آب ١٩٤٨ (١) اطلق اليهود على احمد عبد العزيز القائد المصري الرصاص بينما كان ميمما شطر جبل المكبر ، ليحضر الاجتماع الذي دعي اليه للنظر في المشاكل التي نجمت عن احتلال اليهود للمنطقة الحرام الخاضعة لهيئة الصليب الاحمر الدولية . والدعوة تلقاها عن طريق العضو الاميركي في لجنة الهدنة . وقد افهمه هذا انه سيحضر الاجتماع نفسه القائد اليهودي والجنرال رايلي كبير المراقبين الدوليين في القدس ورافق احمد عبد العزيز في رحلته هذه الصاغ حسن فهمي عبد المجيد .

ورغم العلم الابيض الذي كان مرفوعا على مقدمة السيارة ، ورغم اخطارهم من لدن رجال الهدنة بالكف عن الضرب في هذا الموعد ، وقد اتفق الفريقان على ذلك ، الا انهم (اي اليهود) راحوا يطلقون عليه النار بشدة ، الامر الذي اضطره الى الرجوع من حيث اتى . ورغم انه احتج على عمل اليهود هذا ، الا ان المراقبين الدوليين وكبيرهم رايلي ايضاً لم يستطيعوا كعادتهم ان يقوموا بأي عمل . الا انهم ارجأوا الاجتماع ليوم آخر وفي يوم الاحد الموافق ٢٢ آب عقد الاجتماع في دار القنصلية البريطانية بالقدس . فحضره القائد المصري الذي تقدم ذكره احمد عبد العزيز ؛ والقائد الاردني عبد الله التل والقائد الاسرائيلي بايم هالبين البولندي ، والكولونيل موشه دايان والمراقبون الدوليون المرافقون للقوات المصرية والاردنية واليهودية وكبيرهم الجنرال رايلي ، والدكتور لينهر مندوب الصليب الاحمر الدولي . ومن الضباط المصريين الذين حضروه اليوزباشي صلاح سالم ، والصاغ حسن فهمي عبد المجيد .

---

(١) هذه المعلومات استقتها (مجلة المصور) المصريه التي تصدرها دار الهلال من احد رفاق القائد المصري احمد عبد العزيز ، ونشرتها في عددها الصادر بتأريخ ٥ ايلول ٥٢ .

وبحث المجتمعون في اعتداء اليهود عـلى المنطقة الحرام ، ولا سيما نهبهم الاثاث والادوات التي كانت في الكلية العربية والتي تقدر بآلاف الجنيهات ، واحتلالهم لبعض المباني في تلك المنطقة ، وكـل ما توصلوا اليه ان المراقبين الدوليين ومندوب الصليب الاحمر اعترفوا ان اليهود مسؤولون عن الاثاث الذي فقد من الكلية المذكورة . . وقرر المجتمعون وجوب انسحاب اليهود خلال اربع وعشرين ساعة من المنطقة التي احتلوها ، ووقف اطلاق النار .

١٩ ـ وفي مساء اليوم نفسه (٢٢ آب) سافر القائد المصري الى المجدل ليعرض على القيادة العامة تفاصيل ما جرى ، وليستطلع رأيها فيما يجب . وعندما وصل الى نقطة قريبة من (عراق المنشية) في قطاع الفالوجه ، وكان الوقت ليلا ، اصابتـه رصاصة طائشة ، فخر لتوه صريعاً .

ولا يعلم احد الى الان كيف قتل ؟ وان كان احـد رفاقه في الجهاد (١) ذكر أن معركة كانت قد نشبت بين اليهود في (غات) والمدافعين عن (عراق المنشيه) في ذلك اليوم ٢٢ آب ، وان تلك المعركة انتهت قبل وصول القائد بقليل . ويظهر أن الفريقين استمرا يتبادلان النيران عندما عبرت سيارة القائد الطريق التي تفصل بين المستعمرة اليهوديـة المتقدم ذكرها (غات) وبين المواضع التي كان يحتلها المناضلون المدافعون عن عراق المنشية وان رصاصة اصابته في اثناء مروره ، فاستقرت في كبده ، فخر صريعاً . ويقول المحدث ان احد زملاء القائد (٢) استطاع ان يتسلل الى مواضع هؤلاء المناضلين ليكشف لهم عن شخصية القائد وليأمرهم بالكف عن اطلاق النار .

وفي قول آخر انه (اي احمد عبد العزيز) سافر الى المجدل ليلا وانه فعل ذلك رغم نصيحة ضباطه (٣) الذين نصحوه بالتريث لان المعارك كانت في ذلك الحين تدور بشدة في قطاع المجدل . سافر في سيارته (الجيب) وكان معه اليوزباشي الورداني واليوزباشي صلاح سالم من ضباط القائد المواوي وسائق سيارته (٤) وكان السير على تلك الطريق

---

(١) اقرأ ما قاله هذا الرفيق الى مجلة المصور المصرية في عددهـا ١٤٥٦ الصادر بتاريخ ٥ ايلول سنة ١٩٥٢ .

(٢) يقول صلاح سالم انه هو الذي تمكن من القيام بهذا المهمة .

(٣) نذكر منهم كمال حسين .

(٤) يقول اليوزباشي صلاح سالم في مقال له نشرته مجلة (التحرير) المصرية العدد ١٤ التاريخ ٢٣ اذار ١٩٥٣ ان السيارة كانت سيارته » وان احمد عبد العزيز والورداني كانا يرافقانه فيها ، وانه هو (اي صلاح سالم)الذي كان يقود السيارة ، وكان يعرف كلمة سر الليل يومئذ «غزة» .

في الليل محظوراً ، اذ كانت (عراق المنشية) هدفا لهجمات متواصلة . وعندما اقترب من عراق المنشية صاح الحارس العربي طالباً الى سائق السيارة ان يقف . ولكن صوته ضاع في ضجيج السيارة فلم تقف هذه . وكانت النتيجة ان اطلق الحارس النار عليها فاصابه في جنبه ، فنقلوه الى الفالوجا مضرجا بدمه . وما كاد يصلها حتى كانت روحه قد صعدت الى بارئها . فبكاه الناس . ودفنوه في غزه ، وقد كتبوا على قبره هذه الكلمات

القائمقام اركان الحرب

احمد عبد العزيز

سلاح الفرسان الملكي – الجيش المصري

استشهد في ٤٨/٨/٢٢ بعراق المنشية . قبر رقم ١٢٣

وذهب سوء الظن ببعض الناس الى حد القول ان موته كان مقصوداً ،وانه اغتيل اغتيالا بيد مصريه ، وبرصاصة انطلقت من مدفع ضد المصفحات من طراز (بوايز) . ولم تكن تلك الرصاصة طائشة . ويقول هؤلاء انه كان بينه وبين المواوي القائد العام للحملة المصرية شيء من الكره ، وان المواوي هو الذي ناداه ، ونصب له الكمين . وان القيادة لم تبلغه ولا بلغت القطعات المرابطة في قطاع القدس الجنوبي الكلمة التي يسمونها في لغة العرب (سر الليل) وكان من عادتها ان تذيعها الى القطعات في كل يوم.

٢٠ ـ وهكذا فشل العرب هنا ايضاً ، وما كانوا ليفشلوا لولا اختلاف قادتهم ، وكان عليهم في مثل هذه المواقف ان يذكروا قوله تعالى (١) : « يا أيها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، واطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا ، فتفشلوا وتذهب ريحكم . واصبروا ان الله مع الصابرين .

بعد مصرع القائد المصري احمد عبد العزيز في عراق المنشية بتاريخ ٢٢ آب ١٩٤٨ انتدبت القيادة المصرية العامة البكباشي محمد فكرى لقيادة المتطوعين المصريين في قطاع بيت لحم جنوبي القدس ، وهو من سلاح المدفعية . ثم عادت فسحبته لعدم انسجامه مع الضباط الاخرين ، وارسلت بدلا منه البكباشي عبد الجواد طيالة قائد كتيبة المتطوعين الثانية : وكانت هذه قد اتمت تدريبها في معسكر (الهاكستب) . ومن ضباطها الاخ صلاح البنا : وتكونت من الكتيبتين ، الاولى والثانية ، ومن المناضلين الفلسطينين والسودانيين والليبيين قوة عُرفت فيما بعد باسم (القوة الخفيفة) . وهي التي رابطت في القطاع الجنوبي في القدس وظلت مرابطة هناك الى أن اعلنت الهدنة . وسلمت مواضعها الى الجيش العربي

---

(١) سورة الانفال . الاية ٤٥ .

عطاروت تسقط بيد العرب، واليهود يحتلون معظم المواضع الاستراتيجية

●

وفي ١٥ ايار ١٩٤٨ سقطت مستعمرة (عطاروت) اليهودية الكائنة على طريق القدس ـ رام الله. واما في القدس نفسها ففي الوقت الذي كانت فيه لجنة الهدنة القنصلية تبحث مع الفريقين مسألة وقف القتال وقيل انهما وافقا مبدئياً على ذلك، فقد اشتدالقتال في جميع انحاء المدينة، اذ تقدم اليهود، قبيل الظهر بساعة، نحو الباب الجديد، واحتلوا النوتردام (١) والمستشفى الافرنسي ودير القربان. وكان يقوم على حراسة تلك البقعة خمسون مقاتلا من العراقيين المتطوعين بقيادة فاضل رشيد العراقي. فلم يستطع هؤلاء صد اليهود، وحاول اليهود، وكان منهم هناك ستون مقاتلا اقتحام (الباب الجديد) نفسه ليدخلوا منه الى البلدة القديمة. الا ان المناضلين الفلسطينيين المرابطين هناك وكان عددهم يومئذ ستة وثلاثين (٢) تمكنوا من صدهم. وتمركز هؤلاء بعدئذحول دير اللاتين ومدرسة الفرير، وفتح رئيس هذه المدرسةللمناضلين ابواب المدرسة، فدخلوهاوتسلقوا السور. وصعدوا الى شطح دير القربان، وراحوا من هناك يمطرون اليهود بوابل من رصاص بنادقهم، وظلوا كذلك الى ان طردوهم من النوتردام والمستشفى الافرنسي ودير القربان. فاحتلوا هذه الاماكن. واتتهم نجدة من جيش الانقاذ مؤلفة من اربعين شخصا، فتقدموا، واحتلوا عمارتي داروتي وميو. واعطبوا مصفحة يهودية، وقتلوا زهاء ثمانية وعشرين يهودياً. ولم يقتل من العرب سوى مناضل واحد. وكان بين قتلى اليهود امرأة قال راهب من رهبان الدير رآها وهي تهوي على الارض انها كانت تقود القتال.

وقد اكد لي هذا الراهب ان اليهود استعملوا في هذه المعركة رصاصاً من المنوم المعروف بالدمدم. وقد حظرت الاتفاقيات الدولية استعماله.

---

(١) كان باستطاعة العرب ان يحتلوا النوتردام قبل وصول اليهود اليها وقد ارادوا ذلك الا انهم اعدلوا عندما رجاهم الرهبان ان لا يحتلوها بالنظر لقداستها، واما اليهود فلم يأبهوا لرجائهم، وقد احتلها منهم جماعة من منظمة شترن الارهابية، رغم ان العلم الافرنسي كان يرفرف على هذه المباني ورغم ان الوكالة اليهودية كانت قد اكدت للقنصل الافرنسي المسيو نوفيل ان اليهود لن يتحرشوا بالاماكن الافرنسية.

(٢) عشرة من رجال البوليس البلدي وستة من رجال جيش الانقاذ وعشرون من ابناء البلد المتطوعين ومن حراس الحرم

ثم هذا في الساعة الرابعة من بعد الظهر . ولكن العرب عادوا ، عند منتصف الليل، فانسحبوا من عمارتي داروتي وميو لقلة الذخائر ، وفقدان التنظيم . وتمركزوا في دير القربان والمستشفى الافرنسي وفي النوتردام . ورفعوا على اعلى برج من هذه العمارة العلم العربي . وكذلك فعلوا في برج المتحف (١) الذي احتلوه رغم ممانعة الموظفين القائمين على امره . وبثوا الالغام في مداخل الطرق المؤدية الى ساحة باب الخليل .

وانقض اليهود في اليوم نفسه (١٥ ايار) من ناحية حي القطمون ـ ذلك الحي الذي احتلوه في اول الشهر ـ فاحتلوا البقعة التحتا وحي النمامرة والحي الالماني ومستشفي العيون التابع لارسالية القديس جون الانكليزية وفي قطاع باب الخليل احتلوا الشماعه ، ووصلوا الى عمارة طنوس الواقعة الى الشمال من بركة السلطان . ومن هناك وحي المونتفيوري راحوا يمطرون حامية باب الخليل بوابل من رصاص بنادقهم وقنابل مدافعهم المورتر من عيار بوصتين . واحتل اليهود ايضاً مخفر البوليس في مياشورم وحي الشيخ جراح ، اذ زحفت على هذا الحي في الساعة ١٢ ظهراً قوات يهودية كبيرة . فاحتلت معسكر البوليس ودار راغب النشاشيبي ، تحميها نار حامية من الجامعة العبريه ومستشفى الهداسا ولم ينقطع اليهود عن قذف الاحياء العربية بقنابل المورتر طيلة ذلك النهار قاصدين انقاذ اخوانهم في الحي القديم . وابرق هؤلاء الى رؤسائهم يقولون « معنوياتنا قوية . لكننا لا نستطيع الصمود ما لم ننجد » وحار الرؤساء ، فمنهم من قال باخلاء الحي فوراً رحمة بالنفوس ، ومنهم من ارتأى الصمود خشية ان يتسرب اليأس الى الصفوف في الجبهات الاخرى .

عطاروت

●

مستعمرة يهودية واقعة على مقربة من الطريق العام التي تربط رام الله بالقدس ، وبين مطار القدس والقرية المعروفة بـ (قنلدة) سكانها يعيشون على تربية البقر والحليب

---

(١) عهدت الحكومة الفلسطينية قبيل رحيلها عن البلاد (٢٢ نيسان ١٩٤٨) بادارة هذا المتحف الى مجلس امناء من اثني عشر عضوا – اثنان انتدبها المندوب السامي «وهما مستر وطسن قنصل الولايات المتحدة بالقدس ومستر ماكنتز رئيس الشمامسة الانكليز» . وكان من المفروض ان تنتخب الجامعة العربية اثنين ، والجامعة العبرية واحدا ، والسبعة الاخرون تنتخبهم الطوائف المختلفة . الا ان القتال بدأ قبل ان ينتخب الاعضاء الاخرون .

والطيور الداجنة . قاسوا الامرين من جراء الحصار الذي فرضته العرب عليهم في اثناء القتال ، ولا سيما في المدة الواقعة بين منتصف شهر آذار ، يوم قطع العرب كل اتصال بينهم وبين القدس ، واليوم الخامس عشر من شهر ايار ، يوم اخلوا منازلهم وانضموا الى اخوانهم في النبي يعقوب .

قال احد سكان هذه المستعمرة ، وهو كاتب يهودي يدعى (اولشا) ، انهم اضطروا لترك اعمالهم الزراعية مذ نشب القتال بين العرب واليهود ، واراقوا على الارض الحليب الذي لم يستطيعوا شحنه للقدس كالمعتاد وكذلك قل عن البيض والمحاصيل الاخرى التي تكدست في المستعمرة دون جدوى ؛ والشيء الوحيد الذي فقدوه هو الخبز ، بسبب نضوب الدقيق الذي كان لديهم ، ولكنهم تمكنوا من الحصول عليه بوساطة الجنود البريطانيين الذين كانوا يرابطون في المطار ، ولقد نجحوا في ذلك لقاء مبلغ كبير . وانهم طلبوا من السلطة البريطانية ان تنقل الى القدس النساء والاطفال ، وان هذه السلطة وان رفضت في بادىء الامر طلبهم قائلة انه لا بد من الجلاء العام ، الا انها عادت في شهر ايار قلبت نداءهم ، ونقلت نساءهم واطفالهم من القدس ، واعادت اليهم رفاقهم الذين لم يستطيعوا العودة في شهر آذار بسبب القتال ، ولكنهم ، بالرغم من ذلك كله ، راحوا يرتعدون خوفاً وقلقاً ويتوقعون سقوط المستعمرة ، والفناء . ولا سيما عندما انقطع عنهم تيار الكهرباء ، وقل الماء ، واقترب اليوم الخامس عشر من ايار ، اليوم الموعود لغزو الجيوش العربية .

ولما انسحب الجيش البريطاني في صباح يوم الجمعة الموافق ١٤ ايار ، واخلى المطار (مطار قلندية) ، احتله سكان المستعمرة ، واخبروا قيادة الهاجنا باللاسلكي . ولكن هذه امرتهم بترك المستعمرة فوراً ، والالتحاق باخوانهم في النبي يعقوب ، على مسافة كيلو مترين من مستعمرتهم الى الجنوب الشرقي . فامتثلوا الامر ، وغادروا المستعمرة عندما اسدل الليل ستاره ، تاركين وراءهم دوابهم واثاثهم وكرومهم غادروها بعد ان زرعوا الالغام في مفارق الطرق وفي بوايك البقر واسطبلات الخيل واقنان الدجاج .

انتهى ما كتبه (اولشا) اليهودي .

ولقد زرت المستعمرة المذكورة غداة اليوم الذي غادرها فيه سكانها . وكنت في صحبة الزعيم احمد صدقي بك الجندي ، قائد اللواء الرابع : رأيت القرويين يعملون فيها يد النهب ، حتى المنازل فقد دمروها . والبقر والخيل والدواجن نهبوها . وما لم يستطيعوا حمله ، بقروه . وكان بالامكان حفظه ، والافادة منه ؛ ولا سيما في سبيل اطعام اللاجئين

واسكانهم . هذا لو كان عندهم شيء من العقل والتنظيم :

وراحت الهاغانا ، قبل المغيب ، تذيع باللغة العربية طالبة الى العرب من سكان المدينة الرحيل رحمة بالشيوخ والنساء والاطفال .

وشعر العرب في ١٥ ايار بحرج الموقف واستغربوا لماذا لم يزحف الجيش العربي . وارسل آمر حامية القدس فاضل العراقي ، الى قائد المنطقة مهدي بك ، برقية لاسلكية استنجده فيها . فراح هذا يقصف بمدافعه الثقيلة من قطاع رام الله الاحياء اليهودية . قصف مئة قنبلة في بحر ربع ساعة . وكانت اهدافه حي بن يهودا ، وشنللر وشارع الملك جورج ، ورحافيا ، ودار الوكالة اليهودية . وجاءت نجدة من جنين بقيادة فوزي الجرار قوامها خمسون مقاتلا ، وكان لمجيئها اثر يذكر . وبلغ عدد العرب الذين لاقوا حتفهم في ذلك اليوم سبعة .

حدثني السيد احمد عاشور ، مختار البقعة الفوقا ، وقد اسره اليهود وظل في الحي بعد احتلاله ثمانية شهور ، قال : - كان عدد الساكنين في البقعة والقطمون وحي النمامرة قبل انتهاء الانتداب البريطاني ، خمسة وثلاثون الفاً ، اكثرهم مسيحيون ويقدرون بالثلثين والباقون مسلمون . ولما احتل اليهود هذا القطاع لم يبق فيه سوى ٤٨٥ شخصاً ، ثمانية منهم مسلمون (اربعة رجال واربع نساء) و ٩٢ مسيحيون (اثنا عشر رجلا وثمانون امرأة) والباقون ٣٨٥ يونان وارمن وسريان . واما باقي السكان فقد رحل فريق منهم قبل مجيء اليهود ، واضطر الفريق الاخر للرحيل تحت الضغط والارهاب .

والذين رحلوا من المسيحيين خطوا رحالهم في بيت لحم وبيت جالا والصلت ومادبا وبير زيت ورام الله . والمسلمون في عمان ومصر والشام والبيره ورصيفه وصويلح والزرقاء ، وغيرها من البلدان .

وفي ذلك اليوم (١٥ ايار) اعترفت الولايات المتحدة بحكومة اسرائيل ، وجاءت الانباء مؤيدة اجتياز الجيش المصري لحدود فلسطين ، واغارت الطائرات المصرية على تل ابيب . وقتل خمسون يهودياً عند باب الواد .

عكا

●

سقطت عكا بيد اليهود في ١٦ أيار سنة ١٩٤٨ . واليك موجز ما تيسر لنا جمعه عن انباء القتال فيها وفيما حولها من القرى قبل سقوطها .

كان عدد السكان في مدينة عكا في اوائل عهد الاحتلال (١٩٣١) ٧،٨٩٧ . منهم ٦،٠٧٦ مسلمون و ١،٥٨٤ مسيحيون و ٢٣٧ يهود. واما في اواخر ذلك العهد (١٩٤٥) وقبيل القتال فقد اصبحوا ١٢,٣٦٠ منهم ٩،٨٩٠ مسلمون و ٢,٤٢٠ مسيحيون و ٥٠ يهود ، وعند صدور قرار التقسيم ازدادوا فأصبحوا ١٨،٠٠٠ ، وعندما سقطت حيفا ولجأ الحيفاويون الى عكا بلغ عدد سكانها اربعين الفاً . ومع ذلك فان حامية عكا ما كانت لتزيد عن مئة مقاتل ، فريق منهم عكي تطوع للدفاع عن بلده وعرضه وولده وفريق هب للنجدة باسم الجهاد المقدس ؛ يقودهم محمود الغز الملقب بأبي علي .

وما كان سلاح الجميع ليتعدى البنادق الاعتيادية ، وعدداً لا يذكر من الرشاشات ؛ ولم يكن لديهم من العتاد ما يكفي للقيام بمعركة واحدة من المعارك الحاسمة . واماالیهود الذين كانوا يعيشون حول عكا وفي مستعمراتهم المنتشرة في السهل الكائن بينها وبين حيفا فقد كانوا اكثر عدداً وعدة ، وكانوا مزودين بعدد من مدافع الهاون .

كذلك كان الوضع عند بدء النضال ، ولما جد الجد تألفت من رجال المدينة لجنة اسموها (اللجنة القومية) ترأسها رئيس البلدية حسني خليفة . وتولى امانة سرها المحامي فايز كردي ؛ واما باقي اعضاء اللجنة فهم : فارس سرحان ، احمد البرادعي ، حسين سرحان ، موسى سليم النجمي ، احمد ادلبي ، احمد عبده ، احمد العفيفي ، احسان جراح صالح الحكيم . وكان هذا الاخير حاكم الصلح في المدينة .

وراحت اللجنة تدعو الشباب الى التطوع موحدة جهودها في هذا السبيل . مع نادي اسامة ، ونادي الشباب ، ونادي عمر بن الخطاب ،والنادي الارثوذكسي والنوادي الاخرى التي كانت قائمة في المدينة .

لم يكن بين هذه النوادي اتفاق تام . وكان الخلاف على اشده بين البلدية ونادي اسامة ورأى القوم بعد قليل ان كفة اليهود ما برحت رغم هذه الجهود راجحة على كفتهم ولهذا قرروا الاكتفاء بصد العدوان اذا ما اعتدى اليهود عليهم، ذلك لان قوتهم لاتكفي للهجوم ، اضف الى ذلك انه كان يقطن عكا زهاء ثمانية آلاف شخص بين موظف وعامل . من الاشخاص الذين كانوا بحكم اعمالهم في المصافي ومصانع السكك الحديدية وشركات البترول وفي المرفأ والورش العسكرية وفي مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة مضطرين للنزول الى حيفا في كل يوم . فريق منهم كانوا مضطرين للعيش مع عائلاتهم في عكا بسبب قلة المنازل وغلاء الاجور في حيفا . وآخرون استوطنوا عكا بعد صدور قرار التقسيم لانها (اي عكا) اعتبرت في قرار التقسيم من القسم العربي من فلسطين .

ان هذا الوضع (اي وجود ٨٠٠٠ عربي من موظفي حيفا في عكا ، واضطرارهم للذهاب والاياب بين البلدين في كل يوم مرتين ، هو الذي حدا باللجنة القومية لاتخاذ خطة الهدوء والسكون . الامر الذي لم يرض عنه رجال الهيئة العربية العليا ، لا ، ولا رجال جيش الانقاذ الذين جاءوا بعد قليل وتولو الدفاع عن ذلك القطاع . ولكن اللجنة القومية لم تعبأ بغضب هؤلاء واولئك اذ لم يكن لديهامن السلاح والعتاد ما يكفي لمقاومة اليهود . ويبدوا ان اليهود انفسهم كانوا في اول الامرراضين من تلك الخطة ، اذ كانوا هم ايضاً مضطرين لسلوك تلك الطريق (١) كي يصلوا الى مستعمرة (نهاريا) الواقعةعلى مقربة من الناقورة الى الشمال من عكا . واما بين عكا وترشيحا فقد كان السفر متعذراً بسبب وجود اليهود في مستعمرة (جدين) وكانوا منها يشرفون على الطريق . ولهذا غير العرب طريقهم ؛ فراحوا يسافرون بين عكا وترشيحا عن طريق الرامة . وهي اطول من الطريق الاصلية بكثير .

كذلك كان الوضع عندما وصل فوج اليرموك يقوده اديب الشيشكلي ، وتسلم ذلك القطاع : عكا وصفد وما حولها من قرى وضياع . وكان وصوله اليها حوالي الاسبوع الثالث من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٨ . ولقد اقام على حراستها ثلاثين مقاتلا من رجاله يقودهم خليل كلاس .

ورغم انه صارح العكيين بسقم خطتهم عندما جاءوا لمقابلته في قرية (يارون) (٢) وطلب اليهم ان يتخلوا عن مهمة الدفاع الى جيش الانقاذ ، الا انهم لم يأبهوا لقولـــه بل ظلو سادرين في خطتهم ذاكرين انه (اي الشيشكلي) ورجاله من جيش الانقاذ لم يستطيعوا التغلب على حفنة من اليهود كانت متحصنة في مستعمرة (جدين) على مقربة من ترشيحا ، يوم حاصروها ودام حصارها لها ثلاثة ايام . ولم يكن فيها سوى ثلاثين يهوديا ، مع ان المهاجمين يزيدون على الثلاثمئة . وقد وقعت تلك المعركة بعد صدور قرار التقسيم باسبوعين .

بقيت طريق عكا وحيفا مفتوحة حتى تاريخ ١٧ آذار سنة ١٩٤٨ يوم كمـــن اليهود لقافلة عربية كانت تحمل سلاحـــا وكانت آتية من لبنان . ولما اقتربت من مستعمرة (موتسكين) الواقعة على تلك الطريق حاربوا رجالها . فقتلوا منهم اربعة عشر مناضلا

---

(١) طريق حيفا – عكا .

(٢) من اعمال صفد .

اولهم قائد حامية حيفا الرئيس محمد حمد الحنيطي (١) عندئذ ادرك العكيون انهم كانوا على خطأ فيما يعتقدون. قرروا تبديل خطتهم فراحوا يتأهبون للنضال الجدي. وما كاد صبح اليوم التالي (١٨ آذار) ينجلي، حتى كان عدد من مناضليهم يرابط عند مفترق الطريق بين عكا وصفد ومرت من امامهم سيارة يهودية فيها اربعة من موظفي شركة الكهرباء اليهودية فقتلوهم كلهم. واوقف المناضلون بعد ذلك ببضعة ايام باصا يهودياً مصفحا كان قادماً من حيفا الى (جدين). اوقفوه على مقربة من قرية الكابرة، على طريق ترشيحا. وكانوا قد سدوا الطريق بالحجارة. وكان يقودهم اثنان من رجال التحرير هما: خليل كلاس (سوري) واميل جميعان (اردني) ولقد صب العرب على الباص اربع صفائح من البنزين فحرقوه وقتل كل من فيه. وكانوا تسعة عشر منهم امرأة يهودية اراد العرب ان لا تصاب بسوء فاخرجوها من الباص واقتربت منهم رافعة يديها. وكانت تحمل في احداها منديلا ابيضاً وما كادت تقترب منهم حتى قذفتهم بقنبلة كانت تخفيها تحت المنديل. ولكنها اخطأت الهدف، وماهي الا برهة حتى كانت في عداد القتلى.

بعد هذا الحادث قطعت الطريق بين عكا وحيفا. وكذلك قل عن الطريق بين عكا والناقورة. فان السفر فيها اصبح متعذراً لوجود عدد من المستعمرات اليهودية في ذلك السهل، ولهذا راح المسافرون بين عكا وحيفا يستعملون طريق البحر والزوارق البخارية واما المسافرون بين عكا ولبنان فكان عليهم اما ان يختاروا البحر او يعبروا طريقا طويلة هي التي تمر من صفد، فالرامة، والبقيعة، وفسوطة وبنت جبيل.

بقيت الحال في عكا على هذا المنوال الى ان سقطت حيفا، وكان ذلك في ٢١ نيسان عندئذ هاجر اليها الحيفاويون، هاجروا بحراً. وكذلك فعل المناضلون وعددهم مئة وعشرون. واكتظت هذه باللاجئين من كل مكان. واضحت عكا بمثابة شبه جزيرة في طرف من اطراف البحر: طريق الناقورة من شمالها مقطوعة. وكذلك قل عن طريق حيفا من الجنوب، والطريق الوحيدة التي كان بامكان العكيين ان يطرقوها هي التي تمر من الرامة، ثم تتجه شمالا الى بيت جن - فالبقيعة - وفسوطة - وبنت جبيل وصور

وما كاد الامر يستتب لليهود في حيفا، حتى راحوا يفكرون في احتلال عكا. وقد هاجموها في اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان. فقذفوها يومئذ بعدد كبير من قنابل مدافعهم القوسية (المورتر) وقنابل السليند، وتمكنوا من احتلال تل الفخار (تل نابليون) الواقع شرقي عكا. ولم يكن هذا التل محصناً، لا، ولا كان فيه سوى

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه القافلة في الفصل الذي خصصناه لمعارك حيفا

سبعة من المناضلين : واما اليهود الذين اشتركوا في الهجوم فكانوا مئة وخمسين : وزحف فريق آخر فاحتلوا المقبرة الاسلامية الكائنة الى الشرق الجنوبي من المدينة. عندئــذ ابرق الشيشكلي الى اللجنة العسكرية في دمشق طالباً انجاده ، قائلا ان القوة التي وضعت تحت تصرفه لا تكفي لصد تيار اليهود ، ولكن اللجنة لم تلب طلبه . وفـيما كانت المخابرات تجري بين عكا ودمشق دون جدوى كان المناضلون من ابناء عكا منصرفين الى تقوية خطوطهم ، ولم ينقطعوا عن مقاومة اعدائهم. وكان يقودهم يونس النفاع وامين عز الدين اللذان هبطا عكا بعد سقوط حيفا وكان معها مدفعان . وظل المناضلون صامدين الى ان نفذت ذخائرهم ، ولما ايقنوا انه لا قبل لهم بالجمع اليهودي المتكاثر – ولم يبق بايديهم من العتاد ما يكفي لصده – ارسلوا وفداً (١) الى الحاكم البريطاني المستر كينيون (٢) Kenyon يطلبون منه النجدة . واشار هــذا على الجيش البريطاني (٣) بان إينجدهم فأطلق عليهم اربع قنابل من مدافعه الثقيلة ، فما كان من اليهود الا ان ارتدوا الى الوراء (٢٦ نيسان ١٩٤٨) .

حدثني عامر حسك ، من رجال جيش الانقاذ وكــان في حرب فلسطين آمراً للواء اليرموك الاول ، ان المقدم اديب الشيشكلي زار عكا مساء اليوم السادس من شهر أيار سنة ١٩٤٨ ، يوم كانت المدينة تغلي كالمرجل ، وما كانت حاميتها قادرة على حمايتها فراح اهلها ينزحون عنها : وما ان وطأت اقدامه المدينة حتى تقدم اليه خليل كلاس آمر حاميتها قائلا ان نائب حاكم لواء الجليل المستر كينيون اقترح السماح للقوافل اليهودية كي تنقل المؤن الى المستعمرات الكائنة شمال خــط عكا – الكابري على ان تكون تلك القوافل خاضعة لتفتيش القوات العربية . ويتعهد اليهود لقاء ذلك الا يهاجموا عكا . وعكا واقعة في المنطقة التي خصصت للعرب في قرار التقسيم . واضاف عامر حسك الى ذلك قوله : « ان الشيشكلي وافق على ذلك الاقتراح شريطة ان يتعهد الانكليز بتنفيذه . وما كــان الشيشكلي ليرضى بذلك لولا انه كان منشغلا بالدفاع عن صفد : وكان يرمي الى كسب الوقت ، ولكن اليهود رفضوا » .

لم تقف اللجنة القومية في وجه الراحلين لا ، بل كانت تسمح لهم بالرحيل ، وتتقاضى

---

(١) الوفد كان مؤلفا من بعض رجال اللجنة القومية وقد رافقهم القاضي صالح الحكيم حاكم الصلح في ذلك الحين.

(٢) كان هذا مساعدا لحاكم اللواء في حيفا .

(٣) كان الجيش يومئذ مرابطا في ثكنة واقعة على شاطئ البحر الى الشمال من عكا سميت St.James

رسوماً معينة عن الراحلين ، ومعظم الرحيل جرى عن طريق البحر من عكا الى بيروت . واستغرب القوم: لماذا عرض السيد احمد البربير صاحب معمل السكر زوارقه التجارية لنقل الراحلين من غير اجر ولا عوض ، حتى ان بعضهم اساءوا الظن ، فراحوا يقولون : انه مأجور لتلك الغاية من لدن الانكليز. راح العكيون بعد ذلك الحادث يرحلون عن منازلهم. وكذلك فعل اخوانهم الحيفاويون الذين هبطوا عكا بعد سقوط مدينتهم بيد الاعداء . فريق من المناضلين ولوا وجوههم شطر الناقورة عن طريــق النهر والزيب . واخرون أموا لبنان عن طريق عكا ـ الرامة ـ بيت جن ـ البقيعة ـ فسوطة ـ بنت جبيل ـ صور ومن لم يستطع سلوك هذين الطريقين عبر البحر بالزوارق البخارية . ومن لم يرحل من السكان (١) واختار البقاء في منزله حتى ولو كان في ذلك حتفه ، اصبح عرضة للبؤس بسبب الجوع والعطش والمرض . اما الجوع فحدث عنه ولا حرج ، اذ ان المواد الغذائية بجميع انواعها ، كانت قد فقدت ، واما العطش فسببه الماء الذي لوثه اليهود (٢) فأنتشر بينهم مرض التيفوئيد بشكل مخيف(٣)

وبعد أن كان هم اللجنة القومية منحصرا في تنظيم شؤون القتال والدفاع عن المدينة راحت تبحث عن الطعام تطعم به السكان ، وعن المصل ضد التيفوئيد تحقنهم به ، وقد انتشر البلاء وعز الدواء . وقل عدد الممرضين والممرضات كما قل عدد الاطباء . اما المناضلون الصابرون القادرون على القتال فلم يبق منهم سوى عدد ضئيل ، لا يزيد عــلى الخمسين . ولكن . ماذا يستطيع هؤلاء المناضلون ، وعددهم ـ كما قلنا ـ لا يزيد على الخمسين ، اضف الى ذلك أن الاخباراتتهم تقــول ان اليهود احتلوا (في ١١ أيار) صفد . وقد احتلوا في اليوم نفسه (رأس الناقورة) على الحدود و (البصة) الكائنــة على مقربة منها . والزيب . وباحتلالهم هذا اصبح السهل الممتد من حيفا الى النــاقورة بأيديهم .

وفيما كان المناضلون ومن بقي في عكا من الاهلين يفكرون فيما يجب عليهم ان يعملوه؟ وكانوا يومئذ(١١ أيار) مجتمعين في دار البلدية ، دخل عليهم خليل كلاس ليخبرهم(٤)

---

(١) قد رهم المطلعون على حقائق الامور باربعة آلاف نسمة .

(٢) لوث اليهود مياه نهر الكابري الـذي يمر من مستعمرتين (عين سارة وشافية نسيون) من مستعمراتهم . لوثوه بجراثيم التيفوئيد خصيصا ليقضوا على البقية الباقية من سكان عكا واللاجئين اليها .

(٣) روى لي صديق اثق بصدق روايتــه انه توفي في خلال يومــين اربعون شخصا . وكانت اصابتهم بالتيفوئيد .

(٤) اقتبست هذا الخبر من تقرير وضعه السيد فايز فضة من شباب عكا بتاريخ ٢٥ – ١٠ –١٩٤٨ وكان هذا عضوا في لجنة الدفاع المنبثقة عن اللجنة القومية .

انه تلقى أمراً من الشيشكلي يقضي عليه بالانسحاب. وعبثا حاول الاهلون اقناعه بالبقاء لئلا تنهار معنويات السكان . فقد اصر على الانسحاب وانسحب . ولما سألته عن سبب انسحابه (عندما زرته في دمشق في شهر تشرين الاول ١٩٥٤) قال : سلمت حامية عكا الى امين عز الدين بموجب الامر الذي اصدره الملك عبد الله قبل سقوط صفد بأربعة أيام . وذهب وفد من رجالات عكا الى عمان ، فقابل الملك عبد الله وطلب منه انجاد مدينتهم ، الا انه لم يلب طلبهم . وفي قول انه صدهم بقسوة ، الامر الذي جعلهم يقنطون . ولم يعد احد من رجال الوفد الى عكا بعد تلك المقابلة التي سرت اخبارها الى الملأ ، فراحوا يرحلون .

وكذلك فعل الشيشكلي الذي رفض رجاء وفد ذهب الى المالكية لمقابلته في اليوم التالي (١٢ أيار) اذ قال لهم انه ليست لديه قوة تكفي لانقاذ عكا . وكان الوفد مؤلفاً من امين عز الدين ومصطفى قبلاوي ، ومحمد اسكندراني ، وفضل كتمتو . وكذا كان جواب الشيشكلي الى قيادة جيش الانقاذ عندما كلفته في اليوم نفسه (١٢ أيار) ان يعمل على تقوية حامية عكا . فقد ابرق اليها معتذراً لسعة الجهة التي تشغلها قواته ـ وكانت قوات الانقاذ يومئذ ترابط في مجد الكروم ، وكفر ياسيف ، وترشيحا ، والمغار والليات . وفي الليات كانت مدافعها . واما القيادة فكانت في كفر ياسيف ـ والنصب الذي اصابها بعد سقوط صفد . وكانت قواته يومئذ ترابط في خط طويل يمتد من كفر برعم الى مخفر صالحة ـ فالمالكية فالنبي يوشع .

في ١٣ أيار سمع السكان حوالي الساعة ٣ بعد الظهر صوت الرصاص والقنابل من ناحية تل نابليون : فاتخذ المناضلون اماكن للدفاع . وبعد ساعة انسحب القائد يونس نفاع ونائبه امين عزالدين ورجالهما من مراكزهم على تل نابليون . انسحبوا الى البلد ، بعدان هرّبوا الاسلحة التي كانت بحيازتهم في مركب . واطلق بعض الشباب النار على المركب محاولين الاستيلاء على السلاح ليحاربوا به العدو ولكن المركب اقلع ولم يقف . وجرد الاهلون البقية الباقية من رجال يونس نفاع من اسلحتهم وانسحب هؤلاء من المدينة في مصفحة للبوليس كانوا قد استولوا عليها من قبل . وما كاد يونس نفاع ومساعده امين عزالدين ومن معهما من المناضلين ينسحبون من (تل نابليون) حتى جاء اليهود واستولوا عليه : وعبثاً حاول المناضلون العكيون استرداد ذلك التل . فارتدوا هم ايضاً عنه بعد ان استشهد منهم كثيرون نذكر منهم عدنان الشامي ، وجميل عرابي ، ومحمد سعد ، وجدعون، وهم الذين تحضرنا اسماؤهم .

ومرت من امـــامهم ، في اليوم نفسه (١٣ أيار) قافلة يهوديـــة مؤلفة من تراكين وسيارة جيب وثماني مصفحات . فاغاروا عليهـــا وعطلوا منها سيارة الجيب وحرقوا التراكين ، واما بقية القافلة فقد سارت في طريقها . وما كاد ينقضي على مرورها نصف ساعة حتى سمـــع الناس صوت القنابل يدوي من ناحية السمرية(١) فراحوا يستطلعون الخبر . واذا بالمخبر يقول ان قتالا عنيفاً وقع هناك (اي في السمرية) وان ذلك اودى بجميع شبانها الذين حاولوا صد تلك القافلة ولم ينجحوا بسبب نفاد عتادهم .

وغادر عكا في صبيحة اليوم التالي (١٤ أيار) وفد مؤلف من صالح الحكيم وفريد ابو نسب واحمد العفيفي ، قاصدين بيروت ، وحاول الوفد اقناع الحكومـة اللبنانية كي تمد عكا بالعتاد عن طريق الجو ، ولكنه لم يفلح ، وباءت مهمته بالفشل ايضاً عندمـا سافر الى بنت جبيل وقابل الشيشكلي آمر فوج اليرموك من افواج جيش الانقاذ ، ولما قال اعضاء الوفد للشيشكلي ان عكا ساقطة لا محالة ما لم تنجد حالا قال لهم : « لتسقط !!! فسنستردها عما قريب » . ولكن يبدو ان الشيشكلي اعاد بعد برهة نظره في طلب الوفد ، فقرر انجاد عكا بما تيسر لديه من جنود ، وارسل اليها في الحال فصيلا مؤلفاً من خمسين مقاتلا يقودهم ابو محمود الصفدي ، وفي قول أن المناضلين الذين جاءوا مع ابي محمود الصفوري كانوا ١٧٥ مسلحاً . وكان هذا من جماعة القسام ومن رجال الجهاد المقدس . ولكنهم لم يمكثوا فيها اكثر من يوم او بعض يوم . ثم انسحبوا هم ايضاً عن طريق الشاطيء قاصدين لبنان . وقد اثر انسحابهم على من تبقى في المدينة من السكان تأثيراً سيئاً . ولم يبق في المدينة منهم سوى ٤٨ مناضلا . ونزل هذا الفصيل الى الميدان فور وصوله .

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي (١٥ أيار) اغار المناضلون على اليهود ، فاخرجوهم من محطة السكة الحديدية الى الجنوب الشرقي من عكا ، ومن بناية مصلحة الشؤون في شرقها ، ولكنهم عادوا عند الظهيرة فانسحبوا من هذين الموضعين تحت ضغط المدفعية اليهودية ، وخسروا اثناء انسحابهم من هناك عددا آخر من الشهداء ، نذكر منهم صالح الدوخي .

ان المناضلين العكيين وان فشلوا في هذه الناحية الا انهم نجحوا في الناحية الاخرى ، حيث تمكنوا من صد اليهود الذين وصلوا الى عمارة السينما الاهلية ، وما كاد الليل يجن (١٥ أيار) حتى كان عدد قتلى اليهود هناك قد بلغ الستين . وازداد المناضلون املا

---

(١) الى الشمال من عكا ، وهي تبعد عنها زهاء خمسة كيلو مترات .

ورجاء عندما نقلت اليهم محطات الاذاعة انباء اجتياز الجيوش العربية حدود فلسطين . فراحوا يقاتلون بهمة ونشاط لا عهد لهم بمثلهما من قبل ، ودام القتال طوال الليل . فافرغ المناضلون كل ما في ايديهم من ذخيرة وعتاد ، آملين ان تحمل اليهم جيوش الدول العربية الشقيقة ما هم في حاجة اليه وكان عددهم يومئذ سبعة عشر . ولكن حل اليوم التالي (١٦ أيار) دون ان يتحقق املهم ، فشعروا بخيبة الامل وكانوا قد بقوا يومين كاملين من غير عتاد ولا زاد . فحل بهم من الضنك والجوع والعطش ما لا يعلم به سوى الذي خلقهم . عندئذ قرروا التسليم ، وابلغوا قرارهم هذا الى من تبقى في المدينة من شيوخهم(١) ، فتقدم هؤلاء من اليهود يحملون علماً ابيض طالبين تسليم المدينة . وقد تسلمها اليهود فرحين (١٦ أيار ١٩٤٨) .

حدثني من اثق بصدق حديثه انه كان يتقدم صفوف الغزاة من اليهود عدد كبير من الدروز ، ومن اليهود الذين كانوا ينطقون بلغة الضاد ، وان هؤلاء كانوا وهم يتقدمون يزغردون ويهتفون قائلين باللغة العربية : « لعين عيونكم . اتكلوا على الله ! » وكان الوقت ليلا فظن بعض ابناء عكا — وبعض الظن اثم — انهم (اي الغزاة) عرب جاءوا بقصد النجدة . فرحبوا بهم . ولكن اليهود قتلوا عدداً كبيراً منهم . نذكر منهم :

ابو محمود القاضي وهو شيخ في حدود الخامسة والثمانين من العمر . الحاج خليل منون (٧٠) واخوان هما محمود والحاج توفيق من آل عرابي الملقبين بالدباغ . والحاج عبدالله المغربي . ومحمد ابو خالد شتات . واحمد شكري . وعمر فستق . ويؤكد نجيب حسون صاحب جريدة (العالم العربي) في مقال له نشرته جريدة الحارس العراقيــة في عددها ٥٠ بتاريخ ٧ — ١١ — ٥٣ « ان اليهود قتلوا من سكان عكا يوم احتلالها واحداً وتسعين عربياً بينهم عدد غير قليل من الشيوخ والاطفال والنساء العجز » .

ولقد اصدر اليهود فور احتلالهم عكا ، امرهم بمنع التجول . أمروا جميــع السكان العرب الذين بقوا في المدينة ولم يبرحوها بالذهاب فرادى الى عمارة البوليس (تيجارن) حيث تم جمعهم . ففتشهم اليهود . اما الشيوخ والعجز فقد اطلقوا سراحهم . وامــا الشبان فقد اعتقلوهم .

واقام اليهود على عكا حاكماً منهم ، هو الاضون اسرائيل من يهود طبريا . وراحوا يحكمون المدينة كما يشاءون.

---

(١) عرفنا منهم : احمد الادلبي . احمد عبده . احمد عجلوني . مثقال الجرار . الشيخ موسى الطبري . الدكتور نعيم قطران . الرئيس الروحي لطائفة اللاتين

واقاموا عند مفترق الطرق على مدخل المدينة نصباً نقشوا فيه انه «تخليد لذكرى ٧٥٠ من ابطالهم الذين قتلوا امام اسوار عكا » .

وهكذا سقطت عكا المدينة العربية التاريخية التي صمدت لهجمات نابليون وصمدت الكثيرين من الفاتحين الاقدمين . كان الاقدمون فيما مضى يلفظونها (عكة)

فتحت على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان سنة ١٥ هـ - ٦٣٦ م ، ومنها سار معاوية لغزو قبرص وصور . وخربت بعد ذلك ، فجددها هشام بن عبـد الملك . وهي من الاردن . وكانت مشهورة بصناعاتها .

ثم فتحها الصليبيون (٤٩٧ هـ - ١١٠٣ م) .

اخذها بلدوين من زهر الدولة المنسوب الى امير الجيوش بدر الجمالي . وكان بها من قبل المصريين . ثم استردها منهم صلاح الدين (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) . وجعلها لولده الافضل . واستعادها الافرنج من المسلمين (٥٨٧ هـ - ١١٩١ م) فقتلوا فيهـا ثلاثة آلاف من اسرى المسلمين . وفي سنة ٦٩٠ هـ -١٢٩١ م فتحها الملك الاشرف بن الملك. المنصور قلاوون . ونقض بيوتها وابراجها. وقتل من بها من الافرنج. وخربت بعد ذلك ولما زارها ابن بطوطة (٧٥٦ هـ - ١٣٥٥ م) كانت خراباً . وكانت صفد قد احتلت مكانها . وكانت في عهد الاتراك (١٥١٧ - ١٩١٧ م) معتبرة من المدن الفلسطينيـة الكبرى . وكذلك قل عنها في عهد الانتداب البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٧ م) .

قرى عكا

●

بعد ان احتل اليهود عكا (١٦ أيار ١٩٤٨) باسبوع هاجموا قرية (البروة) . ورغم ان سكانها قاوموهم مقاومة عنيفـة . الا انهم اضطروا - حيال ضغط اليهود وقواتهم الكبيرة - الى الانسحاب منها (٢٣ أيار) . فانسحبوا الى (مجد الكروم) .

وتابع اليهود تقدمهم فراحوا يزحفون صوب قرية شعب . وكان على رأس هـذه القرية رجل يدعى (ابو اسعاف) . فاستنجد هذا بفوزي القاوقجي . الا انه لم ينجده وكانت قوات القاوقجي يومئذ معسكرة في (المغار) . عندئذ راح ابو اسعاف يستنفر

المناضلين في : الجديدة ، والمكر ، وكفر ياسيف، وسائر القرى المحاورة : فلبوا نداءه : وراحوا يقاتلون اليهود مجتمعين . الى ان تمكنوا من اخراجهم من البروة . وتعقبوهم حتى (بير العياضية (١)) الواقعة على بعد سبعة كيلو مترات من عكا الى الشرق . ومن هناك راحوا يرسمون الخطط لاسترداد عكا . وكانت هناك، في عكا ، جماعة تعمل في الخفاء لمقاومة اليهود : يقودها ضابط سوري هو (ابراهيم الحسيني) . وكان بيد افراد هـذه الجماعة مئتان وخمسون بندقية من اسلحة جيش الانقاذ .

وبات الامل قوياً في استرداد عكا . لولا ان الريح سارت باتجاه معاكس . اذ وقع خلاف بين القاوقجي الذي جاء الى بير المعاضية من جهة وبين ابي اسعاف قائـد المناضلين من الجهة الاخرى . الامر الذي ادى اولا الى انسحاب ابي اسعاف وابراهيم الحسيني من الميدان . ثم انسحب القاوقجي من هناك . انسحب الى المغار ، ولما ينقضي على وصوله الى بير المعاضية سوى ليلة واحدة .

عندئذ جاء اليهود ، فهاجموا (البروة) ، واحتلوها مرة ثانية . وكان معهم يومئذ عدد كبير من الدروز (٢) .

بعد البروة هاجم اليهود قرية (شعب) . فاحتلوها . وهدموا عدداً من منازلهـا . ثم ساروا الى الامام ، فاحتلوا (الدامون) . وهدموها، فجعلوا عاليها سافلها .

ثم سقطت (طمرة). ويبدو ان سكان هذه القرية خشوا ان يحل بهم ما حل بأخوانهم سكان القرى المجاورة ، فاستقبلوا اليهود بالتهليل .

وما كاد ينقضي شهر على احتلال عكا حتى كانت القرى الاخرى ايضاً قد سقطت : ام الفرج . والكابري . والزيب . والبصة . وعمقا . وترشيحا . واكثر الذين احتلوا هذه القرى من الدروز ، وقليلون من اليهود . واعمل فيها هؤلاء يد النهب والتدمير . واما ترشيحا فقد قصفوها ، قبل احتلالها ، من البر والجو .

---

(١) عند مفرق الطرق المؤدية الى كفر ياسيف ومجد الكروم وطمرة وشعب .

(٢) يؤكد الثقاة الذين شهدوا معارك عكا وقراها في تلك الفترة من الزمن ان نصف القرى الدرزية التي كانت منتشرة في ذلك القطاع (كجولس ، ويركا ، وابو سنان ، وبيت جن ، وكسرى ، ويانوح) ، كانت تحارب في صفوف اليهود . والنصف الاخر ولا سيما القرى الدرزيـة القريبة من قرى عربية (كالبقيعة ، وجث ، وسموع . . .) فانها وقفت على الحياد .

وجاءت قوات يهودية اخرى من ناحية صفد . فاحتلت (المغار) : وكان القاوقجي قد انسحب منها قبل ساعات . ومـــا كاد القاوقجي يسحب مدافعه من (الليات) حتى سقطت هذه ايضاً بيد اليهود .

وانسحب القاوقجي بعدها الى ما وراء الحدود .

اليهود يحتلون قشلاق اللنبي
وحي الشيخ جراح ، ويخلون (كاليه)

في ١٦ ايار احتل اليهود معسكر الجند (اللنبي) الواقع على طريق بيت لحم ، كـمـا احتلوا بقية منازل حي الشيخ جراح . ولكنهم في الوقت نفسه اخلوا مستعمرة (كاليه) الواقعة على شاطىء البحر الميت من الشمال . فاحتلها رجـال الكتيبة السادسة من كتائب الجيش العربي . وكان باستطاعة هذا الجيش ان يحتلها قبل ذلك بيومين ، اذ رفعت راية التسليم عندما طوقت في الرابع عشر من ايار. ولا بدع فانها على مقربة من الحدود الاردنية لاتبعد عنها اكثر من ميل او بعض ميل .

بلى وربك . فـــان الناس راحوا يتساءلون : ــ لماذا اكتفى الفريق غلوب باشا ، رئيس اركان حرب الجيش العربي وكان الكل بالكل في ذلك الحين ، بامهال اليهود ، لماذا اتاح لهم فرصة الانسحاب مشترطـــاً ان يسلموه اسلحتهم الثقيلة فقط ، وكان في مقدوره ان يتسلم منهم الثقيلة والخفيفة ؛ وان يأسر فتيانهم القادرين على القتال ، وان يضع يده على المستعمرة كلها بما فيها من الات ضخمة وماكنات نادرة ومعدات للصناعة والقتال . فانه ، بدلا من ذلك ، تعهد بالايصيبهم اذى ، وان يتولى جيشه حماية المستعمرة ومنشئاتها من الدمار .

ومع ذلك فان اليهود لم ينفذوا الشروط التي رضوا بهـــا عند المفاوضة ، وانسحبوا تحت جنح الظلام ، اخذين معهم جميع مقاتليهم وكل اسلحتهم ومعداتهم وما لم يستطيعوا حمله من الات ومعدات . احرقوه . ثم انسحبوا عن طريق البحر في قوارب اعدوها لهذه

الغاية ، وحطوا رحلهم في مستعمرتهم الكائنة على شاطىء البحر الميت من الجنوب (١).

ما كاد اليهود يخلون كاليه حتى احتلها العرب. وما كاد هؤلاء يدخلونها حتى راحوا يعملون يد النهب فيها . ثم نقلوا ما امكنهم نقله في سيارات اتت من عمان لهذه الغاية . وحطموا مالم يستطيعوا نقله من الات وادوات قـدرت أثمانها بالاف الجنيهات . اذ كانت هذه مركزا لشركة كبيرة اخذت على عاتقها استخراج البوتاس من البحر الميت (٢)

---

(١) قدر المطلعون على بواطن الامور الذين رأوا اليهود وهم ينسحبون ان عدد الذين انسحبوا يومئذ من شمال البحر الى جنوبه تسعمئة ، جلهم – اذا لم نقل كلهم – مسلحون . ولقد انضم هؤلاء الى اخوانهم المقاتلين هناك ، فـاصبحوا زهـاء الف وخمسمئة . وراحوا يرابطون في امكنة محصنة تحصينا تاما – فالبحر من شمالها ، وجبل اصـدم من غربها ، وسد منيع مصطنع من جنوبها ، وسبخة فسيحة خطرة من شرقها . وهذه السبخة الواقعة بينها وبين غور الصافي منيعة بدرجة يستحيل على المرء اجتيازها

وما كاد اليهود يتمركزون في تلك البقعة الحصينة من الارض حتى راحوا يشنون على غور الصافي وعلى العربان النازلين في البطاح من حوله ، غارات شعواء .

ولئلا يقطع هؤلاء عنهم مياة الغور ، رسموا خطة لاحتلاله . ولقد باغتوا حامية الغور ، فعلا ، في ساعة مبكرة من صبيحة اليوم الثاني من شهر حزيران ، وكادوا يستولون عليها ، لولا ان اتتها نجدة من الكرك والطفيلة . فردتهم على اعقابهم . الامر الـذى ذكرته في حوادث اليوم الاول من شهر حزيران ١٩٤٨ .

ولبث اليهود في مستعمرتهم القبلية التي ذكرنـاها في الاسطر المتقدمة يتحينون الفرصة المـلائمة للزحف نحو الجنوب . ولما حانت هذه زحفوا . وعند الحصب التقوا بزملائهم الذين جاءوا على ظهر الباخرة الطالينا في اليوم العشرين من شهر حزيران ١٩٤٨ واتوا من ناحية بئر السبع عن طريق نقب صفر . فزحفوا معا نحو الجنوب في وادي العربة . ووقفوا على شاطىء البحر الاحمر وعلى مقربة من العقبة . الامر الذي فصلناه في موضع اخر من هذا الكتاب عنـد ذكرنا لحوادث اليوم الحادي عشر من شهر اذار ١٩٤٩ .

(٢) حصل اليهود في عهد الانتداب ، عـلى امتياز لاستغلال املاح البحر الميت . ومـدة الامتياز خمس وسبعون سنة . وامضى الاتفاق اثنان من كبار رجال اعمالهم هما الادون نوفومسكي والاضون تولوخ ، ووكلاء التاج البريطاني بالنيابـة عن حكومتي فلسطين وشرق الاردن وكان ذلك في شهر حزيران ١٩٢٩ . وأسست لهـذه الغاية شركة للفلسطينيين والاردنيين الحق بالاشتراك في اسهمها بنسبة ٢٠٪ وقد اسموها (شركة البوتاس الفلسطينية المحدودة) .

وجاء في التقرير السنوي الاخير الذي نشرته شركة البوتاس الفلسطينية ان خسائر هذه الشركة في سنة ١٩٤٨ بلغت ٢٤٣ و ١٩٩ جنيه فلسطيني . هـذا فضلا عن معاملها والاتهـا وابنيتها الواقعة في كاليه على شاطىء البحر الميت من الشمال والتي كلفتها ٦٣٢و٠٠٠ جنيه . وبلغت صادراتها في العام الذي سبق ذلك (١٩٤٧) مليونا وثمانمئة الف جنيه ، وارباحها في تلك السنة ٢٧٧و٠٠٠ جنيه ويحتاج اعادة منشآتها الصناعية الى مبلغ قدره مديرها الادون نوفومسكي بثلاثة ملايين جنيه استرليني .

وتمنى العقلاء ان لولم يدمر العرب المنازل التي وجدوها في هذه المستعمرة ، والمستعمرات الاخرى التي سقطت في ايديهم ، فيتخذونها ملجأ لايواء العدد العديد من النساء والاطفال والشيوخ الذين هجروا منازلهم في اماكن اخرى . وكان باستطاعتهم ، لو شاءوا ، ان يستغلوا الالات والماكنات التي وجدوها هنـاك لمصلحتهم ومصلحة قومهم في ميادين الصناعة والانشاء . والشطر الاكبر من اللوم في هذا الحادث يقع على (غلوب باشا) رئيس الاركان العامة للجيش العربي المسيطر الاكبر على الوضع العسكري في ميادين القتال وعلى (ذوقان الحسين) الحاكم العسكري المنتدب لادارة اريحا وقطاعها في تلك الايام ، وهو من الصلت وما كان لاحد ان يقترب من ذلك القطاع الا باذن من احد هذين الرجلين .

الهجوم على باب الخليل

●

ولقد دام قصف المدافع وتبادل النار في مدينة القدس في ١٦ ايار فتدخل القاصـد الرسولي في الامر ، واستطلع راي الهيئات العربية في الشروط التي ترتضيها مـن اجل اعلان هدنه تشمل الحي اليهودي بالبلدة القديـمـة وقيل يومئذ ان هـذا التدخل جرى بايعاز من اليهود انفسهم ، لغرض كانوا يهدفون اليه . وابلغت هذه الهيئات ان الشروط التي وضعتها قـد قبلت ، وهي تتلخص في تسليم السلاح والشبان القادرين على القتال . وتم الاتفاق على (هدنة) تبدأ في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم . واذيع الخبر بين المناضلين فاوقفوا القتال فعلا في الحي القديم .

وفي تمام الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم (اي في الميعاد المحدود للشروع في التسليم قام رجال الهاغاناه بهجوم كاسح على طول الجبهة في المدينة : من النبي داود الى باب الخليل فالباب الجديد والمصرارة وحي الشيخ جراح . وكان عدد مقاتليهم في تلك الجبهة يومئذ الفين . وقد مهدوا لهجومهم هذا بمدافع المورتر من عيار بوصتين ، وبالقنابـل وراجمات الالغام القوها بكثرة في النهار . وسقط فندق فاست . وانسحبت حاميـة مأمن الله من مقرها في عمارة الاوقاف وكان الهجوم في الحقيقة مركزاً على باب الخليل والقلعة مصدره الشماعة والمنتفيوري . والغاية منه اقتحام السور من هذه الناحية ، وانقاذ اليهود في الحي القديم . وما الهجوم في الانحاء الاخرى الا للتغطية ... حتى ان اليهود اذاعوا انهم يعتزمون نسف المدينة القديمة كلها اذا لم يسمح لهم بتزويد اخوانهم المحصورين في الحي اليهودي بالماء والمؤن :

وجاء اليهود الى باب الخليل في ست مصفحات قاصدين اقتحام السور : اثنتان جاءتا من طريق مأمن الله ، واثنتان من الشماعة ، واثنتان من بركة السلطان ، ومن وراء المصفحات جاء المشاة . وكان عددهم زهاء ستمئة احتشدوا بادىء ذي بدء في حي الشماعة . ثم راحوا يزحفون نحو الباب . فتصدى لهم العرب ، وردوهم على اعقابهم ، بعد ان اصلوهم من ابراج القلعة ومن على الاسوار ناراً حامية . وكان للقنابل التي القوها من الاسوار وللالغام التي زرعها فتيان (فرقة القنابل والالغام) (١) في المداخل وعند مفترق الطرق مفعولها عندما تفجرت ؛ ودمرت بعض المصفحات الامامية .

كان عدد المدافعين هناك ، في بادىء الامر ، مئة وخمسة وسبعين اكثرهم ١٢٥ من البوليس البلدي (٢) ، وبعضهم (٢٥) من البوليس النظامي . والبعض الاخر (٢٥) من رجال الجهاد المقدس . ثم اتتهم نجدات من سكان المدينة ومن القرى ومن جماعة جيش الانقاذ . فاصبحوا اربعمئة . وكانت الجبهة التي عهد اليهم بالدفاع عنها تمتد من باب النبي داود الى باب الخليل فالباب الجديد. وكان مثل هذا العدد مرابطاً في الخطوط الممتدة من الباب الجديد الى المصرارة فالشيخ جراح .

وفيما كانت المعركة دائرة عند باب الخليل ، كانت قوات يهودية اخرى تناوىء العرب المرابطين عند الباب الجديد (٣) والنبي داود ودير ابي ثور . وكان يهود الحي القديم ، في الوقت نفسه ، يناوئون العرب في داخل السور . حتى انهم تمكنوا من احتلال بعض دور الارمن المجاورة لحيهم . وسقطت قنبلة يهودية في دير مار مرقص للسريان ،

---

(١) فرقة انبثقت عن البوليس البلدي ، قوامها خمسة وعشرون شابا ، يرأسهم الجاويش حموده الباسطي ، وكلهم قديرون في استعمال القنابل وصنع الالغام .

(٢) كان هؤلاء بقيادة الضابط سليمان عازر من بيرزيت ويساعده الضابط مصطفى عمرو من دورا . والى هذا القائد يرجع الفضل في تنظيم الدفاع عن المدينة في ذلك القطاع (باب الخليل) قبل وصول الجيش العربي . ولد في بيرزيت ١٩٠٣ واتم دراسته الاولى فيها . ثم انخرط في سلك الدرك الفلسطيني (الجندية) ١٩٢١ . ورقي نائباً . وفي ١٩٢٦ انضم الى قوة البوليس وظل يعمل في صفد والمطلة وطبريا والناصرة الى ان نال رتبة (ضابط) ١٩٣٠ . وفي عام ١٩٤٢ نقل الى القدس ، وعهد اليه بالعمل مفتشاً اولا في قسم المباحث الجنائية . وفيما كان الانكليز يتأهبون لمغادرة البلاد رقوه مساعدا لمدير البوليس وعهدوا اليه بقيادة البوليس البلدي بدلا من الضابط خالد الحسيني الذي استقال ليلتحق بفرقة الجهاد المقدس

(٣) كاد اليهود يقتحمون هذا الباب عند منتصف الليل . لولا ان عززت حاميته بعدد من رجال البوليس البلدي ومن المجاهدين الذين اتوا من كل صوب ، فصدوهم . واصيبت قبة النو تردام يومئذ بضرر كبير .

فقتلت الراهب بطرس وجرحت عدداً من سكان الدير نذكر منهم الراهب يشوع . وسقطت ثلاث قنابل اخرى على مقربة من بطريركية الروم الكاثوليك فحطمت جانبا من الكتدرائية .

ولكن العرب رغم هذا كله ورغم قلة ذخائرهم ، تمكنوا من صد هذا الهجوم الذي دام حتى مطلع الفجر . وردوا اليهود عن الابواب كلها . وكلفهم ذلك ثلاثة عشر شهيداً واربعين جريحاً . وزعم اليهود أنهم ما كانوا ليفشلوا لو لبى رجال الهاغاناه الطلب ، وجاءوا لمؤازرة رجال الارغون الذين قاموا بهذا الهجوم .

وفي رواية يهودية اخرى ان القوات اليهودالتي تولت مهاجمة باب الخليل يومئذ كانت مؤلفة من خمس فرق : اربع منها من رجال الهاجنا ، والخامسة من رجال الارغون وكان يقود هذه الفرقة الخامسة (جبورا) الذي اشترك في معارك الشيخ جراح .

ويلقي رجال الارغون(١) التبعة في الانهزام الذي اصاب اليهود في هجومهم على باب الخليل على رجال الهاغانا ويقولون انه لولا (عملية التغطية) التي قاموا بها هم (اي الارغون) لدمرت الحملة كلها . ولما اصيب اليهود بذلك الفشل الذريع .

حتى ان رجال الارغون رفضوا الانصياع لاوامر رجال الهاجنا عندما امروهم في اليوم التالي ان يهاجموا المتحف الفلسطيني .

ويحدثك الرواة الذين شهدوا المعركة ان فرقة التدمير العربية قامت في تلك الليلة باعمال باهرة . وكذلك قل عن المناضلين من فرقة الجهاد المقدس ، وعن فرقة القنابل والالغام . وكان للالغام التي بثتها هاتان الفرقتان والمقاليع التي اخترعتاها (٢) فقذفتا بها الاعداء فضل كبير في صد هذا الهجوم .

وكذلك قل عن جيش الانقاذ الذي قصف بمدافعه (٣) الاحياء اليهودية في المدينة الجديدة . فاوقع بها خسائر جمة . وسقط اكثرها في دار الوكالة اليهودية وفي حي شنلر .

---

(١) هذا ما جاء في تقرير (ي . رعنان) القائد العام لقوات الارغون ذلك التقرير الذي رفعه الى رئيسه (مناحيم بيجان) وقد اطلعت عليه في المجموعة التي ترجمها السيد درويش الشامي الموظف في مكتب الارتباط الخارجي بالقدس عن الصحف العبرية وقد اسماها (في خط النار)

(٢) افاد رجال فرق التدمير العربية كثيرا من راجمات الالغام التى قذفها اليهود على المدينة ، ولم تنفجر . انهم استعملوا البارود والمواد المتفجرة التي فيها . فصنعوا منها الغاماً جديدة قذفوا بها الاعداء

(٣) كانت هذه المدافع منصوبة يومئذ في السهل الواقع الى الشمال من جبل (النبي صمويل) . قرأت في يوميات (الصلاحية) ان احدى القذائف سقطت يومئذ غلطاً فقتلت عددا كبيرا من العرب في ارض الحرم

وفيما كانت الامور في بيت المقدس تسير في اتجاه يرضي العرب ، اتتهم انباء تقول ان الجيشين السوري واللبناني اجتازوا الحدود ولهذا رفضوا المحاولة الجديدة التي قامت بها اللجنة القنصلية ورجال الصليب الاحمر لعقد هدنة في البلدة القديمة ، الا بشروط يرضون هم عنها .

الهجوم على باب الخليل للمرة الثانية

●

ولقد اعاد اليهود الكرة في الليلة التالية (١٧ ايار) فقاموا بهجوم ثان على باب الخليل بعد ان مهدوا لجومهم هذا بنيران البنادق ، وقنابل المورتر ، وراجمات الالغام التي لم ينقطع هديرها في ذلك النهار . وسقطت قنبلتان من قنابل المورتر اليهودية في ارض الحرم واخريان عند باب الاسباط . ولقد اتوا المرة هـــذه ، بعدد اكبر من مقاتليهم . وان كانوا قد اتوا من نفس الاتجاه وبنفس الترتيب ، وكان العرب قد لغموا مفارق الطرق الثلاثة المؤدية الى باب الخليل : من مأمن الله ؛ والشماعة ، وبركـــة السلطان . وسدوا الثغرة (١) الواسعة الكائنة بين الباب من الشمال والسور من الجنوب . واقاموا ، فضلا عن ذلك ، عدداً من البراميل والعربات والسيارات (٢) الكبيرة التابعة للبلدية في الساحـــة الكائنة بين باب الخليل وسويقة علون ، وبين هذه وقشلاق البوليس . اقاموها بشكل متعارض يجعل من العسير اجتياز المصفحات لتلك الساحة . ومن حسن الحظ انه كانت لديهم مقادير غير قليله من الاخشاب الضخمة والاسلاك الشائكة .

وقصارى القول كان العرب في تلك الليلة اكثر استعداداً من التي سبقتها ، اذ كانوا يتوقعون هجوماً حديداً على المدينة من تلك الناحية ، ومـــا الهجوم الذي سبقه في الليلة الفائتة الا لجس النبض . ولم يبق احد من السكان يحمل السلاح الا وهرع الى الميدان يذود عن الحمى . وكانت معنويات الجميع عالية . وقد بدأ الهجوم في الساعة التاسعة مساء ؛ ولكن ما كادت المصفحات الامامية تجتاز مفارق الطرق المتقدم ذكرها حـــتى نُسف ثلاث منها ، فتمزقت ارباً ؛ وقتل من فيها ، عندئذ تقدم المشاة ، وظلت المصفحات

---

(١) هدم جانب من السور ، وفتحت هذه الثغرة ، في عهد الآتراك ، عندما زار القدس امبراطور الالمان غليوم الثاني (١٨٩٨ م »

(٢) وضع العرب هذه السيارات في قشلاق البوليس عند انسحابهم من المدينة الجديدة . وكانت قبل ذلك معدة لنقل النفايات والاوساخ .

الاخرى رابضة مكانها تحمي ظهور الذين تقدموا نحو الباب ، وما كادوا يصلون الى الساحة الى الجنوب من الباب حتى اطلق المدافعون المرابطون على السور وعلى اسطحة المنازل المطلة على الباب ، النيران على الاعداء فاشتبك الفريقان . وظلا مشتبكين زهاء اربع ساعات . وكانت ذخائر المدافعين قليلة (١)، فاستنجدوا باخوانهم المرابطين في الروضة جماعة الجهاد المقدس ، وجيش الانقاذ ، فامدهم الاولون بصندوقين من الذخيرة وصندوقين من القنابل المحرقة . واما فاضل العراقي الذي كان يمثل جيش الانقاذ فلم يستطع انجادهم . اذ كان منشغلا بمسائل اخرى .

ولم ينحصر القتال بباب الخليل ، بل تعداه الى الاحياء الاخرى : من حي الشيخ جراح الى باب العمود فالمصرارة فالباب الجديد وباب الخليل فالنبي داود .

وفي قطاع المصرارة احتل رجال الارغون المدرسة السويدية والبيت البولوني ومركز بوليس مياشوريم . وراح اليهود بجميع فرقهم (الهاغنا والارغون وشترن) يضيقون الخناق على الجزء القديم من المدينة داخل السور . ولولا عناد المجاهدين من ابناء المدينة والسور (٢) الذي كان يحيط بها لسقطت بيد الاعداء .

وظل صوت الرصاص يلعلع في الفضاء طيلة ذلك اليوم (١٧ ايار) واشتد القتال عند منتصف الليل . وكاد اليهود يقتحمون المدينة من ناحية الباب الجديد ؛ واصبحوا

---

(١) لم يكن لدى العرب هناك سوى مدفع صغير من نوع فيات ، معه ثلاث قنابل فقط ، ومع كل رجل من رجال البوليس خمس عشرة طلقة . ومع كل واحد من المناضلين مئتا طلقة .

(٢) من المفيد ان نذكرها انه كان لهذا السور الفضل الاكبر في صد الغارات التي شنها الغزاة عليها على مر الدهور . ولهذا لم تدخل القدس امة الا وعملت على تقويته وتحصينه . وكان اخر من حصنه السلطان سليمان القانوني (٩٤٤ هـ — ١٥٣٧ م) محيطه ميلان ونصف الميل . ارتفاعه يتراوح بين ٣٨و٤٠ قدماً . طوله من الشمال ٣٩٣٠ قدماً ، ومن الشرق ٢٧٥٤ ومن الجنوب ٣٢٤٥ ومن الغرب ٢٠٨٦ قدماً . وله احدى عشر باباً ، اربعة مسدودون ، والباقون كانوا الى ما قبل نشوب القتال مفتوحين . وهم : باب الخليل ، الباب الجديد ، باب العمود ، باب الساهرة ، باب الاسباط ، باب المغاربة ، باب النبي داود .

كان الملك المعظم عيسى امر بتخريبه خشية ان يستولى الفرنج على المدينة ؛ فخربه وخرب ابراجه كلها (٦١٦ هـ — ١٢١٩ م)

وعندما عقد الملك الكامل (اخو صلاح الدين) هدنة مع الامبراطور فريدريك —٦٢٦ هـ—١٢٢٨م وكان من جملة شروطها تسليم مدينة القدس نفسها للفرنج وقراها للمسلمين ؛ اشترط الكامل عليهم — اي على الفرنج — ان لا يعمروا السور الذي خربه الملك المعظم .

على بعد عشرين متراً من باب الخليل . فازداد الخطر ، وساد الذعر ، وقتل من العرب ستة من المناضلين . واستغرب القوم لماذا لا يأتي الجيش العربي لنجدتهم ، وكانت بعض كتائبه معسكرة في الشونة واريحا والخان الاحمر .

ورأى المناضلون من الحكمة ان يستنجدوا به . فذهب وفد منهم الى جبل الزيتون وقابلوا الرئيس بركات طراد قائد سرية منكو للمتطوعين الاردنيين ، ورجوه ان يرفع الامر الى جلالة الملك ، كي ينجدهم ، والاقضي على المدينة وسكانها اذ ان ذخائرهم قد نفدت ، وان لم ينقصهم الرجال والسلاح . فابرق هذا من فوره الى قيادة الجيش في عمان وقال (١) :ـ

«ان اليهود اطبقوا على القدس من ثلاث جهات، وهم حولها كالهلال ، فاذا لم تُرسل قوة لنجدة المناضلين المرتبكين ، سقطت المدينة بيد اليهود ، وفني ستون الف نسمة من سكانها العرب » .

هنا علينا ان نقف قليلا لنستمع الى ما قاله الزعيم منير ابو فاضل ، المفتش العام لقوات الجهاد المقدس وكان في عهد الانتداب البريطاني من كبار رجال البوليس بحكومة فلسطين . فقد قال هذا في مقال له نشرته جريدة (النهار) البيروتية في عددها ٤٥٣٣ الصادر بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٥٠ « ان قيادة الجهاد المقدس طلبت الى غلوب باشا رئيس اركان حرب الجيش العربي ، عندما اشتد هجوم اليهود على القدس بين ١٤و١٨ أيار ، ان ينجد القدس وان يقذف المراكز اليهودية بمدافعه ، الا ان هذا رفض . ليس هذا فحسب، بل أنه منع عبد الله التل الذي كان يرابط في اريحا ، منعه من الزحف صوب القدس في ١٥ ايار . »

ويؤكد الزعيم ابو فاضل في المقال نفسه « ان القائد الاردني (ا . ج (٢)) الذي كان حوالي الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم السابع عشر من شهر ايار ١٩٤٨ يقذف القدس بالمدافع من مراكز حول شعفاط والنبي صموئيل أمر بالكف عن قذف القدس ، أمر بذلك اثر اجتماع الكولونيل لوند الملحق العسكري التابع للجنة الثلاثية الذي قال لغلوب باشا ان اليهود في خطر شديد ، وان قذف القدس بالمدفعية عمل غير انساني . »

وسافر ، في الوقت نفسه ، وفد الى عمان قوامه عثمان بدران ومحي الدين مكي والحاج فوزي الخياط والشيخ مصطفى السباعي (٣) ومحمد سعيد رمضان (٤) ، كما ذهبت اليها

---

(١) اطلعني الرئيس بركات على نسخة هذه البرقية في اضبارته .

(٢) اعتقد انه يعنى اميل جميعان .

(٣) مرشد الاخوان المسلمين السوريين .

(٤) مرشد الاخوان المسلمين المصريين .

وفود اخرى طالبة النجدة . ولما مثل اعضاء هذه الوفود بين يدي المليك ، قالوا لــه : « ان المعركة قد اشتدت ، وانه لم يبق لدى المناضلين اعتدة كافية للنضال ، وان كان لا ينقصهم السلاح ولا الرجال . وان القدس في خطر اذا لم تنجد في الحال : » فاجابهم الملك ، باديء ذي بدء ، ان اذهبوا الى مفتيكم (١) ، ثم قال لهم انه ينوي قبل كل شيء ان يزحف بجيشه الى تل ابيب ، « لئلا يأتي اليهود ، فيأخذوننا نحن وانتم » : ثم قال ما معناه انه ليس بخائف على مصير القدس ، حتى انهم ـ يعني اليهود ـ لو اخذوها ، فانه باستطاعتنا ان نخرجهم منها (٢) .

وارسلت في الوقت نفسه ، رسائل الاستغاثة الى المناضلين المرابطين في شمال القدس (قطاع رام الله) وجنوبها (قطاع بيت لحم) . فاتى المنجدون من هنا وهناك ، وخف للنجدة ايضاً عدد من المتطوعين الذين ينتمون الى جماعة الاخوان المسلمين بمصر . وقصفت مدافع جيش الانقاذ المتمركزة في قطاع النبي صموئيل ، ميشورم والبخاراليه وسنهدريا ، بمئة قذيفة .

ووصلت بعد منتصف الليل اول مصفحة عربية الى المكان المعروف برأس العمود.

واتت ايضاً فئة من سرية الحسين وفئتان من سريـــة منكو المتقدم ذكرها . فتقوت معنويات المجاهدين وقاموا بهجوم معاكس على اليهود ، فطردوهم من الباب الجديد ، ومن باب الخليل . ووصلت طلائعهم الى مفترق الطرق الفاصلة بين المسكوبية وشارع يافا وشارع البرنسس ماري . واعطبوا مصفحتين يهوديتين عند حديقة البلدية ، وتمركزت في النوتردام قوة قوامها ٦٩ مقاتلا ، بقيادة فوزي الجرار .

حدثني الاستاذ مصطفى السباعي مرشد الاخوان المسلمين السوريين ، وقد حضر معركة باب الخليل هذه . ان عدد المجاهدين الذين دافعوا عن القدس في تلك الليلة كان ٧٧٥ منهم : ١٧٥ فلسطينيون (بوليس وجهاد مقدس) و ١٠٠ اردنيون (سرية الحسين سرية منكو) و ١٠٠ سوريون (اخوان مسلمون) و ٤٠٠ فوج اليرموك (جيش الانقاذ) . وكانت اسلحتهم عبارة عن بنادق اعتيادية وقنابل يدوية . ولقــد نفعهم الخراطيش (١٥,٠٠٠) التي امدتهم بها لجنة الدفاع عن فلسطين ، تلك اللجنة التي الفها عــدد من

---

(١) يقصد الحاج امين الحسيني . وكان بين الاثنين كره شديد .

(٢) عاد الملك فغير رايه تحت تاثير نداءات الاستغاثة المتكرره من رجال بيت المقدس ومن جميع الجهات ، كما سترى في وقائع الايام التالية .

كرام القوم في عمان. كما نفعهم المقادير الكبيرة من الديناميت الذي كان في حوزة المناضلين الفلسطينيين . واما الجيش العربي فلم يشترك في تلك المعركة ، لا ولا قدم للمجاهدين الذين اشتركوا فيها اية مساعدة هذا على الرغم من ان الاستاذ السباعي هذا ، وفاضل رشيد راجعا المسؤولين في عمان . فاتصلا اولا بالقصر . فقيل لهما (ان الملك نائم) . ثم اتصلا بالامير عبد الله الوصي على عرش العراق ، وكان يومئذ في عمان . فقال لهما : (عندما تجدون انفسكم في ضيق ، فانسحبوا) . ولما ذكراه بحادث ديريس ، قال لهما : ويبدو انه كان يظن انهما عراقيان ــ انكم اغلى في نظرنا من دير يس !) . ثم اتصلا بعبد القادر باشا الجندي مساعد رئيس الاركان . فقال لهما : (ليس في مقدوري ان افعل شيئاً) .

ولما رأي السباعي الصدَّ من عمان ، اتصل بشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ويا لحيرته عندما اخبره هذا (اي القوتلي) ان ممثله البرازي اخبره من عمان ، نقلا عن الملك عبدالله ، (ان الوضع في القدس جيد) ! ..

وما دمنا عند ذكر الاخوان المسلمين السوريين فلابد لنا من ان نذكر، والشيء بالشيء يذكر ، انه اشترك من هؤلاء الاخوان في حرب فلسطين زهاء اربعمئة اخ . مئة منهم بقيادة الاستاذ الشيخ مصطفي السباعي وهو استاذ في الجامعة السورية . والباقون انخرطوا في صفوف جيش الانقاذ . وقد استشهد منهم احد عشر شخصاً ، وجرح زهاء خمسين .

وما كاد الليل يولي الادبار ويطلع النهار حتى كان النصر معقوداً للعرب(١) . ولقد اصيبت هذه الناحية من المدينة باضرار فادحة في الممتلكات من جراء هذه المعارك. اذ دُمر الجزء الاعظم من المنازل والمكاتب والفنادق والحوانيت ودور التجارة تدميراً تاماً . وسُدت الشوارع والطرق ، بعضها بالحجارة ، والبعض الاخر بالاسلاك الشائكة

---

(١) نقد (س . رعنان) القائد العام لقوات الارغون ، في تقرير رفعه الى رئيسه مناحيم بيغان ، قيادة الهاجنا لانها لم تحسن التصرف في هذه المعركة ، اذ انها امرت جنودها بالانسحاب فانسحبوا بشكل مخجل تحت ضغط المقاتلين العرب ، فاحتل هؤلاء (اي المقاتلون العرب) مراكز الهاجنا واوقعوا الخسائر في صفوفهم وهزموهم . وتمكنوا في الوقت نفسه من تطويق مراكز الارغون وعزلهم عن المنطقة اليهودية . وكان سخط رجال الارغون على رجال الهاجنا عظيماً ، ذلك لانهم انسحبوا دون ان ينذروا رجال الارغون .

من لدن المتحاربين انفسهم. فما كنت ترى، اذا ما اطللت عليها من الاسوار والمرتفعات المجاورة لها ، سوى الاتربة والحجارة وانقاض العمارات المتهدمة .

ولقد قتل في هذه المعركة زهاء خمسين مقاتل من اليهود ، وجرح كثيرون . ولم يقتل من العرب سوى ستة(١) ، وانما جرح منهم خمسة وعشرون . واصيب خمسة بعاهات مستديمة . واثنان فقدا النظر ، واصبح عدد كبير من البنادق (٣٦) التي استعملها المناضلون في حالة لا تصلح للاستعمال . واخذ التعب من المناضلين مأخذه . والم بهم خور شديد وضنك من جراء القتال والسهر المتواصل، في الايام الثلاثة المنصرمة، والايام التي سبقتها. فكنت تراهم يركضون من باب الى باب، يردون عن مدينتهم كيد الاعداء، فأنى لهم الراحة ، والخطر جاثم على الابواب . ولقد تذكرت في تلك الساعة الرهيبة قول الفاروق عمر بن الخطاب ، يوم قال (رضي الله عنه) لقائد جنده سعد :

« وترفق بالمسلمين في سيرهم ، ولا تجشيهم سيراً يتعبهم ؛ واقم بمن معك كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون بها الانفس » .

ولما انتهم انباء اجتياز الجيش العراقي للحدود ، تنفسوا الصعداء وكان الوقت مساء .

معارك حي النبي داود

●

في ١٧ أيار ١٩٤٨ ولى اليهود وجوههم شطر باب النبي داود . وحاولوا اقتحام المدينة من تلك الجهة . وصعدوا الى ذلك التل من الدرب السلطاني المحاذية للسور . وكانوا في باص(٢) البقعة الفوقا ذي الرقم ٦ ، ولكن العرب قابلوهم بنيران شديدة من على السور . وقبل ان يتمكن الباص من اجتياز الطريق المذكورة المؤدية الى مدرسة صهيون ، قذفوه بالقنابل المحرقة ، فاحرقوه وقتلوا من فيه . ولم ينج الا القليل .

سمعت الكثيرين يتحدثون عن هذه المعركة ويقولون ان الفضل في صد اليهود يومئذ

---

(١) هذا ما قاله لي المناضلون الفلسطينيون . وقد اكده الاستاذ السباعي الذي قال انه جرح من الاخوان المسلمين في معركة باب الخليل خمسة وثلاثون .

(٢) استولى اليهود على هذا الباص عندما احتلوا البقعة الفوقا في ١٥ ايار

راجع الى فرقة التدمير العربية التي زودت المدافعين ، بمقادير كبيرة من القنابل اليدوية ومن راجمات الالغام التي صنعتها .

وفيما كان القتال ناشباً في هذه الناحية ، راح المشاة من المهاجمين اليهود يتسلقون التل المقابل لحي مونتفيوري ووصلوا الى مدرسة صهيون عن طريق جورة العناب. ولم يتمكن اليهود من تثبيت اقدامهم على جبل صهيون الا بعد ان احتلوا الثوري وسنقص عليك ذكرها مع الوقائع التي حدثت في ١٨ أيار .

العرب يحتلون (النبي يعقوب)

في ١٧ أيار ١٩٤٨ احتل العرب مستعمرة (النبي يعقوب) الكائنة على الطريق نفسها . وبسقوطها فتحت الطريق للمناضلين الذين جاءوا من الشمال لنجدة القدس .

وقد اشترك جيش الانقاذ مع المناضلين المحليين من رجال الجهاد المقدس في الهجوم على هذه المستعمرة وعلى اختها التي سقطت من قبلها : عطاروت . وكان المقدم مهدي صالح العاني (١) هو المسؤول عن القتال في هذا القطاع . وكان فيهما حامية من رجال الهاغانا ، ترجع في مشورتها الى القائد Yeshurun

---

سيرة حياة مهدي صالح العاني

(١) ويكنى بابي صلاح . ولد في (عنه) من اعمال العراق سنة ١٩٠٠ للميلاد . اتم دراسته الابتدائية بالمدرسة العسكرية ببغداد . ثم سافر الى استانبول ، حيث التحق بمدرسة تدريب الضباط ، وتخرج برتبة نائب ضابط وعين في جيش الصاعقة (بيلديرم) . ثم هرب من الجيش التركي عندما اعلن الملك حسين الثورة على الاتراك ، والتحق بالجيش العربي في درعا ، وظل في الكتيبة الهاشمية للفرسان حتى احتل الجنرال الافرنسي غورو سورية (١٩٢٠) . ولقد عُين في العهد الافرنسي قائداً للدرك في دير الزور .

وعندما تربع الملك فيصل على عرش العراق التحق بالجيش العراقي ، وعين آمر لاحد الفصائل في الحرس الملكي . ثم اختير معلماً لتدريب الضباط على استعمال الاسلحة الخفيفة (١٩٢٧ – ١٩٣٣) . وبعد ان تولى عدة مناصب عسكرية انتدب آمراً لحامية البصرة ، وهو الذي القى القبض على متصرف لواء البصرة السيد صالح جبر وقاده

واما الجيش العربي فلم يشترك فيه اشتراكاً فعلياً وانما قام بمظاهرة عسكرية وحشد جنوده في التلال المجاورة حتى خيل لسكان المستعمرتين انـه (اي الجيش العربي) يبغي احتلالهما ، فانسحبوا من عطروت في مساء اليوم الرابع عشر من ايار الى النبي يعقوب ، ومن هذه (في ١٧ أيار) الى مستشفى الهداسا على جبل الزيتون سالكين طريق حزمـا وعناتا والطريق الكائنة الى الشرق من مسلخ القدس . وقد اخذ يهود هاتين المستعمرتين ابقارهم معهم ؛ فباعوها في القدس . وانفرجت ازمة اللحم فيها الى حين ، تلك الازمة التي كانت سائدة هناك منذ بدء القتال .

وما كادوا ينسحبون حتى جاء الاهلون وسكان القرى المجاورة ، فنهبوا كل ما تركه اليهود من متاع وأثاث . واما المنازل المعدة للسكن فقد التهمتها النيران وكان الافضـل

مخفوراً الى بغداد عندما قامت في العراق ثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١) : ولقد احيل بعد ذلك الى التقاعد .

وعندما نشب القتال في فلسطين اثر صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ كلفتـه (جمعية انقاذ فلسطين) التي تألفت في بغداد ان يعود الى الجهاد ، فقبل تكليفها ، وراح يقود فوج القادسية ذلك الفوج الذي ألف يومئذ من متطوعين عراقيين . ونزل مع فوجـه فلسطين . واشترك في المعارك التي قامت في (مشمارهاعميك) وعند اللطرون وباب الواد وهو الذي قصف تل ابيب من يازور ، وقاد المناضلين الذين احتلوا مستعمرتي قلندية والنبي يعقوب .

وانسحب من فلسطين في ٢٠ ايار ١٩٤٨ مع من انسحب من رجال جيش الانقاذ بعد ان اصبح الجيش العربي وحده هو المسؤول عن ادارة دفة القتال في هـذه البلاد . وفي الشام رفـع الى رتبة عقيد ، واسندت اليه قيادة لواء اليرموك الثالث . وفي تشرين الثاني ١٩٤٨ أنهيت خدماته .

يحمل اوسمة عديدة ، نذكر منها : نوط الاستقلال ، ونوط الشجاعة ، ونوط النصر ووسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية ، ووسام الارز اللبناني . ويحمل هدايـا كثيرة ؛ نذكر منها: ساعة ذهبية وقلماذهبياً اهداهما اياهما مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني وسيارة من طراز همبر اهداه اياها القائد العام لجيش الانقاذ فوزي القاوقجي ، وبذلة عسكرية مع الرتبة من الملك عبد العزيز آل سعود .

- كما قدمنا - الا يصيبوا هذه المنازل باذى، فيسكنها اللاجئون الذين نزحوا عن بلادهم في الساحل، ونزلوا هذه الديار.

وصف احد سكان مستعمرة (النبي يعقوب) ، وهو كاتب يهودي يدعى (بيباس) الوضع الذي كانت عليه هذه المستعمرة في اثناء القتال ، فقال : -

ان احداً من سكان المستعمرة لم يغادرها منذ بدء القتال ، وانهم فور نشوب القتال راحوا يتأهبون لدرء الخطر عن مستعمرتهم ، وكانوا قبل ذلك قد حصنوها بالخنادق والاسلاك الشائكة . وان العرب قطعوا اسلاك الكهرباء عن مستعمرتهم فراحوا يعيشون في الظلام . وقطعوا هم الاسلاك الممتدة الى رام الله ، فراحت هـذه ايضاً تعيش في الظلام . وتصدى العرب ، في ٢٤ آذار ؛ لنجدة أرسلت اليهم ، فابادوها عن بكرة ابيها . وقضى اليهود بضعة اسابيع من غير خبز . وما كانوا يأكلون سوى الحليب واللبن والجبن من نتاج مستعمرتهم . وكانوا يجمعون من وراء الجدران اعقاب السجاير ، ويخلطونها بالعشب الجاف ، ويدخنونها .

والقت عليهم طائرتان بعض الخبز والعيارات النارية ، ولكنه تلف بسبب اصطدامه العنيف بالارض . وكان ذلك في اواخر شهر نيسان .

وحاولت طائرة يهودية اخرى التحليق مرة اخرى حاملة بعض المؤن ؛ الا انها لم تنجح بسبب نيران البنادق العربية . ويقول (بيباس) ان القوة البريطانية المرابطة في مطار قلندية انذرت اليهود ان لا تعود طائراتهم للتحليق في هذه المنطقة مرة اخرى ، وضيق العرب الخناق على هذه المستعمرة ، فحاصروها من كل جهة ، وراح سكانها يتضورون جوعاً . فلم يجدوا بداً من التعرض للمواصلات العربية . وراحوا يطلقون النار على السيارات العربية التي تحمل المسافرين بين القدس والمدن الواقعة في شمالها ؛ وقتلوا عدداً كثيراً من العرب على هذا النمط ؛ الامر الذي اغاظ العرب ، فراحوا يوالون هجماتهم . وكبدوا اليهود خسائر فادحة . ورابطت مصفحتان بريطانيتان ، مدة من الزمن ، عند مدخل المستعمرة ، تحولان دون اطلاق النار ، وتؤمنان السير على هذه الطريق وهي ، كما يعلم الجميع ، طريق عام . ولكنهما انسحبتا في ١٨ نيسان ١٩٤٨ ؛ وما كادت شمس ذلك النهار تجنح للمغيب حتى هاجم العرب المستعمرة باكثر من دبابة واحدة . فهدموا برج المراقبة ، وقتلوا من فيه . وسقط عدد كبير من سكان المستعمرة جرحي . وتمكن العرب من احتلال بعض منازل المستعمرة ، فرفعوا عليها العلم العربي ؛

ولكنهم عـادوا ، فانسحبوا . وتنفس سكان المستعمرة الصعداء ، رغم انهم خسروا ثمانية من خيرة مقاتليهم ، بينهم (آبا) : وكان هذا معروفاً بشجاعته . وكذلك قل عن (شمعون) الذي اصيب بصلية برن فلقت خاصرته . واسر اليهود عربيا في هـذه المعركة ، فاصبح عدد الاسرى (١) في هذه المستعمرة خمسة .

ويستأنف (بيباس) حديثه قائلا : ان سكان المستعمرة فوجئوا في ٦ أيار ١٩٤٨ ، بمصفحتين بريطانيتين تحملان اليهم الطعام والسلاح من القدس ، وسرعـان ما تبين لنا انهما من « الاصدقاء » ، وكان بين الشحنة عدد من الالغام . زرعنا ستين لغما منها في الاماكن الخطرة وفي المنافذ المؤدية للمستعمرة . وفيما كان (امنون) القائد يبث الالغام انفجر لغم بين يديه فاطار معصميه ، ونقله الانكليز في سيارة عسكرية للقدس . ولكنه مات في الطريق متأثراً بجراحه .

وفي ١٠ أيار نقل اليهود النساء والاطفال الى القدس في سيارات ترافقهـا حاميـة بريطانية . وفي ١١ أيار تبادل الفريقان، العرب واليهود، قذائف المدفعية . وفي ١٢ أيار راح اليهود يرتعدون جزعاً . وفي مساء اليوم الثالث عشر لم يذق اليهود طعم النوم . وفي اليوم الرابع عشر رأوا السيارات البريطانية تمر من امام المستعمرة مقلة المندوب السامي الى بلاده . وعند انبثاق فجر اليوم الخامس عشر راح العرب يزحفون نحو المستعمرة . وراحت الالغام التي زرعها اليهود قبل اسبوع تتفجر تحت اقدامهم . فقتل منهم خلق كثير . ونسف اليهود اقنية المياه ، ولكنهم لم يوفقوا في نسف الجسر الذي يربط الطريق بالمستعمرة . ودام ، في ١٦ أيار ، ازيز الرشاشات ودوي القنابل . وتمكنت قذائف الهاون في صد الهجوم بعض الوقت . ولكن ما كادت الساعة تدق السابعة صباحاً حتى كان العرب قد احاطوا بالمستعمرة من ثلاث جهات . وكثر عدد القتلى والجرحى بين اليهود . واشتد خطر العرب في ناحية (البوابة) . فنقل اليهود الفصيل الاحتياطي الذي يقوده (تسافينا) مع رشاشه الى تلك الناحية . ولكن قنبلة انفجرت بين افراد الفصيل فاودت بحياة جميع افراده ، ومنهم القائد (تسافينا) والمدفعي ومساعده . ودمر المدفع الرشاش نفسه . وقتلت الممرضة (تمارا) . والتمرجي (ابراهام) . واصيب الطبيب بجرح ، اقعده عن العمل . واتت اربع سيارات عربية كبيرة تحمل المقاتلين . وحال

---

(١) لايعرف احـد ماذا كان مصير هؤلاء الا سرى أقتلهم اليهود أم اخذوهم معهم عندما تركوا منازلهم في ١٧ أيار ؟

بعض هؤلاء المقاتلين دون وصول اليهود الى مخزن الذخيرة في بادىء الامر . ولكن اليهود تمكنوا بعدئذ من الوصول الى هذا المخزن ، واحضار بعض الذخائر منه . وقد كلفهم هذا العمل عدداً غير قليل من القتلى . وكان ذلك اليوم (١٦ أيار) ارهب يوم شهدته المستعمرة . ولما ايقن السكان ان المستعمرة لا محالة ساقطة بيد العرب احرقوا (في الليل) كل ما كان لديهم من اوراق وملفات ، واتلفوا ما امكنهم اتلافه من آلات وادوات ، وانسحبوا تحت جنح الظلام ، حاملين معهم تسعة عشر جريحاً ، لا يستطيعون حراكاً :

هذا ما قاله (بيباس) احد سكان هذه المستعمرة . وقد نقله الى اللغة العربية ، مع ما نقل من كتابات اليهود ، السيد درويش الشامي من موظفي مكتب الارتباط الخارجي بالقدس ، ودون ذلك في مخطوطة اسماها (في خط النار) .

لجنة الهدنة القنصلية تبحث مع العرب شروطهم لتسليم الحي اليهودي

●

وفي ١٧ أيار ذهب قنصل البلجيك بالنيابة عن لجنة الهدنة القنصلية والمستر اسكاراتي نائب الوسيط الدولي الى اريحا ، حيث قابلا عبد الله التل قائد الكتيبة السادسة التي كانت تتأهب للزحف صوب القدس ، واستطلعا رأيه حول الوضع الحربي في المدينة القديمة فاشترط هذا تسليم الحي اليهودي تسليما كاملا (١)

وفي مساء اليوم نفسه (١٧ ايار) جاءا الى المأمونية ، مقر الجهاد المقدس فقابلا خالد الحسيني بوصفه ممثلا لقوات الجهاد المقدس في المدينة وبحثا معه الشروط التي يفرضها العرب لتسليم الحي اليهودي بالبلدة القديمة ، ثم اتصلا من نفس المكان برجال الوكالة عن طريق الهاتف ، فأفهماهم حقيقة الوضع في المدينة القديمة ونصحا بقبول شروط العرب ، تلك الشروط التي تتلخص في القاء السلاح وتسليمه للعرب ، وأسر الرجال القادرين على القتال، واطلاق سراح الشيوخ والنساء والاطفال . الا ان اليهود رفضوا هذه الشروط .

وما كادت هذه المخابرة الهاتفية تنتهي حتى اصدر اليهود اوامرهم الى مقاتليهم بالهجوم ، فقام هؤلاء بهجوم كاسح على العرب في جميع الجهات .

واتت في الوقت نفسه انباء تقول ان اليهود صدوا الهجوم اللبناني ، ودحروا اللبنانيين عشرة اميال الى ما وراء الحدود .

---

(١) هذا ما حدثني به المسيو نوفيل العضو الافرنسي في لجنة الهدنة المبحوث عنها ، وقد كان قنصلا لفرنسا في القدس

محطة السكة الحديدية بالقدس

وفي اليوم الثامن عشر من شهر ايار احتل اليهود محطة السكة الحديدية ومطبعة الحكومة بالقدس . ولهذا الاحتلال قصة نقصها عليك كما يلي :

في اليوم الرابع عشر من شهر ايار ، وبعيد رحيل الانكليز ببضع ساعات، هبط القدس فئة من رجال جيش الانقاذ يقدر عددها بمئتين ، جلهم من حلب ، فراحوا يعسكرون في محطة السكة الحديدية ومطبعة الحكومة . وكانوا مزودين ببنادق المانية حديثة الصنع، ومدفع واحد من طراز فيكرز ، الا انهم ما كانوا يحملون من العتاد ما يكفي للقتال اكثر من يوم واحد . وقد استعملوا هذا القدر في مناوشة اليهود الذين راحوا يقاتلونهم من ناحية الطالبيه وعمارة داود ، ولما نفذ زادهم وعتادهم طلبوا الى القيادة ان تمدهم بالزاد والعتاد . ولما لم تلب هذه طلبهم انسحبوا (١٧ ايار) .

ولم ينتبه اليهود لانسحابهم الا في اليوم التالي . فجاءوا ، واحتلوا المحطة والمطبعة . وتحصنوا فيها ، ومن هناك (الغرب) ومن ناحية تل بيوت (الجنوب) والمنتيفيوري (الشمال) ورحافيا (الشمال الغربي) راحوا يهاجمون حي الثوري والنبي داود ، فسقطا وقد فصلنا نبأ سقوطهما ، في السطور التالية .

اليهود يحتلون دير القربان والمستشفى الفرنسي والنوتردام

وفي ١٨ ايار ١٩٤٨ احتل اليهود دير القربان(١) والمستشفى الفرنسي(٢) والنوتردام(٣)

---

(١) بني حوالي عام ١٨٨٨ للميلاد . واقع قبالة المستشفى الفرنسي . مخصص لراهبات السجود، ويدعين (ريباراتريس) فيه دائما راهبتان ساجدتان ، تتبادلان السجود مع راهبتين اخريين مرة كل ساعة . وله مكانة مرموقة عند المسيحيين .

(٢) بني عام ١٨٨٠ . واقع شمالي المدينة القديمة على بعد بضعة امتار من السور . اسس من لدن راهبات مار يوسف . وتمده الحكومة الافرنسية بالمال الذي يحتاج اليه لسد العجز في ميزانيته .

(٣) من املاك (الاباء الانتقاليين) ويعرفون بالاباء الاغسطونيين الذين جاءوا الى القدس عام ١٨٨٧ ، وبنوا نزلهم هذا عام ١٨٩٩ . وخصصوه لنزول الحجاج الفرنسيسيين . وهو من اجمل المباني الكائنة خارج السور . قريب من السور الشمالي ، ومطل على معظم احياء المدينة .

اقتحموا المستشفى رغم انه مستشفى وكان يرفرف عليه العلم الأفرنسي ، اقتحموه رغم احتجاج الدكتور بوير . وقد قلبوه الى ثكنة عسكرية وكان يقوم على حراسة هذه الاماكن قوة من جيش الانقاذ مؤلفة من ٨٣ كردياً يرأسهم الضابط موسى عبدالهادي.

ووقف اليهود يومئذ على الباب الجديد ، يريدون اقتحامه ، حتى انهم نسفوا الباب المذكور ، ونسفوا جانباً من السور الملاصق له . كما نسفوا جانباً من الواجهة المقابلة له من عمارة النوتردام (١) وكادوا يقتحمون المدينة ، وينقذون اخوانهم المحصورين في الحي القديم لولا ان جاءت فئة من الجهاد المقدس يقدر عدد افرادها بثلاثين مقاتلا وصدتهم عن الباب ، ثم تسلق رجالها السور ، وصعدوا الى سطح الدير ، ومن هناك راحوا يقاتلون اليهود المتمركزين في النوتردام ، ولما كانت هذه العمارة من المناعة بمكان فقد اضطر العرب لان يلجأوا الى الالغام . فنسفت فرقة التدمير العربية ما تبقى من واجهتها القبلية ، كما ثار لغم في الدير ، فتهدم من جرائه بعض جدرانه ؛ وجرح تسعة من العرب في هذه المعركة،وظل المناضلون الفلسطينيين مرابطين في ذلك القطاع(٢) حتى جاء الجيش العربي في اليوم التالي (١٩ ايار) .وطلب منهم الانسحاب .فانسحبوا.

قال H. Levin في الصفحة ١٧٠ من كتابه Jer. Embattled ان قائداً يدعى Y (٣) اخبره يومئذ (اي في ١٨ ايار) ان الهاغانا عثرت على وثيقة فيها الخطة التي رسمها غلوب باشا للجيوش العربية ، وهي تقضي بأن تلتقي وحدات مصرية مع وحدات من الجيش العربي في القدس ،وان تتجه وحدات مصرية اخرى نحو تل ابيب ، فتحتلها ، وان تتولى القوات السورية واللبنانية اشغال اليهود في قطاع الجليل ، وان يتجه الجيشان العراقي والاردني ، باتجاه الناصرة وحيفا عن طريق وادي الاردن ، فيصلان حيفا في ٢١ ايار :

اليهود يحتلون شارع سان جوليان والبقعة الفوقا والنبي داود

●

وفي ١٨ ايار ١٩٤٨ احتل اليهود فندق الملك داود ، ودير الراهبات البندكتيين ، والبقعة الفوقا ، ومدرسة صهيون ، ومقر القاصد الرسولي ، وحي النبي داود ، وكانت

---

(١) ان القصد من هذا النسف سد الطريق بالركام والحجارة الساقطة كي لا يمر منها الجيش العربي

(٢) العرب في مدرسة الفرير ودير القربان ، واليهود في المستشفى الافرنسي والنوتردام

(٣) لعله رئيس اركان الحرب ياغال .

حامية هذا الحي مؤلفة من ٨٣ نفرا من رجال جيش الانقاذ ، ينتمون الى فوج اليرموك الثالث الذي انسحب من القطمون في اليوم السابع من الشهر ، وقد حطوا رحلهم هنا بقيادة الملازم الاول ابراهيم حباقوا ، وكانوا جميعا من الاكراد . بعيدون كل البعد عن الفكرة الوطنية ، ولا يفهمون اللغة العربية . ولقد غادروا الحي عندما هاجمه اليهود دون ان يطلقوا رصاصة واحدة ولو في الهواء . « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دُبُرُه الا متحرفاً لقتال اومتحيزاً الى فئة ؛ فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير (١) » ليس هذا فحسب انهم – على ما بدا للناس يومئذ ... تركوا باب المدينة في تلك الناحية مفتوحا ، فاقتحمه اليهود ، ودخل منه زهاء ثمانين من مقاتليهم . جاءوا من (عين موشه) بقيادة Uzé من رجال الصاعقة (البالماخ) وكانت فئات اخرى تسندهم بنيران مدافعها الرشاشة من كنيسة نياحة العذراء (الدورميثيون) ومن البرج . فاتصلوا باخوانهم المحصورين في الحي القديم . ولقد بذلت سرية الامن جهدها لتصدهم ، فلم تفلح ، وقتل في هذه المعركة اربعة من رجال السرية وجرح اربعة آخرون ، بينهم القائد . ولم يكن في عداد حامية هذا الحي سوى ستة عشر رجلا من الدواهدة (٢) ، وكان معهم رشاشان من طراز برن ، الا انهم لم يستطيعوا انقاذ الحي لقلة عددهم ، وكثرة اعدائهم وهرب الاكراد من رجال جيش الانقاذ المتقدم ذكرهم . فانسحبوا . وقال لي صديق ان اربعة من الانكليز تطوعوا للعمل في قطاع النبي داود وكنوا انفسهم باسماء دجانية كاحمد الدجاني ، وسعيد الدجاني وان احدهم قتل في المعركة وكان يقول للدواهدة انه يريد الانتقام لصديق له قتل في حادث فندق الملك داود الذي نسفه اليهود .

وما كاد اليهود يدخلون حي النبي داود حتى قاموا بتخريبات لا توصف . منها ما ذكره رهبان الكنيسة المعروفة بكنيسة نياحة العذراء (الدورميثيون) في تقريرهم الذي رفعوه الى قداسة البابا . وقد جاء فيه ما يلي :

(بقيت الكنيسة حتى اليوم الثامن عشر من شهر ايار ١٩٤٨ سليمة من الاذى ورغم ان العرب كانوا حتى ذلك التاريخ يحتلون الحي ، الا انهم ابوا ان يدخلوا الكنيسة او يستعملوها ، او يستعملوا برجها ، او الدير الذي بجانبها لغايات حربية او غير حربية ؛ وما كاد اليهود يحتلون الحي في صباح ذلك اليوم حتى جاء فريق منهم ؛ فدمروا بابها

---

(١) سورة الانفال : ١٥ و ١٦

(٢) اى سكان الحي المنتمين الى النبي داود ، ويُسمون : (الدواهدة) او « الداوديين »

الخلفي ، واقتحموها في طريقهم الى البرج . ورغم ان قائدهم اكد للرهبان انهم لن يستعملوا السلاح في داخلها ، فقد استعملوه ، اذ ما كاد الليل يجن حتى اصبحت الكنيسة مسرحاً للقتال . فأجبر الرهبان على الانزواء في احدى الغرف الارضية . واضطر العرب لمقابلة الاعتداء بمثله . فقذفوا اليهود المعتصمين بالكنيسة بقذائفهم ، وبذلك اصيبت الكنيسة واصيب برجها وقبابها وجدرانها باضرار جسيمة . ولما تأزم الموقف بعد ذلك التاريخ نقل الرهبان الطاعنون في السن من هناك بمعرفة الصليب الاحمر الدولي (٣١ ايار) ولم يبق في الدير سوى ثلاثة من الرهبان الشبان .

وعبثا حاول هؤلاء الرهبان الثلاثة اقناع اليهود بالانسحاب من الكنيسة لئلا تصاب بالخراب مرة اخرى . لا ، ولا من الدير . بل راح اليهود يمعنون في السلب والتدمير . ونهبوا كل ما وجدوه في الدير من امتعة وفي الكنيسة من صلبان وتماثيل ، ومن كتب واسفار وادوات للصلاة و العبادة . وبعد ان تم لهم ذلك جعلوا الكنيسة نفسهـا مرسحاً للرقص واللهو ...

وعندما تركها الرهبان في ١٥ تموز ١٩٤٨ كانت قد اصبحت طللا ينعق فوقه بوم الشؤم والخراب (١) .

وفيما كان العرب في قطاع النبي داود منهمكين في رد عادية اليهود خارج السور ، انتهز اليهود المقيمون في الحي القديم داخل السور الفرصة ، فاحتلوا دور الارمن القريبة من الدير ، وراحت فئة اخرى منهم تهاجم باب الخليل وحوصرت سرية الامن التي كانت مرابطة هناك من كل الجهات . وراح اليهود يقصفون الاحياء العربية في البلدة القديمة بمدافع المورتر ، ودام قصف المدافع ساعتين ونصف الساعة . ولكن العرب عادوا فتغلبوا على اليهود . فطردوهم من حارة الارمن ومن باب الخليل وسدوا باب السور من ناحية النبي داود .

عندمـا احتل اليهود منازل الارمن استولوا على مـا كان فيها مـن مؤن وزيوت وخضار . وعندمـا احتل العرب بعدئذ منازل اليهود في الحي القديم وعثروا فيها على مـا تبقى مـن هـذه الاشياء وكـان بعضها طازجـاً ، ارتابوا في الامـر : فقال

---

(١) بنيت هذه الكنيسة عام ١٩١٠م وهي للالمان الكاثوليك • بنوها على ارض اشتراها السلطان عبد الحميد من الشيخ سعيد الداوودي ، ووهبها الى الامبراطور غليوم الثاني . وقيل انها بنيت في نفس المكان الذي كان يعيش فيه (مار يوحنا) والذي لجأت اليه مريم العذراء بعد صلب المسيح • وهي قريبة من مقام النبي داود .

قائل منهم ان الارمن خانوا العرب . وقال اخرون (ومنهم بطرك الارمن نفسه) انهم (اي الارمن) كانوا يخشون شر اليهود . ولهذا مالئهم فريق منهم ؛ وهم القريبون من منازلهم ، وامدوهم بالماء والمؤن اثناء الحصار . وراح الارمن يؤكدون انهم مابرحوا ثابتين في صداقتهم للعرب ، الذين آووهم ، واحسنوا وفادتهم منذ قرون واجيال . وما المؤن التي وجدها العرب في المنازل اليهودية سوى البقية الباقية مما اغتصبه اليهود منهم ، يوم احتلوا منازلهم اثر انسحاب البريطانيين . وراح الارمن ايضا يبرهنون على صحة قولهم واخلاصهم للعرب بانهم جندوا ستين مقاتلا من شبابهم المنتمين الى الحزب الارمني المعروف بـ (طاشناق) وان هؤلاء الشبان لم يكتفوا بالدفاع عن الدير فحسب ، وانما عن باب النبي داود ايضاً .

حدثني صديق شهد المعركة(١) التي انتهت باحتلال (النبي داود) فقال :

انه كان هناك ، يوم المعركة (١٧ — ١٨) ايار ثلاثون مناضلا من ابناء الحي ، كان معهم خمس وعشرون بندقية(٢) وثلاثة برنات وستنان وبندقيتان من بنادق الصيد وعدد من المسدسات . وكان معهم ايضا مدفع من الطراز المعروف بالهاون الا انه مكسور لا يصلح للاستعمال كثيراً ، ويدار باليد . وما كان لديهم سوى ست من القنابل التي تنفع هذا المدفع ، فأضافوا اليها ستاً وثلاثين شروها من هنا وهناك .

وكان في الحي بالاضافة الى ابنائه المناضلين اربعون من الاكراد ينتمون الى جيش الانقاذ ، كانوا قبل ذاك في قوة الحدود . وثلاثة من الجنود البريطانيين بقوا في المدينة ولم يبرحوها عندما رحل الجيش عنها في ١٤ ايار . وان المسؤول عن الحامية هو فاضل رشيد العراقي الذي كان مسؤولا عن الحاميات الاخرى في المدينة ، وان رجال الحامية وقفوا على اهبة الدفاع عن الحي منذ غادر المدينة البريطانيون في ١٤ ايار ؛ وقد احتلوا يومئذ مدرسة صهيون والمباني التابعة لدير الروم والواقعة على قمة التل ، وابراج السور من جنوب القشلاق حتى باب النبي داود ، وانشأوا على طول الطريق المؤدية الى الحي من اسفل التل حتى القمة عند مدرسة صهيون جدارا طوله خمسون متراً وارتفاعه متران ، لحماية القادمين والرائحين من السكان والمناضلين . وقد تم انشاؤه في أول أيار ، عندما اغلق الجند باب النبي داود ومنعوا السكان من دخوله خشية الاصطدام ، وقال محدثي ،

---

(١) هو القاضي كمال الدين الدجاني رئيس محكمة القدس المركزية (١٩٥٣) وقد اشترك في النضال ، وقتل شقيقه المرحوم علاء الدين في معركة النبي داود .

(٢) ثمانية افرنسية واربعة ايطالية واثنتان المانيتان واحدى عشرة انكليزية .

وهو ثبت ان اليهود بدأوا هجومهم قبل منتصف الليل ، (١٧ - ١٨ - ٥ - ١٩٤٨) وقد جاءوا اليه من ناحية مستعمرتهم المعروفة بالمونتفيوري (يمين موشـه) والمطلة على بركة السلطان فاحتلوا جورة العناب ثم تسلقوا التل وكانوا قبل ذلك قد مهدوا السبيل لهجومهم هذا بقنابل المورتر ولم ينقطع اطلاقها طيلة اليوم السابع عشر.

وما كاد فجر اليوم التالي ١٨ ايار يلوح حتى كانت معظم مباني الحي قد سقطت بيد رجال البالماخ وفي الحقيقة ان المقاومة كانت قد انهارت وجنود الانقـاذ كانوا قبل أن يبدأ الهجوم قد ركنوا الى الفرار ولم يكن بين حامية الحي وحاميات الاحياء الاخرى حتى ولا جورة العنـاب القريبة منها ، أي ارتباط ؛ والخطأ نفسه وهو كما ترى خطأ لا يغتفر اقترفه العرب في جميع احياء القدس ، لا في حي النبي داود وحده ، بل وفي جميع المعارك التي وقعت في البلاد .

ومضى محدثي يقول .

ان الاكراد المنتمين الى جيش الانقاذ لم يكتفوا بأن هربوا من الحي والمعركة قائمة بل انهم تركوا البـاب (باب النبي داود) مفتوحاً . فدخل اليهود منه . دخله منهم ثلاثة وثمانون . واتصل هؤلاء باخوانهم المحصورين في الحي القديم . فانتعشت آمالهم وراحوا يعملون معاً على انقاذ حيهم .

ومما هو جدير بالذكر أنه كان بامكان اليهود ان يدخلوا من الباب المذكور في الساعة التي احتلوا فيها الحي وهي كما سبق وقلت في الصباح الباكر . ولكنهم لم يدخلوا الا في المساء والفضل في تأخيرهم يوماً كاملا يعود الى اثنين من المناضلين المقدسيين هما سليمان حسن الدجاني و . . . . بن رصاص .

فقد قام هذان الشابان بعد أن انسحبت الحامية وانهارت قوة الدفاع وخلا الحي من السكان بعمل مجيد ، اذ وقفا عند الباب يصدان اليهود وبيد كل واحـد منهما مدفع من طراز برن . فوجه احدهما مدفعه خارج الاسوار والآخر داخله . وراحا يتبادلان اطلاق النار ، في كل خمس دقائق طلقة . الامر الذي جعل اليهود يتوهمون أن هناك قوة . ولم يجرؤا على التقدم الا في المساء عندما سكت الرصاص . وما كان هـذا ليسكت لولا انه نفذ ما كان لديهما من طلقـات ، وما كان بيد الواحـد منهما في الاصل اكثر من خمسين طلقة .

اليهود يحتلون حي الثورى

●

وفي ١٨ ايار ١٩٤٨ احتل اليهود حي الثورى (١) . واذا مـا استعرضنا صفحات الحوادث التي انصرمت بعد قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) وجدنا ان الاسباب التي ادت الى سقوط هذا الحي ، هي نفسها التي ادت الى سقوط الاحياء الاخرى، وهذه الاسباب تتلخص في :

قلة السلاح والذخيرة ، وفقدان القيادة الحازمة ، واهمال السكان وانهيار معنوياتهم ، وفقدان التوجيه الصحيح (٢) .

---

(١) سمي الحي كذلك نسبة الى المجاهد شهاب الدين ابي العباس احمد بن جمال الدين ابي عبد الله بن عبد الجبار المعروف بالقرشي ، والمشهور بالثوري ، وهو من رجال صلاح الدين . اشترك معه في فتح بيت المقدس . وكان يركب ثوراً أثناء القتال . حتى اخم اسموه في ذلك الحين : (ابو ثور) توفي سنة ٥٩٣هـ ودفن في قريته على جبل المكبر . وقبره ظاهر بها ؛ ويزار .

ذكره مجير الدين في كتابه «الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل »،والسيدعلي المرتضى في كتابه « بحر الانساب ».والرحالة الاسلامي مصطفى اللقمي في مخطوطه «سوانح الانس في رحلتي لوادي القدس

(٢) عندما اكفهر الجو في مدينة القدس اجتمع رجال هذا الحي ؛ وانتخبوا من بينهم (في ٥ اذار ١٩٤٨) مجلسا يدير شؤونهم . والف هذا المجلس من سكان الحي عدة لجان للاشراف عـلى شؤون الدفاع ، والمؤن وجمع المال ٠ واقاموا على حراسة الحي خمسين شابا ، جلهم من الخليل ، بايجار شهري قدره اثنى عشر جنيها للواحد . وفرضوا عـلى كل اسرة من الاسر التي تعيش في الحي مبلغاً يختلف بنسبة القدرة على الدفع . اقلـه ربع جنيه واكثره جنيه واحد في الشهر وارتفعت نفقات الدفاع الى ٧٠٠ جنيه في الشهر . كان سكان الحي يدفعون نصفها واللجنة القومية تدفع النصف الاخر . وبلغت حامية الثورى ، قبل رحيل الانكليز ، اربعمئة مقاتلا ، ثلثاهم خلايله من سكان الحي .

تولى قيادة الحامية محمد بركات (ابو حمدي) . وكان هذا يتلقى الامر من عبد القادر الحسيني . وهو من رجاله الذين اشتركوا معه في الثورة التي حدثت عام ١٩٣٦ – ١٩٣٨

وبنوا عشرة استحكامات حصنوها بالاسمنت المسلح وحفروا الخنادق ، وابتاعوا بعض الاسلحة والذخائر . وكان لديهم من الاسلحة ثلاثون بندقية وثلاثة برنات وهوشكس ومدفع هاون . وانضم اليهم بعد قليل عشرة من المتطوعين المصريين المنتمين الى (مصر الفتاة) . ضابطان (هما زكي عبدالمجيد ومصطفي الجيار) ، وعريفان ؛ والباقون جنود . وما لبث هؤلاء ان تسلموا مهمة الدفاع عن الحي.

ومن اغرب ما سمعت عن حركة النضال في الثوري انه قاد المناضلين فترة من الزمن مناضل اسمى نفسه (زكي بك) وكان يحمل ثلاث نجم تدل على انه (رئيس) . ويقول انه من الاخوان المسلمين المصريين فسلمه المناضلون زمامهم . ولما تضعضع امرهم وكادت الحامية تنهار ، استنجدوا بالمناضلين الذين كانوا يعملون في الاحياء المجاورة . وكان بينهم من عرف صاحبنا ، وعرف انه يهودي فالقوا القبض عليه ، وقتلوه في بيت صفافا ولكن اكتشافه جاء متأخراً اذ كان اليهود قد اطلعوا على حقيقة الحال وعدد السلاح والرجال فأتوا بما يضمن لهم النصر . وسقط الحي بايديهم .

ومن حي الثوري والنبي داود راح اليهود يضربون راس العمود ، ويعرقلون خط المواصلات العربيـه بين القدس وعمان ، قاصدين بذلك تخفيف الضغط عن اخوانهم المقيمين في الحي اليهودي بالبلدة القديمة . ذلك الحي الذي ضرب العرب نطاقاً حوله من جميع الجهات . ولكن اليهود لم ينالوا مبتغاهم من هذه الناحيـة اذ بنى المناضلون الفلسطينيون جداراً على ارتفاع يقيهم شر القنابل اليهودية ، من السور القديم شرقي المقبرة حتى مدخل سلوان عند رأس العمود . فتمكن الناس والجند من استعمال الطريق هناك دون عائق . وظلت المدينة متصلة باريحا وعمان طيلة القتال . وعندما احتلت الكتيبة الخامسة حي الشيخ جراح ، وطردت اليهود منه ، تيسر اتصال المدينة بالاصقاع الشمالية .

هذا في القطاعين الشرقي والشمالي واما في القطاع القبلي فقد تغير الوضع عندما احتل اليهود حي النبي داود والثوري والبقعة الفوقا . اذ راحوا من هناك يسيطرون على

فارتفعت معنويات سكان الحي الذين حصروا همتهم في تدبير المال اللازم لاطعام المتطوعين وايوائهم وكان بين المتطوعين ثلاثة من الجنود البريطانيين . قتل اليهود اقاربهم . فأقسموا الا ان ينتقموا من اليهود قاتليهم . وفي اليوم السابع من شهر ايار ١٩٤٨ هبط الحي ثلاثون رجلا من رجال جيش الانقاذ ينتمون الى فوج اليرموك الثالث يقودهم الملازم الاول مشهور حسن حيمور ، وهو لبناني الاصل . جاءوا من القطمون اثر سقوط ذلك الحي . ولئن قال هؤلاء انهم جاءوا بقصد دعم الدفاع وتقويته الا انهم كانوا من الجبن وسوء الخلق والجهل بشؤون القتال على جانب عظيم . اضف الى ذلك ان معظمهم كانوا اكراداً ، لا يفقهون من اللغة العربية شيئاً ، وانهارت معنويات الحي اثر مذبحة ديرياسين وورود الاخبار بسقوط حيفا ويافا وصفد ، فراح السكان ولا سيما ابناء الخليل ، يرحلون عن هذا الحي ، وعن الاحياء الاخرى .

الدرب السلطاني . وانقطع كل اتصال آلي بين القدس وبيت لحم والخليل (١) :

واستغرب ابناء بيت المقدس : لم لا يأتي الجيش العربي الى القدس ، فينقذها من الاتون الذي كانت تتقلى فيه ، وقد انقضى على رحيل الانكليز منها خمسة ايام . وكانت هناك ثلاث كتائب من كتائبه ترابط على مقربة منها . وارى من الفائدة هنا ان انقل ما قاله عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة العربية ، في مقال له نشرته مجلة (آخر ساعة) المصرية بعد ان استقال من منصبه (٢) :

«:. ومضت ايام، والقدس لم تهاجم، فزاد قلقي، وذهبت الى الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق وكان يومئذ في عمان ، فقلت له . ان الموقف في القدس يقلقني . وانا اشم فيه رائحة ! . . . وذهب الامير معي الى عمه الملك عبد الله . فقلت للملك : يا سيدنا انا رجل يحس ان رأسه على المشنقة ، وانا غير مطمئن للذي يحدث في القدس ؛ ومن واجبي ان اصارحك بهذا فاما ان تأمر بالاستيلاء على القدس القديمة فوراً ثم بعدها نهاجم القدس الجديدة واما ان اقف امام الشعوب العربية، واصارحها بمخاوفي . . .»

ومضى عزام يقول :

واذكر ان الملك عبد الله امسك بلحيته ولزم الصمت فترة ثم قال : « يا عزام . . . انا لا اقصد القدس القديمة فقط او القدس الجديدة بعدها . وانما انا ماض بعون الله الى تل ابيب ، فاصبر عليّ» . واذكر انني قلت له : «اذا دخلت الى تل ابيب فسوف أقف فيها واتوجك حتى ضد الامة العربية كلها» . . . فقال لي الملك:

انتظر عليّ سوف نهاجم القدس القديمة ، ونطهرها ، وسوف نحاصر القدس الجديدة ونسقطها بالحصار . . وبعدها تل ابيب . . . »

---

(١) دامت الحال على هذا المنوال زهاء شهرين ، الى ان انشأ الجيش العربي حوالي شهر حزيران طريقاً للسيارات . وكانت هذه تمر من القدس الى العيزرية فالخان الاحمر ، ومن هناك الى دير مارسابا فبيت لحم . وبعد ذلك ببضعة اسابيع انشأ الجيش طريقاً غيرها ، اقصر من الاولى ، فراحت هذه تمر من القدس الى ابى ديس فدير العبيديين ، ومن هناك الى بيت ساحور فبيت لحم . وعند بيت لحم تتصل بالدرب السلطاني القديمة . وهذه هي الطريق الوحيدة التي تربط القدس بالخليل في يومنا هذا (١٩٥١) وهي وان كانت مرصوفة بالحجارة ، الا انها كثيرة الغبار والتعاريج . طولها من القدس الى بيت لحم عشرون كيلومتراً . تقطعها السيارة في ساعة من الزمن ، وكانت هذه تقطع الطريق القديمة في اقل من عشر دقائق .

(٢) اقرأ العدد ١٨٠ من مجلة (الصريح) المقدسية لصاحبها هاشم السبع بتاريخ ٣٠ ايار ١٩٥٣ .

الحكومة المصرية تصادر عتاداً مشحوناً للجيش العربي

•

وفيما كان الناس يتساءلون : لماذا لا يركض الجيش العربي لنصرة فلسطين ، وكانت بعض كتائبه ترابط على الحدود ، وبعضها كـانت في داخل البلاد ، اتاهم نبأ يقول : ان الحكومة المصرية وضعت يدها على شحنة من العتاد الانكليزي (١) كانت مرسلة الى الجيش العربي من المعسكر البريطاني في(فايد) من اعمال مصر. وان الباخرة رعمسيس التي كانت تحمل هذا العتاد حجزت في (السويس) وكانت في طريقها الى العقبة وعبثاً حاول الملك عبد الله اقناع الملك فاروق بان هذا العتاد هو للاردن (٢)وكان الجيش العربي في حاجة لهذا للنوع من العتاد (٣) .

الطائرات المصرية تغير على تل ابيب

•

وفي ١٨ ايار ١٩٤٨ اغار سرب من الطائرات المصرية على تل ابيب . وراح هذا يقصفها من الجو قصفاً مرعباً . وفيما كـانت الطائرات المصرية تقوم بواجبها اسقط اليهود احداها ، فاسروا قائدها جمال عرفان . اسقطوها بينما كانت تضرب مستودعات البترول الرئيسية على مقربة من تل ابيب . وقد اشترك في تلك الغارة ست طائرات .

اما الطيار جمال عرفان فقد سقط على مقربة من (نس سيونا) ويعرفها اليهود بوادي حنين . ومـن هناك سيق الى معتقل (كفاريونا) ومنـه الى معسكر الاسرى الرئيسي في (اجليل).

طلائع الجيش العربي تصل الى القدس

•

وفي ١٨ ايار ١٩٤٨ صدر الامر للكتيبة السادسة التي كانت مرابطةفي اريحا بالزحف الى القدس (٤) ، شريطة ان لا تتعدى الاحياء العربيـة وان تنتظر ورود اوامر اخرى

---

(١) كان هذا العتاد عبارة عن قنابل مدفعية بقياسات مختلفة وفشك اعتيادي وكان وزنه ٢٥٠ طناً

(٢) اتفقت الحكومتان ، بعد مرور خمس سنوات على هذا الحادث ، ان تصفيا حساب هذا العتاد فدفعت الحكومة المصرية الى الحكومة الاردنية سنة١٩٥٣ مبلغاً من المال لقاء هذه الخسارة .

(٣) كان الملك عبد الله يقول : لو اخذنا هذا العتاد لربحنا معركة القدس .

(٤) لم يعرف بعد السر في عدم وصول الجيش العربي الى القدس قبل هـذا التاريخ وكان الناس يتوقعون زحفه عقب خروج الانكليز منها في اليوم الرابع عشر، او في اليوم المضروب لانتهاء الانتداب وهو الخامس عشر . ولاسيا عندما اتتهم الاخبار بان الجيش قد تحرك من قاعدته بالمفرق في اليوم الرابع عشر

عندما تصل الى حدود الاحياء اليهودية . فوصلت طلائعها المؤلفة من سرية الامن الاولى يقودها الرئيس محمود الموسى . وصلت في الساعة الرابعة بعد الظهر فحطت رحلها على جبل الزيتون ، في ارض للارمن يسمونها الخلوة ، واقعة الى الغرب من الزاوية الاسعدية والمسجد العلمي . وكان عدد الرجال المقاتلين فيها مئة وخمسين. وراحت هذه تتدارس الوضع الحربي مع سرية منكو (٢) التي تقدمتها . وهي مؤلفة من مئة وخمسين شابا من المتطوعين الاردنيين ، يقودهم الرئيس بركات طراد من الحرشان .

واعتزم رجال السريتين مباغتة اليهود على جبل الزيتون ، والاستيلاء على الجامعة العبرية ومستشفى هداسا ، الا انهم تلقوا امراً من مصدر عال (٣) في عمان بالامتناع عن

وانه هبط الشونة في الخامس عشر ، وانه عبر الاردن واجتاز الحدود في اليوم نفسه فبات بعض كتائبه الى نابلس فرام الله عن طريق وادي البيدان ، ورابط بعضها عند الخان الاحمر . اضف الى ذلك ان بعض كتائبه كانت في اواخر عهد الانتداب مرابطة في قطاعي رام الله والخليل ، وبعضها كان يجوب شوارع القدس نفسها .

ولقد قيل في تفسير ذلك ان الخطة العامة كانت يومئذ ترمي الى تجنيب القدس ويلات الحرب ، واعتبارها مدينة مفتوحة .

ومهما قيل في هذا الصدد فانه مما لا ريب فيه ان الجيش العربي ، وان شئت فقل قائده غلوب باشا الذي كان يملك مقاليد هذا الجيش لم يحسب في بادىء الامر حسابا للقدس ولم يفكر في احتلالها لاعتقاده بان قرار التقسيم نص على دوليتها ، وكانت الاوامر التي اعطيت له تقضي بان لا يتعدى حدود التقسيم حتى ان المستر بيفن ، وزير الخارجية البريطانية ، وقف يومئذ في وسط البرلمان يعلن على رؤوس الاشهاد ان الجيش العربي لن يتعدى حدود التقسيم .

وراح هذا الجيش ينشيء طرقاً جديدة حول القدس لئلا يضطر لاستعمال الطرق الرئيسية التي تمر من المدينة اثناء القتال ومن الطرق الجديدة التي انشأها :

١ - طرق اريحا - دير دبوان ، بيتين - رام الله - باب الواد .

٢ - طريق اريحا - العيزرية - ابوديس - دير العبيديين - بيت ساحور - بيت لحم

(٢) سميت كذلك نسبة الى ابراهيم منكو ؛ من تجار عمان الذي تبرع بجميع نفقات هذه السرية طيلة وجودها في ميادين القتال بفلسطين وقد جاءت الى القدس في اول الشهر وحطت رحلها على جبل الزيتون واشتركت بعدئذ في معارك الحي القديم .

(٣) هذا ما حدثني به الرئيس بركات طراد وهو يعني الملك . وقيل يومئذ ان الملك اراد بعمله هذا ان يثبت للملأ ، ان العرب قوم كرام ، يقدرون المؤسسات العلمية والانسانية ؛ ولا يعتدون عليها وقيل ايضاً ان هناك اتفاقاً سابقاً ابرمه الفريقان في اواخر عهد الانتداب ، يقضي بان يقتسما البلاد وان هذا الاتفاق يشمل مدينة القدس . ولهذا امرت الكتائب التي هبطت القدس بالتوقف عن الزحف عند الاحياء اليهودية . وقيل ايضاً ، وهذا هو الواقع ، ان انكلترا واميركا ضغطتا على الاردن كي لا تمس هذه المؤسسات بسوء .

ذلك فامتثلوا الامر .

وعند منتصف الليل (١٧ - ١٨ / ٥ / ١٩٤٨) . دخلت فئتان من سرية الامن الاولى المتقدم ذكرها البلدة القديمة عن طريق باب الاسباط . الاولى بقيادة الملازم الاول نواف الجبر ، والثانية بقيادة الملازم الثاني مصطفى ابراهيم . فاحتلتا مراكز للدفاع عند دير الارمن وباب النبي داود .

القدس تتنفس الصعداء

●

عندما وصلت طلائع الجيش العربي الى القدس ، كان اليهود قد احتلوا — كما ذكرنا في السطور المتقدمة — القطمون والبقعة وحي النمامرة والطالبية والنبي داود وبعض الاحياء العربية الاخرى ، كما كانوا قد احتلوا محطة السكة الحديدية ومطبعة الحكومة ومستشفى العيون والمسكوبية ودار مصلحة البرق والبريد المركزية والمستشفى الافرنسي ودير القربان والنوتردام . وبكلمة اخرى كانوا قد احتلوا معظم البنايات والمرتفعات ذات الاهمية الاستراتيجية . وقد تم لهم ذلك في البرهة الواقعة بين الرابع عشر من شهر ايار والثامن عشر

ومع ذلك فان القدس تنفست الصعداء ، عندما رأت طلائع الجيش العربي تتقدم نحو المدينة من الشرق والشمال . وراح السكان يستقبلون هذه الطلائع بالتصفيق والهتاف وازداد فرحهم عندما اتتهم الاخبار منبئة ان الطائرات المصرية ضربت (في ١٩ / ٥ / ٤٨ الساعة العاشرة مستعمرة خلدا اليهودية وان الفريقين المصريين واليهود قد اشتبكا في قتال على طول الجهة الغربية ، وان الطائرات المصرية راحت تضرب تل ابيب من الجو ضرباً مبرحاً . وتنفس الصعداء حماة المدينة الذين قاتلوا اليهود ، الى ذلك اليوم وحدهم وكانت ذخائرهم قد نفذت بعد تلك المعارك الطويلة الدامية . وبات الناس يتوقعون سقوط القدس كلها ، قديمها وحديثها ، بين عشية اوضحاها بيد العرب .

ودب الرعب في افئدة اليهود . ولا سيما سكان الحي القديم داخل السور . فنزح معظمهم عن المدينة ، وارسل الباقون رسالة لاسلكية (١) استغاثوا فيها باخوانهم

جاء في الصفحة ٤٣ من مذكرات الكونت برنادوت ان قنصل اميركا في القدس قال له ان الفضل في بقاء الجامعة العبرية ومستشفى الهداسا بيد اليهود يعود الى انكلترة واميركا . وان هاتين الدولتين تمكنتا من اقناع الملك عبد الله بوساطة السر الكسندر كركبرايد وزير بريطانيا المفوض في عمان ، فاصدر الملك امره بعدم التعرض لهاتين المؤسستين وان اليهود رغم هذا راحوا يستعملون هاتين المؤسستين للتحرش بالعرب ، واطلاق النار عليهم منهما .

(١) التقط موظفو اللاسلكي العرب هذه الرسالة من امواج الاثير . وحدثني الاب اويجن الايرلندي ان اليهود ارسلوا مثلها الى الرئيس العام للاباء الفرنسيسيين ، يرجونه فيها ان يتوسط من اجل اعلان هدنة في البلدة القديمة .

الموجودين خارج السور . ولقد اغاثهم هؤلاء بقوات سحبوها من الخليل ومشارهاعيمك واتوا بها الى القدس . وراحوا يشنون على العرب (حرب اعصاب) . فزعموا ان عدد مقاتليهم في المدينة اضحى خمسة عشر الفاً (١) واوعزوا ، في الوقت نفسه ، الى اصدقائهم بالولايات المتحدة - وكانت هذه قد احتضنت قضيتهم - فراحوا يقترحون على مجلس الامن ان الحالة في القدس تشكل خطراً يهـــدد الامن والسلم ، وتستدعي ارسال قوات تأديبية (٢) .

الجيش العربي يزحف من الشرق

●

وبعد ظهر ذلك اليوم (١٩ ايار) دخلت القدس الكتيبة السادسة ، يقودهــا وكيل القائد عبد الله التل (٣) انها من الكتائب التابعة للواء الرابع يقوده القائمقام احمد صدقي الجندي ، جاءت من ناحية اريحا ، وحطت رحلها على الجانب القبلي من جبل الزيتون عند رأس العمود . وتسلمت خط القتال الممتد من البلدة القديمة حتى جبل المكبر . وكان مجموع رجالها الفاً ، ثلثاهم فقط مسلحون، والثلث الاخر طهاة وخدم وكتاب غير مسلحين

وكانت هذه الكتيبة مزودة بعدد من المدافع الخفيفة والثقيلة . اما الخفيفة فقد نصبت في داخل البلدة القديمة وهي مؤلفة من ثلاث مدافع صغيرة من عيار ستة ارطال .

---

(١) قال دافيد بن غوريون في خطاب القاه بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٤٩ ان عدد المقاتلين النظاميين من اليهود ما كان يزيد ، في شهر اذار ١٩٤٨ عن اربعمئة ، وان هذا العدد ازداد ، في شهر ايار ١٩٤٨ فاصبح الفاً وخمسمئة . وذلك عندما سحبوا نصف قواتهم المرابطة في الجليل ومشارهاعيمك ، واتوا بها الى القدس .

(٢) رفض مجلس الامن هذا الاقتراح يومئذ . واقر بدلا منه (في ٢٣ ايار) اقتراحاً ناشد فيـه جميع السلطات المعنيـة بالامر كي تصدر اوامرها بالكف عن القتال في غضون ٣٦ ساعـة . وارسل تعليماته بهذا المعنى الى لجنة الهدنة الثلاثية من قناصل دول اميركا وفرنسا والبلجيك .

(٣) عبد الله يوسف التل من اربد ، ولد سنه ١٩١٨ . واتم دراسته الاولى في اربد ، والثانوية في الصلت . ونال شهادة الاجتياز للدراسة العالية في ١٩٣٧ . التحق بخدمة الحكومة الاردنية في السنـة نفسها . وكان مأمورا للجوازات . ثم انخرط في صفوف الجيش العربي برتبة ملازم ١٩٤٢ . وتمرن عـلى فنون الحرب والقتال في الجيش البريطاني بمصر وصرفند . قضى في انكلترا شهرين ١٩٤٧ ولـه كتاب وصف فيه رحلته الى تلك البلاد . وعندما نشبت الحرب الفلسطينية ١٩٤٨ اختير قائدا لقوافل الجيش العربي فيها ، وكان برتبة رئيس . فحارب اليهود في (النبي يعقوب و كفار عصيون والقطمون) وعندما دخل هذا الجيش فلسطين اختير قائدا للكتيبة السادسة ورقي الى رتبة وكيل قائد . ثم اصبح قائدا ، وعلى يده فتح الحي اليهودي بالبلدة القديمة . وعندما وقف القتال عين حاكما عسكرياً للقدس (١-١٠-٤٨) ثم صار متصرفا (١-٤-١٩٤٩) .

انها من النوع المقاوم للدبابات ، واستعملت هناك لضرب العمارات الكائنة في الحي اليهودي .فك الجيش العربي احد هذه المدافع من عيار ستة ارطال ، وجعله شقفاً ، حملها الجنود علي اكتافهم ، وصعدوا بها الى سطح القلعة (برج داود) ، وهناك اعادوا تركيبه وراحوا يضربون فيه العمارات التي كان اليهود متحصنين فيها كعمارة الملك داود، وعمارة طنوس في الشياعة ، وكان لهذا المدفع فضل كبير في صد اليهود وابعادهم عن باب الخليل وقد ظل منصوباً هناك الى ان أعلنت الهدنة . واما الثقيلة فقد نصبت على جبل الزيتون وهي عبارة عن أربعة مدافع هاوزر من عيار ثلاث بوصات وسبعة اعشار البوصة نصبت في منخفض خلف (دير مبارك) للسريان عند رأس العمود، وكانت بقيادة الملازم الثاني غالب رضيمان من ضباط الكتيبة السادسة . اصله من الرولة .

وقامت هذه الكتيبة في صبيحة اليوم التالي (٢٠ ايار) بمهاجمة الحي اليهودى بالبلدة القديمة . فاغارت عليه من ناحية باب المغاربة ، واشترك في هذه الغارة وفي الغارات التي تبعتها فئات من فرق الجهاد المقدس ، ومن رجال جيش الأنقاذ ، ومن المتطوعين الاردنيين ، وقد قدر عددهم بخمسمئة :

وقام اليهود في الوقت نفسه ، بهجوم مضاد على باب الخليل والباب الجديد وعلى باب النبي داود لينقذوا اخوانهم المحصورين في ذلك الحي ، وقامت بين الفريقين معارك حامية . فقذف اليهود الاحياء العربية بعدد لا يحصى من قنابل المورتر وراجمات الالغام وسقطت بعض هذه القنابل في ساحة الحرم ، وفي المدرسة الصلاحية ، وما بينهما ، وقصف العرب الاحياء اليهودية خارج السور. واصابت قذائف العرب حي المونتفيوري وكنيسة نياحة العذراء خارج السور ، والكنيس اليهودي الكبير في داخله ، وأصيبت عمارة النوتردام ودير القربان ، فالتهمت جانباً منها النيران . وكان عدد ما القي منها يومئذ ١٩ ثلاث منها متفجرات . والباقيات ذات دخان .

وما كاد الصبح ينبلج حتى كانت المعركة قد انتهت بنصر العرب ، فانهزم اليهود ليس من ناحية الباب المذكور فحسب ، بل ومن الدور التي كانوا قد احتلوها في حارة الارمن . فأحتلها العرب . كما احتلوا ابراج السور المسيطرة علي ذلك الباب ، لئلا يعود الاعداء فيحتلوه مرة اخرى .

وكذلك قل عن حي الشيخ جراح . فقد اصبح كله في ١٩ ايار بيد العرب .

واشترك في هذا الهجوم عدد من المناضلين من سكان بيت المقدس وشعفاط والقرى المجاورة . وكان هؤلاء بقيادة الضابط المصري ابراهيم الحفناوي (١) وبعد معركة دامت

---

(١) لهذا الضابط ولصحبه رجال الحامية من شعفاط والقدس والقرى المجاورة الفضل في وقف الزحف اليهودي في تلك الناحية قبل مجيء الجيش العربي اليها .و كانوا زهاء سبعين ولولاهم لاحتل اليهود جبل المشارف (سقوبس) كله وشعفاط . وقطعوا كل اتصال كان بين المدينة وانحائها الشمالية .

ساعتين تمكن العرب من ازالة الالغام وتدمير السدود والحواجز التي اقامها اليهود على الدرب السلطاني التي تصل رام الله بالقدس ، ثم طردوا اليهود (١) من مدرسة البوليس الواقعة على جبل سقوبس والدور المجاورة لها ، ومن جميع المنازل التي كانوا قد احتلوها في ذلك الحي (٢) . وقطعوا كل اتصال كان بين الاحياء اليهودية (البخارالية وسنهدريا ومياشورم) وبين مؤسساتهم على جبل الزيتون (هداسا والجامعة العبرية) وما كان العرب ليطلقوا بعض القنابل من مدافعهم على هذه المؤسسات ، لولا ان الحراس المرابطين فيها تحرشوا بهم واطلقوا عليهم النار من رشاشاتهم .

الجيش العربي يزحف صوب القدس من الشمال

في ساعة مبكرة من صباح اليوم التاسع عشر من شهر ايار ١٩٤٨ زحف صوب القدس ، من ناحيتها الشمالية عند شعفاط ، سريتان من سرايا الكتيبة الثانية يقودهما اللفتنانت كولونيل سليد H. F. Slade وعند الظهر لحقت بهما سريتان اخريان من سرايا الكتيبة الخامسة ، يقود احداهما الرئيس سليمان مسعود ، والثانية الرئيس محمد خلف العمري ، وكانت هاتان السريتان قد وضعتا تحت تصرف الكتيبة الثانية . ولحق بالسرايا الاربعة ، عند المساء ، سريتان من سرايا الكتيبة الثالثة ، يقودهما الرئيس صادق الشرع ركن الحركات في مقر الفرقة الاولى . وكان يدعمها سرية مدرعات وعدد من مدافع الميدان من عيار ستة ارطال ومن المدافع القوسية (المورتر) من عيار ثلاث بوصات (٣) وكانت هذه (اي المدافع) بقيادة الكولونيل هرست يساعده وكيل القائد محمد المعايطة . ومن الضباط الاردنيين الذين كانوا مع السرايا المتقدم ذكرها ـ خلا الذين تقدم ذكرهم ـ الملازم الاول علي ابو نوار ، والملازم الاول يونس الحاج موسى والملازم الاول عبد الرحمن المفلح ، والملازم الاول احمد الفياض ، والملازم الثاني حيدر مصطفى .

ووضعت هذه القوة تحت امرة اللفتنانت كولونيل سليد الذي تقدم ذكره . فأمر هذا

(١) كان اليهود المرابطين في هذا الحي والذين قاموا بمهمة الدفاع عنه زهاء خمسمئة . وكانت مراكز دفاعهم ثلاثة . – مدرسة البوليس ، والهداسا ، والدور الواقعة على جانبي طريق القدس – رام الله

(٢) احتل اليهود حي الشيخ جراح في ٢٤ نيسان ١٩٤٨ فاخرجهم الانكليز منه في اليوم نفسه. ثم عادوا فاحتلوه عندما غادره الانكليز ، وكان ذلك في ١٤ ايار ١٩٤٨ . ومكثوا فيه خمسة ايام ، الى ان جاء الجيش العربي في ١٩ ايار ، واخرجهم منه .

(٣) وفي قول ان المدافع التي اشتركت في ضرب القدس يومئذ كانت عبارة عن بطارية ونصف مؤلفة من اثني عشر مدفعاً من عيار ٢٥ رطلا .

بالهجوم : وراحت المدافع التي نصبت في اراض بيت حنينا تصب حممها على الاحياء اليهودية ، ممهدة بذلك السبيل الى المشاة الذين راحوا يزحفون صوب الشيخ جراح .

واشتبكت هذه السرايا مع اليهود في قتال في حي الشيخ جراح . وكان يقودها ـ كما سبق وقلنا ـ سليد ، ولما جرح هذا ، قبل الظهر بقليل ، تسلم القيادة الميجر بوكنن ، وجرح هذا عند العصر ، فتسلم القيادة الرئيس صادق الشرع (١)

وما كادت الساعة تدق الثامنة من مساء ذلك اليوم (١٩ ايار) حتى كانت المعركة قد انتهت بنصر للعرب ، وكان الجيش قد احتل ذلك الحي ، واتخذه نقطة ارتكاز لحركاته في شمال المدينة ، ذلك لانه مشرف اشرافاً تاماً على طريق القدس ، رام الله ، وعلى معظم احياء المدينة من الشمال والشرق والغرب .

وعندما وصل الجيش الى الجسر القريب من المسجد ، انسحب اليهود من المثلث الكائن بين طريق مياشورم وطريق باب العمود الى قطاع مياشورم والبخارالية ، وراحوا يرتعدون جزعاً . وما شك واحد منهم بان القدس ستسقط كلها بيد العرب .

ولو كانت هناك قوات اكثر من القوات التي دخلت القدس في ذلك النهار ، ومشى العرب في اثر اليهود ، لاحتلوا معظم الاحياء اليهودية . ولربما سقطت القدس كلها بيد الجيش العربي في ذلك اليوم (٢) ـ ولما تنبه اليهود ـ على الاقل ـ للامر قووا مراكزهم الدفاعية في ذلك القطاع .

وكانت خسائر العرب في معركة الشيخ جراح هذه ستة من الجنود الاردنيين .

انسحاب جيش الانقاذ

●

عندما اجتازت الجيوش العربية حدود فلسطين في ١٥ أيار تقرر سحب (جيش

---

(١) ظل الوضع كذلك الى ان دخلت القدس ، في ٢١ ايار ، الكتيبة الثالثه . وكان يقودها اللفتنانت كولونيل نيومان .

(٢) كانت الكتيبة الثالثة يومئذ (١٩ ايار) مرابطة في السهل الواقع بين حوارة وعسكر من اعمال جبل نابلس . وكانت على استعداد للزحف ، لابل كان رجالها من ضباط وجنود يتلهفون شوقا الى الزحف . ولوزحفت مع السرايا المتقدم ذكرها لتمكن الجيش من احتلال القدس كلها في ذلك النهار . ولكن الامر بزحفها لم يصدر الا في وقت متأخر من اليوم التاسع عشر ، وقد نص فيه على وجوب دخول المدينة في اليوم الثاني والعشرين . هذا ما حدثني به قائد هذه الكتيبة اللفتنانت كولونيل نيومن . L . Gol . J . C . Newman

الانقاذ) منها ، على ان يعاد تنظيمه في سورية . ذلك لانه كان في حاجة للتنظيم ، بعد ان اصابه ما اصابه من فشل في المعارك التي خاض غمارها . فانسحب من قطاع القدس في ٢٠ أيار . وانسحب من القطاعات الاخرى التي كـان يخيم فيها في تواريخ مختلفة . وما كاد شهر ايار ينتهي حتى كان الجيش كله (اي جيش الانقاذ) قد انسحب من فلسطين كلها . فلم يبق منه سوى سرية واحدة في قطاع القدس . والتحق بعض افراده بالجيش العربي . كان لانسحابه اصداء مختلفة : فحبذه كثيرون ، واستنكره آخرون .

اما المحبذون فكانوا يعتقدون ان هذا الجيش خيب آمال الامة العربية فيه . فلم يأت بأي عمل يذكر ، لا بل انه فشل في مهمته فشلا ذريعاً . وكيف يرجي الخير من جيش كهذا ، قوامه خليط من الناس ، لا يجمعهم جامع ، ولا يردعهم رادع . وليس لهـم مثل اعلى يجاهدون في سبيله صفاً واحداً ويداً واحدة .

بـلى وربك . انه مزيج من عرب وشراكسة ودروز واكراد واتراك والمـان ويوغوسلافيين ، والعرب مزيج من بدو وحضر ، والحضر خليط من سوريين ولبنانيين وعراقيين وفلسطينيين واردنيين ومصريين وحجازيين ومغاربة ويمانيين . مختلفين من حيث العقل والثقافة وطراز المعيشة والاخلاق ومن حيث القصد والهدف . وما كان هؤلاء مسلحين تسليحاً كافياً ، ولا كانوا مدربين . ومن رأى هـذا الفريق ، ان رجال جيش الانقاذ اساءوا للناس اكثر من احسانهم اليهم .

فقد صادروا اموالهم وسياراتهم وفرشهم ومؤنهم . وكانوا يسيرون في اعمالهم هذه على غير هدى ، فمن الناس من حمّلوه اكثر ممـا يستطيع . ومنهم من لم يطالبوه بشيء ؛ والذي اخذوا بضاعته لم ينقدوه ثمنها ، رغم ان مجلس الجامعة العربية الـذي اوفدهم وضع تحت تصرفهم مبالغ جسيمة كانت تكفي لتموينهم وتزويدهم بجميع معدات القتال خلا العتاد الذي لم يكن موفوراً في البلاد .

ولطالما كذبوا في بياناتهم التي كانوا يصدرونها عقب كل معركة . فكانوا يزعمون انهم منتصرون وما كانوا فيها — وان شئت فقل في معظمها — بمنتصرين . ولئن ضربنا هنا صفحاً عن ذكر المعارك كلها التي اذيعت انباؤها على غير حقيقتها ، فانا لا نرى بداً من الاشارة الى معركتين كان رجال الانقاذ يذيعون انهم انتصروا فيهما ، بيـنما كانوا يتقهقرون ، وقد اصيبوا في كل منهما بخسائر فادحة . الاولهما : (معركة الزراعة) و (معركة مشمار هاعميك) . فقد اصيب فوج اليرموك الاول في المعركة الاولى (الزراعة) بفشل ذريع ، وان قال قائدها انه ما كان ليخوض غمارها لولا انه اراد ان يجس نبض اليهود ويعرف

مدى تسلحهم وقدرتهم على النضال . وكذلك قل عن المعركة الثانية (مشمار هاعيمك) تلك المعركة التي اشرف عليها القاوقجي بنفسه والتي مـني فيها بالفشل التام (١) . ولم يكن لدى رجال الانقاذ خرائط ولا كشوف واحصائات ، لا ولا كانت لديهم وسائل قوية للاستخبارات . وما كانوا يعلمون عن اليهود ومستعمراتهم وقوات الهجوم والدفاع في مستعمراتهم وعلى الحدود الا النذر اليسير . ولما تجلت للناس حقائق الاحوال تزعزعت ثقتهم بالقاوقجي وجيشه . وبلـغ منهم الكره حدا جعلهم يفرون منه فرار السليم من الاجرب (٢) .

وقد اكد لي احد الخبراء العسكريين ان هذا الجيش ما كان ليفشل في مهمته لولا سوء الادارة من جهة ، وجهل القيادة الفاضح في اساليب القتال الحديثة من جهة اخرى . ولم يكن السبب في اخفاقه قلة السلاح او نقص في الذخيرة كما يقولون . لا ، ولا كانت تنقص جنوده الشجاعة . فقد كانوا شجعانا . وكـانت اسلحتهم جيدة ، وذخائرهم كافية ، ولكن هذه الاسلحة ما احسن استعمالها . والذخائر كانت تصرف في غير لزوم . والتوقيت في حركات القطعات المختلفة ما كان دقيقاً .

هذا ما قاله لي احد الخبراء العسكريين . وقد اكد لي هذا انه كان لـدى جيش الانقاذ مدافع افرنسية من عيار ٧٥ ملمترا ، واخرى امريكية من عيار ١٠٥ ملمترات .

واما اللواء اسماعيل صفوة باشا رئيس اللجنة العسكرية التي كانت تهيمن على اعمال

---

(١) فضحت هذه المعركة جيش الانقاذ . كما فضحت قائده فوزي القاوقجي . فقد القى هـذا على المستعمرة ٦٥٠ قنبلة من مدافعه في خمسة ايام ولكنه لم ينل منها شيئا . اضف الى ذلك انه ارسل بعد فشله رسولا الى اليهود عارضا عليهم ان يتفاهم معهم . وارسلوا اليه اثنين من رسلهم فاجتمع بهما في طوباس واقترح عليهما حل المشكلة الفلسطينية على اساس فدرالي ، فرفض اليهود هذا الاقتراح واعتبروه دليل عـلى وهن العرب . فارتفعت معنوياتهم وايقنوا انهم اذا صبروا نالوا ما يبتغون . هذا ما قاله جون كمشي Jon Kimshe في الصفحة ٢١٦ من كتابه Seven' Fallen Pillars ولم نعثر على اية رواية عربية تؤيد هذا النبأ او تنفيه .

(٢) ذكر المقدم وصفي التل الذي كان يعمل في قيادة جيش الانقاذ في الحلقة التاسعة من سلسلـة مقالاته التي نشرتها له مجلة (الهدف) اقرأ العدد التاسع بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٥٠ – ان سريتين مـن المناضلين من ابناء قرية سخنين منعت قوات جيش الانقاذ من الدخول الى قريتهم بحجة ان دخولهـا سيدفع العدو لمهاجمتهم . وان وفدا مـن سكان تلك القرية ذهب في تلك الليلة ودعـا العدو لاحتلال قريتهم . فجاء هذا من فوره واحتلها بقواته . الامر الذي حدا بقيادة الجيش الانقاذ للانتقام ، فهاجموا القرية في اليوم التالي واحتلوها ، ونكلوا بسكانها كأنها مستعمرة معادية .

جيش الأنقاذ فقد ايد الأقوال المتقدم ذكرها من حيث ضعف القيادة ، ونقص الضباط وقلة عدد الجنود وقلة الترتيب . فقد ذكر ذلك كله في تقريره الذي رفعه الى وزارة الدفاع العراقية ، بتاريخ ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ الا انه، اي اسماعيل صفوة ، قد اكد في تقاريره كلها سواء في ذلك التقارير التي رفعها الى الجامعة العربية او الى وزارة الدفاع العراقية ان من اهم الاسباب التي ادت الى انهزام جيش الانقاذ : ضآلة التسلح وضعف القيادة .

اما ضآلة التسلح فقد ،اوضحناها بتفاصيلها في الفصل الذي اعددناه لمشكلة السلاح في موضع آخر من هذا الكتاب ، ولا نرى لزوما لاعادتها هنا . واما ضعف القيادة ، فحدث عنه ولا حرج . وانه لما ريب فيه ان معظم امراء الالوية والافواج كانوا غير اكفاء . من الناحيتين العسكرية والادارية . هذا مع اعترافنا بان بعضهم كانوا من القدرة والكفاءة والاخلاص على جانب عظيم .

حدثني امير اللواء الركن اسماعيل صفوة باشا ، يوم زرته ببغداد مستطلعاً رأيه في جيش الانقاذ وفي قائده فوزي القاوقجي فقال « لقد خيب القاوقجي ظني . كنت اعتقد انه قائد قدير . ولكن التجارب برهنت لي على انه يصلح لقيادة ثورة محلية وحرب عصابات فقط . واما حرب أنظامية كالتي وقعت في فلسطين فلا . وهنا اريد اعترف ان المفتي (اي الحاج امين) كان على حق عندما قال لنا ان القاوقجي لا يصلح للقيادة » .

وراح صفوة بعدئذ يحدثني عن حب القاوقجي للظهور وعن مغالاته في التقارير التي كان يرفعها الى اللجنة العسكرية . كما حدثني عن طمعه وحبه للمال فقال « : انه تناول مرة خمسمئة جنيه ليصرفهـا في سبيل الدعاية والتقاط الاخبار . وتناول الشيشكلي مني في الوقت نفسه مئه دينار ، وعاد القاوقجي الي بعد خمسة ايام طالباً ٥٠٠ جنيه آخرين مع ان الشيشكلي عندما سألته بعد ثلاثة شهور عما جرى بالمبلغ الذي تسلمه ، ولماذا لم يطلب غيره قال : «لست في حاجة الى اكثر من ذلك ولم اصرف من المبلغ الاول سوي اربعين جنيها » .

وا كد لي صفوة ان القاوقجي اخطأ في معظم الحركات التي تولى قيادتها ، ولاسيما في مشارها عيمك والناصرة اما في مشارفكان يجب عليه ان لا يسمح لليهود بالهدنة التي طلبوها لاربع وعشرين ساعة بعد ان ضرب ضربته الاولى ـ فقد عادت الهدنة عليه بالوبال . اذ تمكن اليهود من جلب قوة كبيرة ، وفكوا الحصار وهزموه .

واما الناصرة فكان يجب عليه ان لا يتركها وريح المعركة تهب عليها ، اذ اثبت انه والمعركة قائمة بين صفوريا والشجرة والناصرة ، كان في بيروت ، ولما عوتب لوجوده في بيروت في تلك الاونة المليئة بالخطر قال : « جئت لاقابل المسؤولين من رجال اللجنة

العسكرية ولأتحدث اليهم في صدد الوضع الحالي ، ولاطلب منهم ان يمدوني بالسلاح والعتاد . وكان في مقدوره ان يفعل ذلك عن طريق البريد والهاتف او بواسطة رسول ينتدبه لاداء هذه المهمة » . هذا ما قاله لي اسماعيل صفوة باشا عن القاوقجي وقد عادى المفتي من اجله .

وحدثني القائد العراقي فاضل رشيد، الذي تولى حامية القدس وكان من رجال جيش الانقاذ «ان القاوقجي لا يصلح للقيادة »

ولم يحسن رجال الانقاذ الافادة من خبرة ابناء البلاد ، وكانت تنقصهم الخبرة في مداخل البلاد ومخارجها . والطريقة التي اتبعوها في التموين كانت فاشلة . فما كانت مؤن الجنود تصل في مواعيدها المقررة . الامر الذي حدا بهم للسرقات ومصادرة خبز الناس في البلاد التي هبطوها وكذلك قل عن البنزين والسلاح والعتاد وسائر ادوات القتال . اني لا اقول ذلك تجنياً ولا اعتباطا . بل اقوله مستنداً على ما شاهدته بعيني . وقد صحبت القاوقجي في فترة من الوقت كما رافقت صحبه ورجاله في مناسبات عديدة ، ولئن اغمضت الطرف عما رأيته بعيني وسمعته باذني ، فاني لا استطيع الا ان انقل للاجيال القادمة ما ثبت للقضاة ورجال العدل والقانون من اعمال مشينة قام بها رجال هذا الجيش

فقد اطلعت على تقرير ارسله طه باشا الهاشمي بوصفه مفتش المتطوعين العام الى سكرتير جمعية انقاذ فلسطين ببغداد ، تاريخه ١٩٤٨/٧/٦ ورقمه ١٤/٥١٠٧ ، وقد جاء فيه «ان الملازم مهدي صالح في يافا تصرف بالاسلحة العائدة الى قوات الانقاذ وباسلحة اخرى غنمها المحاربون من العدو تصرفاً غير مشروع ، وانه بعد سقوط يافا اتى الى بيروت بحراً واودع السلاح الذي في حوزته في احد الفنادق فراح يبيعه . وبعد ان باع جزءاً منه بشهادة الرئيس الاول الطيار محمود هندي .. صادر رجال الشرطة الجزء الباقي وبعد ان سجن في المعسكر شهراً اطلق سراحه ، وطرد من الخدمة »

واطلعني سكرتير الجمعية المقدم ذكرها ، السيد محمود فهمي درويش ، على تقرير ارسله الى الجمعية طه باشا الهاشمي بوصفه المفتش العام للمتطوعين ، وكان ذلك بتاريخ ١٩٤٩/١/٥ رقم ١٤/١١٧ وقد جاء فيه : ان محكمة قوة اليرموك حكمت على كل من الملازم الاول شناوة عرد والمرشح اسماعيل قاطع بالسجن ثلاث سنين ، لانصرافهما الى سلب المدنيين الفلسطينيين وزجهم في السجون وتعذيبهم وبيع الاسلحة بدلا من الدفاع عن المناطق الموجين في الدفاع عنها . وقد فرا من السجن . وحكمت المحكمة نفسها على الملازم الاول عبد الجبار عبد الوهاب القيسي المعروف بالشمري بالسجن خمس سنوات

لمصادرته اسلحة المناضلين وتركه القرى المجاورة له ولاسيما قرى قزازة وسجد وحلبا من غير سلاح ، الامر الذي نتج عنه ان رحل اهلها عنها .

وقد جاء في قرار المحكمة الذي امضاه القاضي العسكري ، ان المذكور شجع الحمويين على مغادرة يافا في احرج الظروف . ولم يثبت مع المجاهدين المرابطين في ساحة الشرف والجهاد .

والقي القبض في القدس خلال شهر تشرين الاول ١٩٥٣ ، على رجل كان من ابرز رجال جيش الانقاذ في حرب فلسطين هو ابراهيم حامد سادة الاعظمي ، وسيق الى السجن بتهمة التجسس لحساب اليهود (١) . ولما سمعت بالخبر تذكرت الحديث الذي جرى بيني وبينه عندما هبط هو وعدد من رفاقه قطاع القدس (في نيسان سنة ١٩٤٨) وراحوا ينظرون الى الفلسطينيين بعيون ملؤها الريبة والحذر ، وقد طلبوا اليهم الابتعاد عن الميدان لانهم (؟) جبناء وخونة لئام . وانهم لا يصلحون (؟) للقتال . فا كدت لهم انهم على خطأ فيما يعتقدون . وان الفلسطينيين الذين قاوموا الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي ثلاثين عاما هم القادرون على دفع الاذى عن بلادهم في هذه الفترة العصيبة . وانهم ادرى من غيرهم بمداخل بلادهم ، وان مصلحة الوطن تقضي بالعمل المشترك ، والابتعاد عن كل ما يستوجب الفرقة والبغض .

ولكن رجال الانقاذ لم يهتدوا فكان نصيبهم الفشل . تلك هي الاسباب التي جعلت الكثيرين يبتهجون لانسحاب جيش الانقاذ من البلاد .

ونرى من العدل والانصاف ان نشير هنا الى مسألتين لا بد من ذكرهما عندما نذكر جيش الانقاذ ، والشيء بالشيء يذكر ، اولهما ان جيش الانقاذ ما كان ليؤلف من خليط من الناس لولا ان انكلترا وقفت تعارض في تأليف جيش عربي من ابناء فلسطين عندما ارادت الجامعة العربية عند بدء القتال تأليف مثل هذا الجيش . والثانية ان الذي شجع الناس ورجال جيش الانقاذ على كره الفلسطينيين وضرورة ابعادهم عن ميادين القتال

---

(١) ادانته محكمة بداية القدس بتاريخ ٨ ايار ١٩٥٤ بالتجسس لحساب اليهود خلافاً للمادة ١٠٧ من قانون العقوبات ، وحكمت عليه بالاعدام اذ ثبت لها انه في ليلة ٢٧، ٢٨-٣-١٩٥٢ اتصل بالعدو في داخل المنطقة المحتلة من مدينة القدس ، واجتمع بدائرة الاستخبارات اليهودية وزودها بمعلومات عن القوات الاردنية . ولما استأنف الحكم خفض الى السجن المؤبد وكان ذلك بتاريخ ١٦ حزيران ١٩٥٤.

هو الملك عبد الله . ذلك لانه كان يكرههم لكرهه لخصمه الحاج امين ، ولانه كان يعرف انهم لا يحبونه بسبب ميوله الانكليزية .

وكانت هناك فئة اخرى من الناس ، استنكرت هذا الانسحاب ، وهذه تنتمي الى القوميين القائلين بضرورة العمل المشترك بين جميع الفرق والاحزاب ، والافادة من كل فرد من افراد هذه الامة لنيل النصر المبتغى .

ومن رأي هذه الفئة ان جيش الانقاذ وان كان قد اخطأ في بعض تصرفاته الا ان له الفضل كله او بعضه في الدفاع عن هذه البقعة المقدسة . فقد خاض مذ هبطها في ١٢ نيسان سنة ١٩٤٨ الى ان انسحب منها في ٢٠ ايار سنة ١٩٤٨ ، غمار الحرب في مواضع كثيرة ، ولاسيما في المثلث الواقع بين القدس ورام الله وما بينهما من قرى الى باب الواد . وكثيراً ما قصف بمدافعه مصفحات العدو ووسائل نقله وخطوط مواصلاته والاحياء التي كان يسيطر عليها في مدينة القدس . وكان في معظمها موفقاً . كما كانت مدافعه تصيب الهدف بشكل يدعو الى الفخر والاعجاب .

القدس في جحيم مستعر

●

وفيما كان جيش الانقاذ ينسحب من هذا القطاع في ٢٠ أيار ، كانت رحى القتال دائرة في جميع انحاء المدينة . وكان الموت يحصد الناس حصداً .

بلى وربك ، ان المدينة كلها ، من ادناها الى اقصاها ، كانت يومئذ في جحيم مستعر صوت الرصاص يلعلع في الفضاء . وقنابل المدافع تتساقط في كل مكان .

وكان المجاهدون من ابناء بيت المقدس يعملون جنباً الى جنب مع رجال الجيش العربي ، وراح هؤلاء يطاردون فلول الاعداء في حي الشيخ جراح . فأخرجوهم منه ومن مدرسة البوليس ، وقد وطدوا اقدامهم في الحي . وراحوا من هناك يضربون الهداسا ، والجامعة العبرية . ومنى Etzel وصحبه بخسائر فادحة ، وعبثاً حاول اليهود اقتحام الباب الجديد . وقد جربوا ذلك مراراً عديدة . ولاقى عشرات من اليهود حتفهم في معارك ذلك اليوم . ولم تهدأ الحال الا عند مطلع الفجر .

وازداد المجاهدون قوة ونشاطاً عندما حملت اليهم امواج الاثير نبأ الغارات الجوية التي قامت بها الطائرات المصرية على تل ابيب ؛ فقصفتها ، في يوم واحد ، اربع مرات متتاليات . وكان قصفها شديداً ، وموفقاً .

ولم يخفف من حدة الموقف ظهور الطائرات اليهودية في القدس. اذ راحت اربع منها تحلق في سماء المدينة ، وهي من طراز نافثات اللهب Spit fires الا انها لم تستطع ان تقوم بأي عمل . وهنا لا نرى بدأ من تدوين ما قاله مناحيم بيفن زعيم الارغون عن معركة القدس هذه التي وقعت في ٢٠ ايار قال :

«في يوم الاربعاء الموافق ٢٠ ايار ، بدأ الجيش العربي زحفه عبر مدرسة البوليس على جبل سكوبس (الشيخ جراح العليا) . وقد مهد الى هذا الزحف بقصفنا بالمدفعية الثقيلة مدة ساعتين . فأخذ رجال الهاغانا يفرون مهزومين دون انتظام ، تاركين خلفهم مدفعهم الرشاش ، وحاملين معهم مدفعهم المقاوم للدبابات الذي لم يستعملوه مطلقاً . وقد ثبط من عزائمنا وحطم من معنوياتنا مصرع قائدنا (جل) . وقد اصاب العرب منه مقتلا . ومما زادالطين بلهان الالغام الكهربائية لم تنفجر ، وان الدبابات العربية اخترقت الجبهة وهي تهزأ بما اقمناه من حواجز الاسمنت المسلح . وبلغ سوء حظنا الذروة عندما اصابت قنبلة مدفع عربي نقطة استطلاع لنا تقع على ارتفاع عشرة امتار ، فدكتها وتناثرت اشلاء من عليها ، ومدفعهم الرشاش من طراز لويس في الهواء .

«وهكذا تحطمت المقاومة اليهودية في الشيخ جراح وانسحبنا الى مياشيرم . وقد اقتحم رجال الجيش العربي بمدرعاتهم مدرسة البوليس ودار آل العارف في جبل سكوبس تلك الدار التي كنا اقتحمناها بعد انسحاب البريطانيين من القدس . ولقد اخفقنا في نسف دار المفتي مع اننا غرسنا الالغام حولها . واعددنا لها لغماً يزن مئة كيلو غراماً من المواد المتفجرة . كما فشلنا في محاولتنا احتلال متحف الآثار الفلسطيني .

«اما قوات الهاغانا التي كانت تتقدم في اتجاه طريق سعد وسعيد فقد الحق بها العرب خسائر فادحة ، فانقلبت على اعقابها خاسرة . ولم تذكر الهاغانا هذه الهزيمة النكراء التي منيت بها ، مما جعلنا عرضة لنكبة اخرى اثناء انسحابنا الى المستشفى الايطالي» .

«وكذلك واكبنا الفشل في محاولتنا الهجوم على القدس ، لاحتلال القلعة والدخول الى البلدة القديمة عن طريق باب الخليل ، فقد صب العرب علينا نيراناً حامية كبدتنا خسائر فادحة ، فلذنا بالفرار ...»

واستنجدت لجنة الهدنة القنصلية (١) اثر اشتداد المعارك على هذا الشكل ، بمجلس الامن . فأبرقت اليه تقول :

---

(١) اقرا ما كتبناه عنها في موضع اخر

« تدور في المدينة المقدسة معارك مريرة . العرب يواصلون هجماتهم الشديدة على اليهود . نجدات من الاحياء اليهودية خارج السور تحاول عبثاً اختراق السور ، وانقاذ المحصورين في الحي القديم ، الحالة في هـذا الحي لا تطاق . خمسمئة شخص (نصفهم محاربون والنصف الاخر مدنيون) حشروا في كنيس من الكنس القديمة . اليهود في الاحياء الاخرى ايضاً في حرج بسبب قلة الماء والمؤن (١) والوقود . »

العرب يفشلون في استرداد النوتردام ودير القربان

في ٢١ ايار حاول الجيش العربي استرداد النوتردام ودير القربان . فقتل عدد غير قليل من رجاله بسبب الالغام التي كان اليهود قد زرعوها حول هذين المكانين ، والتي انفجرت عندما مسها الجنود . الامر الذي اثار نخوة اخوانهم الآخرين ، الذين نزلوا من على السور حيث كانوا يرابطون ، فأزالوا الالغام . ولكن اليهود كانوا قد تحصنوا في الداخل . وكانت قد اتتهم نجدة كبيرة . فصدوا المهاجمين . ولم ينقطع تبادل النار في القدس طيلة ذلك النهار .

ومن داخل السور تمكن المناضلون من هدم الكنيس الصغير ، فسقطت قبته على من كان فيه من المقاتلين اليهود .

المعارك من باب الخليل الى بيت اسرائيل

وفي ٢١ أيار ١٩٤٨ هاجم اليهود باب الخليل ، فصدهم العرب . كما صدوهم ، في الليلة الفائتـة ، عن النبي داود . وكان المهاجمون ، المرة هـذه ، من المتدينين ذوي السوالف واللحى .

وقامت اثر ذلك ، فئات من الجيش العربي بهجوم معاكس عـلى اليهود في ذلك القطاع فئة للهجوم يقودها الوكيل مصطفى ابراهيم الشويكي ، واخرى للمساندة يقودها

(١) اتخذ الحاكم العسكري اليهودي في الجزء الذي كان بيد اليهود من مدينة القدس تدابير صارمة لاجل تقنين الطعام وتوزيعه على السكان بقدر معلوم . اذ كانت المواد الغذائية قد قلت والاسعار قد ارتفعت الى درجة لا تطاق ، فاصدر الحاكم امره بشد الاحزمة على البطون وكان لعمله هذا اثره على اعصاب الشعب اليهودي .

الملازم حسين المفلح ، وكلتاهما من سرية منكو . وثالثة من سرية الحسين بالطور ، يقودها المناضل عثمان بدران . ورابعة من فرقة التدمير التابعة للجيش يقودها الملازم احمد الظاهر الديك . وخامسة من المناضلين المنتمين الى الجهاد المقدس . وعدد الجميع خمسون ، تولى قيادتهم الرئيس بركات طراد من الحرشان .

ان هذا الهجوم الذي دام حتى المغيب ، باء بالفشل . وانسحب المهاجمون دون نظام ، تاركين وراءهم ستة من المناضلين القتلى ، وخمسة جرحى . هذا ما حدثني به الرئيس بركات .

اعتقد ان الشهداء العشرة الذين نقلت رفاتهم في ٢٢ أيار ١٩٥٢ بمعرفة رجال الجيش الاردني من ساحته النوترادم ودفنوا في مقبرة باب الساهرة ، هم من الذين لاقوا حتفهم في هذه المعركة . اذ قالت رئيسة المستشفى الافرنسي ان هذه الجثث العشرة وجدت هناك اثناء احتلال اليهود للمستشفى المذكور ، واحد منهم جرح في ٢٠ أيار ١٩٤٨ فادخل المستشفى وتوفي في ذلك النهار . وتسعة عثر الممرضات على جثثهم بعد ذلك بيومين (أي في ٢٢ ايار ١٩٤٨) . وكانت تلك الجثث متعفنة . والمعتقد انها لمناضلين من سكان المدينة دافعوا عن ذلك الجزء من المدينة . حدثني محمد اسحق بك من ضباط الجيش العربي الذي نقل الرفات وهو عضو في لجنة الهدنة انه ليس في سجلات الجيش ما يؤيد انه قتل هنا احد من الجنود في ذلك التاريخ .

ونشط اليهود اثر ذلك فهاجموا الباب الجديد ، ونسفوا جانباً من دير القربان . وكادوا يتغلبون . لولا ان اتى الجيش العربي . بعدد اخر من المدافع والمصفحات فانقلب الوضع . وتبدلت الحال . ولاقى اليهود يوماً اسود من الذي فات . وفيما كانت فئات من الجيش تشغل اليهود في قطاع باب الخليل والنبي داود ، راحت فئات اخرى تهاجم (بيت اسرائيل) بالمدافع والمصفحات . وحاول اليهود صد هذا الهجوم بالقنابل والالغام . ولكن دون جدوى . فاستنجدوا بقيادتهم . وامدتهم هذه بوحدات جديدة . وراحت تلك الوحدات تنسل الى الميدان يقودها Zohar (١) . وكانت مؤلفة من ثلاث سرايا . الاولى قوامها ضباط مرشحون ، والثانية شباب اعدوا للجهوم ،

---

(١) كان هذا خبيراً في ادارة المصفحات . اذ كان في الحرب الكونية الثانية ضابطاً من ضباط المصفحات في الجيش البريطاني . وقبل ان يخوض غمارة هذه المعركة امر بقتل كل رجل من رجاله تحدثه نفسه بالهرب من ميدان القتال .

والثالثة فتية متطوعون في حدود السابعة عشرة من العمر . وكانوا مزودين بعـــدد من المصفحات ومدفعين رشاشين من طراز Beza ومدفع رشاش من طراز براوننغ. وكانت هذه المدافع وصلتهم من اوروبا قبل اسبوع بطريق الجو. ولكن اليهود لم يجدوا خبيراً يحسن تركيبها واستعمالهـــا . وان عرفوا كيف يستعملون القنابل المعروفة ب (كوكتيل مولوتوف) وهي عبارة عن زجاجات محشوة بالكلس وماء النار .

وكانت النتيجة ان غلب اليهود على امرهم : فسقط ثلاثون منهم في بحر ساعتين ، واصيب عدد لا يحصى بجراح بالغة. وخسر الجيش العربي خمس مصفحات . ثلاث منها دمرت تدميراً تاماً :

اشتداد القتال في البلدة القديمة

●

في صبيحة اليوم الثاني والعشرين من شهر ايار استؤنف القتال في الحي اليهودي بالبلدة القديمة . وكان عدد الجنود في هذا الحي كما كان في اليوم الذي سبقه . فتقدموا تقدماً بطيئاً للغاية . ذلك لان الالغام كانت مبثوثة بكثرة في الطرق وفي معظم المباني : فلم يستطع الجند ان يحتلوا اكثر من دارين ، خسروا من اجلهما ثلاثة شهداء . وتبين للقائمين على الامر ان هذا العدد من الجند لا يكفي لقهر اليهود الذين ابدوا صلابة تذكر في الدفاع عن حيهم . ولم يكن لدى المهاجمين الغام . فطلبوا الى قائد فرقة التدمير العربية المقدسية، فوزي القطب ان يساعدهم بالغامه ، فلبى هذا الطلب . وكان قد تعلم صنع الالغام وتركيبها ـ كما قدمنا ـ في المانيا . فدرب عدداً غير قليل من أ ابه ليعملوا معه. وراح هو ورفاقه ينسفون منازل الحي. ولقد قتل في اثناء هذه العمليات ثلاثة من العرب: احدهم من لفتا ، والثاني من ديريس ، والثالث من سوريا .

ووصل في ٢٢ ايار مدرعتان عربيتان من عيار سبعة اطنان الى مدينة القدس هذا بالاضافة الى المدرعتين الاخريين اللتين وصلتا في ٢١ أيار .

وراح عبدالله التل قائد الكتيبة السادسة يخاطب اليهود ـ بمكبر الصوت ـ طالباً اليهم التسليم ولكن اليهود لم يعبأوا بندائه .

فراح يضربهم بمدافع المدرعات . وكان اليهود معتصمين بمقام النبي داود وبكنيسة

نياحة العذراء . فدمرت المئذنة ، ولم تصب الجرسية بضرر كبير . وارتد اليهود على اعقابهم في قطاعي باب الخليل والباب الجديد . ولكنهم في القطاع الاخير ظلوا معتصمين بعمارة النوتردام ودير القربان . فراح عبد الله التل وجنوده يقصفون العمارة الاولى (النوتردام) بمدافعهم ، هذا بعد ان انذروا قنصل فرنسا كي يخرج اليهود من العمارة . ولكنه عجز عن اخراجهم . وظل القصف مستمراً حتى الساعة الرابعة عصراً . ولم يستطع الجنود ان يقتحموها ، لانها كانت محاطة بالالغام في كل مكان واغتاظ اليهود المقيمون في النوتردام لقصف العرب ، فاغتالوا رئيسها الاب ما مير الانتقالى .

الكتيبة الثالثة تفشل في الوصول الى اهدافها

وفي ٢٢ ايار وصلت الكتيبة الثالثة ، يقودها اللفتانت كولونيل نيومن J. G. Newman(١) يساعده اثنان – احدهما انكليزي هو الميجر هنكن تورفن Hankin Turvin والثاني عربي هو الرئيس خالد المجلي(٢) . انها من الكتائب التابعة للواء الاول الذي يقوده الكولونيل غولدي H. D. B. Goldie

جاءت هذه الكتيبة من سهل عسكر . فدخلت القدس عن طريق شعفاط ، وحطت رحلها على جبل المشارف (سقوبس) . وكان مجموع رجالها الفاً . ثلثاهم مسلحون ، والثلث الاخر طهاة وخدم وكتاب غير مسلحين . فاذا اضيف اليهم رجال الجهاد المقدس ، ومن تبقى من جنود جيش الانقاذ ، والمتطوعون الاردنيون : وقد قدر عددهم في هذا القطاع يومئذ بخمسمئة ، يكون عدد المقاتلين هنا قد بلغ الفاً ومئتين وخمسين مقاتلا .

وتلقت هذه الكتيبة ، فور وصولها الى جبل المشارف ، امراً بالزحف صوب المدينة ، على ان تبلغ في اليوم نفسه هدفها المنشود ، الا وهو النوتردام على طريق سليمان ، ثم ساحة اللنبي وبنك باركلس على طريق القدس – يافا .

---

(١) اقرأ ما قاله لي هذا القائد عن كتيبته التي كانت على استعداد للزحف قبل هذا التاريخ ، وذلك عندما زحفت بعض سرايا الجيش العربي في ١٩ ايار .

(٢) من الحرشان . قتل اثناء الهدنة الثانية في حي الثورى .

فتقدمت سريتان من سراياها وكانت الساعة قد دقت الخامسة صباحاً ـ واحدة عن طريق دور جار الله ـ دار اسعاف النشاشيبي ـ صديق شمعون ـ وادي الجوز بـاب الساهرة ـ باب العمود . وهي السرية الثانية يقودها الملازم الاول عيد اديلم . والاخرى عن طريق دور جار الله ـ الجسر ـ مسجد الشيخ جراح ـ قبور السلاطـين ـ مدرسة المطران ـ سعد وسعيد ـ باب العمود . وهي السريـة الرابعة يقودهـا الملازم الاول غازي حربي(١) .

وكان مع الكتيبة يومئذ سرية من المدرعات الثقيلة مؤلفة من ثماني عشرة مدرعـة يقودها الملازم الاول زعل رحيل(٢) ، وسرية اسناد مؤلفة من مدافع المورتر ـ اربعة منها من عيار ثلاث بوصات ، وستة ذات ستة ارطال ، واربعـة رشاشات ثقيلة من طراز فيكرز يقودها الملازم الثاني فندي يوسف عميش(٣) .

وضلت فئة من المدافع المضادة للدبابات ، التابعة للسرية المساندة طريقها ، فسارت عن جهل في اتجاه الهداسا . ولكنها مالبثت ان انقذت من لدن فئة اخرى من السيارات المدرعة التي ارسلت لانقاذها . وجرح احد رجالها قبل الانقاذ ، ثم توفي .

وضلت احدى المدرعات ايضاً طريقها عند مفترق الطرق امام مسجد الشيخ جراح . فسلكت الطريق المؤدية الى مياشورم بدلا من الطريق الموصلة الى باب العمود . وعندما وصلت هذه الى نقطة قريبة من مخفر البوليس عند البوابة المعروفة بمندلباوم ؛ تلقاهـا اليهود بنار حامية من مدافعهم الرشاشة فقتل في الحال الملازم الثاني محمد نجيب بركات . كما قتل سائق المدرعة ، ومامور اللاسلكي . ودمرت المدرعة . وجاءت بعد قليل مدرعتان اخريان لانقاذها . فتلقاهما اليهود بنار حاميـة . واعطبوا احداهما عندما اقتربت من مفرق الطرق بين مدرسة المطران وعمارة الاوقاف . وقتلوا اثنين من جنودها . ونجت الثانية ، فرجعت بعد ان اشتبكت مع اليهود في قتال كانت نتيجته تدمير احد الاستحكامات اليهودية . وكان فيها قائد سريـة المدرعات الذي ذكرناه في الاسطر المتقدمة . وفيما كانت الكتيبة الثالثة تحارب في قطاع باب العمود كانت بعض سرايا الكتيبـة الخامسة

(١) من عشيرة حرب بنجد .

(٢) من بني صخر

(٣) من الحصن .

ترابط في حي الشيخ جراح ، وبعض سرايا الكتيبة الثانية في شعفاط .

وكان هناك فريق من المناضلين الفلسطينيين يرابطون عند قبور السلاطين، وعددهم خمسة وثلاثون . وقد انقذوا بعض الجنود، كما انقذوا ثلاثين صندوقا من الذخائر كانت في المدرعات التي اعطبها الاعداء ، ومدفعي هوشكس ، ومسدسين . واعطبوا مدفعاً كان في احداها لئلا يستعمله اليهود . وقتل احد هؤلاء المناضلين عند ما كان يقوم باعمال الانقاذ . ووقف الفريقان ، اليهود والمناضلون الفلسطينيون ، وجهاً لوجه يتبادلون النار عند مفترق الطريق الكائنة بين مدرسة المطران وعمارة الاوقاف ، بينما كانت المدرعات تواصل سيرها . وكانت المدافع ايضاً اثناء هذا الزحف تعمل عملها ، فتقصف الاحياء اليهودية قصفاً شديداً . ودام القصف طول النهار . ودمرت عمارات كثيرة(١) .

ورغم المقاومة الشديدة التي ابداها اليهود المتحصنون في المستشفى الايطالي والمرتفعات المسيطرة على الطريق العام ، تمكن الشطر الاكبر من رجال الكتيبة الثالثة من الوصول الى باب العمود ، وبعبارة افصح الى مفترق الطرق المؤدية الى باب العمود وباب الساهرة ، ولكنهم لم يستطيعوا التقدم نحو الهدف المنشود ، لان اليهود المتحصنين في المستشفى الايطالي المتقدم ذكره وفي المستشفى الافرنسي والنوتردام كانوا مسيطرين على ذلك القطاع سيطرة تامة ـ من المصرارة الى باب العمود فباب الساهرة . وكانت اسلحتهم

---

(١) عندما وصف الكاتب اليهودي Harry Levin في الصفحة ١٩٣ من كتابه Jerusalem Embattled قصف المدافع العربية في هذا اليوم والتوفيق الذي اصابها في اصابة اهدافها قال انه كثيراً ما رأى ، هو وصحبه اشارة تطلق في الهواء من جانب المكان الذي اتخذته المدافع هدفاً . مما حملهم على الاعتقاد ان القدس طافحة بالجواسيس الذين كانوا يعملون لحساب العرب . لا فرق في ذلك بين المان ويوغوسلافيين ، او يهود اقحاح ، او يهوديات توطدت بينهن وبين الشبان العرب صلات الحب .

وذكر الكاتب ، على سبيل المثال تسع سيدات اوقفهن رجال الهاغانا بتهمة التجسس ، قائلا أن التهمة ثبتت عند المحاكمة ضد اثنتين منهن وذكر ايضاً ان امرأة يهودية تدعى Eva Dukas جاءت الى فلسطين من تشيكوسلوفاكيا اثر الاضطهاد الذي نزل باليهود على يد هتلر . ولما راحت تبحث عن عمل في الاوساط اليهودية لم يستطع احد ان يستخدمها لجهلها اللغة العبرية . . وعاشت ردحاً من الزمن فريسة الحاجة ، الى ان اجتمعت برجل انكليزي . فتحابا . واستخدمها في مصلحة الاستخبارات السرية .

مؤلفة من بنادق مختلفة الاجناس ، ومن رشاشات المانيـة ، وراجمات للالغام ، وكان لديهم عدد من مدافع المورتر من عيار ثلاث بوصات .

ولقد تبعثر افراد الكتيبة عندما وصلوا الى قطاع باب العمود - فبينما كان فريق منهم (السرية الرابعة يقودها الملازم الاول غازي حربي) يهاجم النوتردام ، دخل فريق اخر (السرية الثانية) البـلدة القديمة . مـن باب العمود ، فجاءوا الى الباب الجديد ، وراحوا من على السور يؤازاون السرية الرابعة في هجومها على النوتردام وكان عـدد هذا الفريق ثلاثين ، يقودهم الملازم الاول محمد النعمان . وادخلت ، في الوقت نفسه ، اربعة من المدافع القوسية الى البلدة القديمة عن طريق باب الساهرة ، فنصبت في ساحة بستان الاطفال التابع للجالية الاميركيـة خلف السور عند الباب المذكور . ولم يبق في مركز الكتيبة سوى عشر سيارات مدرعة ، ومدفع مضاد للدبابات ، وست سيارات كبيرة - واحدة للعتاد وخمس لنقل المشاة . وكذلك كان الوضع عندما غربت شمس ذلك النهار (٢٢ أيار) .

ولما رأى القائد انه لا يستطيع تنفيذ الخطة التي رسمت له بهـذا المقدار الضئيل من الاسلحة والاعتدة والجنود ، اتى برجاله الذين ابقاهم في قلندية على سبيل الاحتياط ، فاضافهم الى المقاتلين (٢٣ أيار) واشترك في القتال يومئذ ثلاث مدرعات ، ومدفعان مضادان للدبابات وثلاثة مدافع قوسية ، وعدد من الرشاشات . ودام القتال طيلة ذلك النهار ، والليل الذي تلاه . وكانت المدافع تقذف حممها بمعدل سبع قنابل في الدقيقـة الواحدة . ولكن تقدم الجنود المشاة كان بطيئاً . ذلك لانهم لم يكونوا معتادين عـلى حرب الشوارع . وكان التعب قد اضناهم . ولقد قتل في المعركة قائد السرية الثانيـة الملازم الاول عيد اديلم . كما قتل ستة اخرون من جنوده . وجرح تسعة وعشرون . واحرقت سيارة اسعاف . واصيبت احـدى المدرعات ، عندما اقتربت من عمارة النوتردام ، بالرصاص ، فاحترقت . وقتل ايضاً من اليهود عشرة ، واسر خمسة ثبت بعدئذ انهم من اصل روسي . ورغم انهم كانوا في المنزل الذي اطلقت منه النار عـلى الضابط الشهيد عيد اديلم ، فان الجيش لم يصبهم بأذى .

وما لبث القوم ان سمعوا في صبيحة اليوم التالي (٢٤ ايار) ان الملازم الاول غازي حرب دخل مع فئة من رجاله يقدر عددهم بخمسة وثلاثين مقاتلا (السرية الرابعـة) الطابق الارضي من النوتردام ، وفيما كان يقاتل الاعداء الذين انسحبوا الى الطابق العلوي

والمتحصنين في الاجنحة الاخرى اتاه الامر من قائده الميجر هنكن تورفن بالانسحاب: فانسحب وقتل ثمانية عشر رجلا من رجاله اثناء الانسحاب ، تاركا وراءه جثث اربعة من الشهداء . وكان اليهود المتحصنون في النوتردام مزودين بالمدافع الرشاشة والمدافع القوسية (المورتر) ومدفعين مضادين للدبابات من طراز فيات:

وفي قول اخر ان الامر الذي اصدره القائد يقضي بالانسحاب اذا لم يكن غازي قد احتل النوتردام . وقد جاء فيه ما يلي - « اذا جاءك الامر وانت في النوتردام ، فابق بها . والا فارجع » . وكان ماكان . وتحدث موظفو اللاسلكي من رجال الجيش الى بعض المناضلين فقالوا انهم سمعوا قائد الفرقه لاش بك وهو يشكو غازي الى قائد الجيش غلوب باشا ، قائلا انه رفض الانسحاب . فامره هذا أن يقطع عنه المؤونة والعتاد ، اذا لم ينصع لامره . وهذا ما وقع . ولولا ذلك لعصى غازي الامر ، ولم ينسحب (١) .

---

(١) غضب المقدسيون لعمل القائد الانكليزي ، ولامره الذي اصدره بانسحاب غازي وجنده من النوتردام . واعتبروا ذلك دليلا على نيته السيئة ، ونية قومه الذين لا يريدون ان يتقدم العرب في هذا القطاع ، وكانوا يسيرون فيه وفي القطاعات الاخرى على خطط مرسومة تقضي بالوقوف عند حد معين

ولقد ادين الملازم الاول غازي ، بعد ذلك ، من لدن محكمة عسكرية . ونقل من فلسطين . فاستقال من الجيش والتحق بالملك عبد العزيز آل سعود في الرياض . وقيل انه ادين بسبب حادث اخر مماثل لهذا الحادث وقع بباب الواد .

حدثني صديق من ضباط الجيش العربي ان الخلاف كان مستحكماً بين غازي حربي وبين قائده الميجر (هنكن تورفن) ، وان هذا الخلاف اشتد عندما ساعد غازي جماعة من المناضلين تطوعوا للعمل في احدى المعارك ، فاعطاهم (ناراً ساترة) : فوبخه القائد . ولم يطق غازي صبرا . فثار عليه وصفعه . وفي قول انه كاد يعتزم اغتياله : لولا ان منعه اصدقائه . ولما ايقن قائد الجيش غلوب باشا انه (اي غازي) ينوي الشر نقله من فلسطين . واجازه مدة شهرين ، قضاها في الزرقاء . وقبل انتهاء اجازته ارسل اليه الملك عبد العزيز ال سعود رسولا يستدعيه اليه . وقد استخدمه في جيشه . وهو الان المرافق الخاص للملك وقائد سرية الحرس الاولى (١٩٥٢) .

يقول محدثي (محمد بك النعمان) ان النائب (الجاويش) سند ناصر وهو من بني صخر ، كان يرافق الملازم الاول غازي حربي عندما احتل هذا النوتردام وهو الذي رفع العلم العربي على تلك العمارة وانه (اي سند ناصر) لاقى حتفه في تلك المعركة ، ودفن في حي الشيخ جراح . . في بقعة من الارض على مقربة من دار العارف من الشمال .

واعتذر الانكليز وانصارهم ، فزعم فريق منهم انه لولا الامر الذي اصدروه لغازي لقتل هو وابيد

وكان مقرراً ان توجه المدافع التي نصبت خلف السور عند باب الساهرة نيران قنابلها المحرقة على المواقع اليهودية في المستشفى الايطالي وعلى طريق يافا ، كما كان مقرراً ان تطلق المدافع الثقيلة المنصوبة في بيت حنينا حممها على خط الدفاع اليهودي الممتد من سنهدريا الى النوتردام . الا انها ، لسبب من الاسباب نجهلها ، لم تفعل وكان عشر من الدبابات والمصفحات قد تقدمت عن طريق باب العمود والباب الجديد فوصلت الى ميدان اللنبي ، الا انها عادت ، فقفلت راجعة عندما تخلف المشاة عن اللحاق بها .

وهكذا عدلت الكتيبة الثالثة عن خطتها (٢٤ ايار) . ولم تعد تفكر في احتلال النوتردام ـ هذا على الرغم من أن خسارتها في هذا القطاع لم تكن قد تعدت الى الآن واحداً وثلاثين قتيلا وتسعة وخمسين جريحاً . واضيف اليها في ٢٧ ايار خمسة وتسعون مقاتلا .

ومن المؤسف ان نقول انه لم يكن ثمة أي تعاون بين الكتيبتين ، السادسة والثالثة فما كانت احداهما تعرف شيئاً عن الاخرى (١) ، وكثيراً ما كان جنود هذه الكتيبة يهربون لينضموا الى صفوف اخوانهم في الكتيبة الاخرى .

أضف الى ذلك ان الناحية العربية ما كانت تخلو من الجواسيس والعيون التي بثها الاعداء ، فقد ذكر الكولونيل نيومن في تقرير له عن معارك هذا القطاع انه وجنده كثيراً ما رأوا شارات حمراء ترسل الى الاعداء من على سطح دار القنصلية البريطانية . تلك الدار القائمة عند مفترق الطرق الى الشمال من باب العمود . وكثيراً ما كانت الطائرات اليهودية تظهر في ذلك القطاع بعد ظهور الشارات ، فتلقي قنابلها هنا وهناك . الامر

جميع رجاله . اذ ما كان بامكان قادة الجيش يومئذ ان يمدوه بالعتاد والمؤن . وزعم اخرون ان المؤن والذخائر ارسلت اليه في احدى المدرعات . ولكن اليهود دمروها قبل ان تصله . « يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم . قل لا تعتذروا ، لن نؤمن لكم . قد نبأنا الله من اخباركم . وسيرى الله عملكم ورسوله ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة . فينبئكم بما كنتم تعملون . سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم . فاعرضوا عنهم ، انهم رجس ، ومأواهم جهنم ، جزاء بما كانوا يكسبون . » سورة التوبه الاية ٩٤

(١) حدثني اللفتانت كولونيل نيومن ، قائد الكتيبة الثالثة ان الاتصال بينه وبين زميله عبد الله التل كان ضعيفا . وانه ما كان يعرف عن الحركات القائمة بالبلدة القديمة شيئاً . وقال لي عبد الله التل ، قائد الكتيبة السادسة ، انه ما كان ثمة اي ارتباط بينه وبين نيومن .

الذي حدا به لتوجيه خطاب شديد اللهجة الى رجال القنصلية قائلاً انه سوف يضطر لاتخاذ الشدة (؟) فيما اذا تكرر هذا العمل ، ولم يتكرر .

موقف الجيوش العربية بعد اسبوع من بدء القتال

●

لم يتمكن الجيش اللبناني من التقدم اكثر مما فعل في اليوم الاول ، اذ وقف على الحدود متخذاً لنفسه خطة الدفاع .

وتوقف الجيش السوري بعد ان احتل سمخ لا بل انه عاد فانسحب منها امام دفع العدو القوي في دجانيا :

وجابه الجيش العراقي مقاومة عنيفة في قطاع جسر المجامع ، فانتقل الى قطاع السامرة .

وانهمك الجيش العربي الاردني في محاولته لاحتلال الحي اليهودي في القدس . ولم يقم بالحركات المطلوبة منه ؛ لا ، ولا سار في اتجاه جنين ، فالعفولة .

وبقي الجيش المصري في المنطقة العربية بين غزة والمجدل وبئر السبع والخليل .

خمس طائرات مصرية تغير على اهداف يهودية ، فتسقطها الطائرات البريطانية

●

في ساعة مبكرة من صباح اليوم الثاني والعشرين من شهر ايار سنة ١٩٤٨ ، اصدر قائد الجناح محمود صدقي المليجي امره الى خمسة من طياريه هم قائد السرب عبد الرحمن عنان ، والطيار الاول سعد صادق ، والطيار الاول تحتمس كامل غبريال ، والطيار الثاني عبد الكريم محرم ، وقائد السرب نصر الدين زغلول ، كي يقوموا بغارة على اهداف يهودية ذكرها في الامر ، وغادر الطيارون من فورهم مطار العريش ، وما كادت طائراتهم ، وعددها خمسة ، تقطع مسافة قصيرة في الجو حتى رأى قائد السرب ان من المستحيل مواصلة التحليق بسبب رداءة الطقس وشدة العواصف وكثافة الغيوم وعدم رؤية الهدف . ولهذا عادت الى مطار العريش بعد ان اكتفت بقصف عدد من المستعمرات اليهودية في النقب .

ولما كانت الاوامر تقضي بقصف المدن اليهودية من الجو في ذلك النهار ، فقد صدر الامر اليها مرة اخرى ان تطير ، فطارت في اليوم نفسه وبلغت اهدافها . ولكنها ـ على

ما يظهر - ضلت هذه المرة سبيلها ، فراحت تحلق في منطقـة كان الانكليز لا يزالون مرابطين فيها ، ولم يكونوا قد انسحبوا من ثغر حيفا بعد (١) وكانت المنطقة التي اقتحمتها الطائرات المصرية قريبة من المطار المعروف بـ (رامات ديفيد) . فتصدت لها المدافع والطائرات البريطانية واسقطتها جميعها . قال احد الطيارين (عنان) (٢) انه رأى بعينه علامة الطيران البريطاني على جسم الطائرة التي لحقته فاسقطته ،

اثنتان منها سقطتا في المنطقة الانكليزية ، ودفنت جثتا اثنين من طياريها في حيفا والثالثة سقطت في ارض عربية ، ودفنت جثة قائدها الطيار الاول سعد صادق ايضاً في حيفا . وسقطت الرابعة في المنطقة اليهودية ونجا قائدها الطيار الاول عبد الرحمن عنان ، فأسره اليهود ثم اعادوه بعد الهدنة الى مصر . وكذلك قل عن الطيار بشاره كامل بشاره وأما الطائرة الخامسة فما عرف احد شيئاً عن قائدها وهو الطيار الاول تحتمس كامل غبريال . لا ، ولا علم شيء عن الطيار الثاني عبد الكريم محرم ، وقائد السرب نصر الدين زغلول .

ظل الاسرى في معتقل (جليل) الى ان امضيت اتفاقية الهدنة الدائمة بين مصر واسرائيل وفرضت هذه الاتفاقية على الفريقين تبادل الاسرى ، فعاد المصريون الى وطنهم وكان ذلك في اوائل شهر مارس سنة ١٩٤٩ .

ويؤكد قائد السرب عنان انه ورفاقه الاسرى عوملوا من قبل اليهود معاملة سيئة لا لا تتفق مع اتفاقية (جنيف) وان اليهودي الذي اسره خطف منه المصحف الذي كان يحمله ، فرماه ارضاً ، وراح يدوسه بقدميه بعصبية وحقد ظاهرين .

فرقة التدمير تصول في البلدة القديمة

●

في ٢٣ ايار ١٩٤٨ جاء ستة من الفدائيين المنتمين الى فرقة التدمير العربية بقيادة الشاب كاظم المغربي : جاءوا حاملين الالغام . فانضموا الى المقاتلين من رجال الجيش العربي . وكانوا اربع فئات : - فئة من السرية الثامنة بقيادة النائب ضحوي ربيدي ، واخرى من سرية الامن بقيادة الوكيل مصطفى ابراهيم الشوبكي ، وثالثة من سرية منكو بقيادة

---

(١) اقرأ ما كتبناه من بقاء قسم من القوات البريطانية في ميناء حيفا بعد انسحاب البريطانيين من البلاد في ١٥ ايار .

(٢) اقرأ كتابه (كنت اسيراً) طبع في مطبعة مصر عام ١٩٥٦

الرئيس بركات طراد، ورابعة من المناضلين الفلسطينيين بقيادة حافظ بركات. وقام هؤلاء بهجوم على اليهود في داخل الحي، وتمكنت فرقةالتدميرمن بث الالغام في المواضع المقررة. فانفجرت في وقتها. ونسفت دارين كان فيها عدد كبير من اليهود. فدكتا دكاً. وقتل من فيها من المقاتلين.

ولقد حدثني احد قادة المناضلين (١) ان فرقة التدمير الحربية صنعت يومئذ لغما كبيراً (٢) وضعته في برميل سعته اثنتا عشرة صفيحة، حمله اربعة من رجال بيت المقدس الاشداء في حمالات على اكتافهم. ونسفوا به الكنيس اليهودي الكبير (٣) فانهار نصفه وبقي النصف الآخر منتصبا، وقد اكد لي محدثي انهم ما كانوا ليقدموا على هذا العمل لولا ان اليهود كانوا قبل ذلك، قد استعملوا الكنيس وكراً يلجأ اليه قناصتهم. ومنه يطلقون القنابل المعروفة بالسلبند على الحرم الشريف. ولطالما فعلوا مثل هـذا الفعل. وقتلوا عدداً غير قليل من النساء والاطفال ولقد انذر المناضلون العرب، اليهود قبل نسفه بمكبرات الصوت وباللغة العبرية، انهم اذا لم يرتدعوا عن ايذاء المصلين بالحرم فسيضطرون لنسف كنيسهم. ولما لم يرتدعوا، نسفوه على من فيه. ونسف اليهود في اليوم نفسه، كنيسه راهبات السجود عند الباب الجديد.

وفيما كان القتال قائماً في المدينةالقديمةمن باب الخليل الى الباب الجديد الى باب العمود كانت المدافع تقصف بشدة الاحياء اليهودية في المدينة الجديدة، ووصلت الحالة عند الظهيرة الى درجة لا تطاق. وامتلات المستشفيات اليهودية والعربية بالعدد العديد من الجرحى والقتلى الذين لاقوا حتفهم في الميدان (٤) وظل دوي المدافع يصم الآذان من الساعة الخامسة مساء حتى الساعة السادسة والنصف مساءً.

واصدر مجلس الامن قراره بوقف القتال.

---

(١) احمد الظاهر الديك من دير ابي سعيد. كان من افراد جيش الانقاذ؛ ودخل القدس مع فوج اليرموك الثالث. ولما حل هذا الجيش التحق بالجيش العربي.

(٢) قيل ان مثل هذا اللغم استعمل في نسف الكنيس الصغير قبل سقوط الحي بعشرة ايام. وهو الكنيس المعروف بالاستانبولي. وكان مخصصاً لصلاة السفراديم من ابناء البلد. انه واقع تحت سطح الارض الى الشرق من مسجد المسلمين.

(٣) هذا الكنيس واقع في منتصف حارة اليهود. ويسميه اليهود (طبلا) والعرب (المطبل). انه يقوم على ربوة مرتفعة، ويسيطر على الحرم القدسي وعلى حي المغاربة وسلوان. ولطالما تصيد اليهود منه المصلين الذين يرتادون الحرم للصلاة. انه اكبر من الكنيس المعروف بـ (قدس الاقداس).

(٤) بلغ عدد القتلى العرب في ذلك اليوم (٢٣ ايار) احد عشربين مناضلين ومدنيين— ستة منهم اردنيون والباقون من القدس.

اشتداد القتال في المدينة

وفي ٢٤ ايار ١٩٤٨ قذفت مدافع الكتيبة السادسة حممها على الحي اليهودي في البلدة القديمة . وذاق سكان هذا الحي الامرين من جراء قلة الماء والمؤن والذخيرة ثم راح المشاة يتبادلون النار مع الاعداء ، ونسفوا مصنعاً يهودياً للحديد . الا انهم لم يتقدموا تقدماً يذكر . وجرح يومئذ اربعة من الجنود اثر سقوط قنبلة من نوع (السلبند) قذف بها اليهود من اوكارهم . كما جرح راهب من رهبان الفرير برصاصة اصابته في قلبه . الا ان الاطباء العرب اسرعوا ، فانقذوه .

واستبدل المتطوعون الاردنيون الذين اشتغلوا بالنهب عند الباب الجديد ، وفي اكثر احياء المدينة ، بجنود نظاميين . وكان عدد القتلى في ذلك اليوم خمسة ــ اثنان منهم ادرنيان ، وثلاثة مقدسيون .

وفي ٢٥ ايار صد العرب هجوماً قام به اليهود على باب النبي داود واستعملوا فيه القنابل المحرقة . وهاجمت فئة اخرى منهم الحي اليهودي فنسفت بيتين كان اليهود فيهما متحصنين ، واحتلوا بيتين آخرين . فانشطر اليهود الى شطرين . واستولى الفزع عليهم ، وطلب العرب منهم ان يسلموا ، الا انهم ابوا . وحلقت في سماء الحي طيارة يهودية تحمل للمحصورين الطعام ، وكان الوقت ليلا . الا انها اخطأت الهدف ، فاستولى العرب على ما انزلته الطائرة .

وهاجم اليهود ، في الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم ، حي الشيخ جراح ، كما هاجموا الباب الجديد ، وكادوا يقتحمونه ولغموا دير القربان وانفجر اللغم فاحترقت كنيسة الدير الامر الذي احدث ارتباكاً وذعراً بين السكان والرهبان . وما كاد الليل ينتصف حتى كان معظم السكان القريبين من ذلك الباب قد غادروا منازلهم ، واحتموا بالاديار القريبة منهم كدير الروم ودير اللاتين ، الا ان الجيش العربي جاء بعد قليل بنجدات جديدة ، وراح يعمل بالاشتراك مع المناضلين الفلسطينيين ، على صد المعتدين . واتى ، في الوقت نفسه ، بمدفع من مدافعه الكبيرة من عيار (٢٥) رطلا . من بيت حنينا الى باب الساهرة . فنصبه في الساحة الكائنة بين المدرسة الرشيدية ومقبرة باب الساهرة وراح القائمون على قيادته (الملازم ديب علاوي والوكيل احسان الحلواني) من هناك يتصفون اليهود المتحصنين في النوتردام ، وعلى جبل الزيتون ، فقتلوا منهم

خلقاً كثيراً ، واحدثوا في واجهة النوتردام من الشرق وفي ابراجها ثغرات واسعة للغاية، وسقطت قنبلتان من قنابله عند مدخل الدار التي اتخذتها الهاغانا مقراً لها ، وكانت هذه على مقربة من دار الوكالة اليهودية ودام قصف المدافع العربية حتى منتصف الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وفيما كان المدفع في طريقه الى باب الساهرة ، اطلق اليهود عليه رصاص مدافعهم الرشاشة فأعطبوا عجله، وعطلوه عن السير مدة عشر دقائق . وفيما كان الجند يستبدلون العجل ضربت المدرعة العربية التي كانت تقوم بمهمة الحراسة الوكر اليهودي الذي جاء الضرب منه . وكان على مسافة مئتي متر من الطريق ، فدمرته تدميراً تاماً ، وسقط على من فيه ، وسقطت في الوقت نفسه قبة الكنيس الكبير في البلدة القديمة نتيجة للنسف الذي قام به العرب في الليلة السابقة . وفيما كان المدافع يقوم بعمله في الساحة التي وضع فيها قام اليهود بسد الطريق التي جاء منها . سدوها بمدفع صاروخي مضاد للدبابات نصبوه هناك . وبهذا سيطروا على الطريق وحالوا دون مرور المدافع والجند منها طيلة ذلك النهار . فاضطر رجال الجيش لارجاعه (اي المدفع الكبير) الى موضعه الاصلي في بيت حنينا عن طريق اريحا وغور الجفتلك ونابلس ورام الله .

وجاءت ، قبل منتصف الليل ، طائرة يهودية ، فألقت قنابلها على مدرسة البوليس في جبل سقوبس ، ودام تبادل النار بين مدافع الفريقين الليل بطوله .

ان جميع هذه المحاولات التي قام بها اليهود ، في ٢٤ ايار وفي اليوم الذي تلاه ، كانت عبارة عن محاولة المستميت ، او الرجل المشرف على الغرق وكان اليهود يهدفون من ورائها الى اقناع العرب بأن وقف القتال والرضوخ لقرار مجلس الامن فيه مصلحة لهم اكثر من اليهود .

ولكن محاولاتهم هذه باءت بالفشل .

اليهود يقبلون الامر بوقف القتال ، والعرب يرفضون

●

وفي ٢٤ أيار اصدرت حكومة اسرائيل امرها بوقف القتال . ولا بدع ، فانهم – كما قلنا في غير هذا المكان ايقنوا ان الحي اليهودي في البلدة القديمة لا محالة ساقط ، وان الوضع في المدينة الجديدة لا يزال خطراً بسبب الحصار الذي فرضه العرب ، وقلة الماء والمؤن. ولم يكن لديهم من السلاح ما كان لدى العرب. ولهذا رحبوا بالهدنة ، واعتبروها

(بابا فتح لتحقيق حلم ذهبي .) وقال قائل(١) منهم : انها اي الهدنــة الشعاع الوحيد الذي كان في مقدوره ان ينعش الامل في صدورهم .

واما العرب فقد رفضوا ذلك قائلين : انهم ليسوا على استعداد لوقف القتال ؛ الا اذا عدل اليهود عن فكرتهم في تأسيس دولة يهودية . وفي ٢٦ أيار ارسلوا الى مجلس الامن جوابهم بهذا المعنى . ولم ينتظروا ليأتيهم الجواب من مجلس الامن . بـل قذفوا الى الميدان بقوات جديدة . وفيما كان مشاتهم يزحفون صوب اللطرون. كانت مدافعهم تقصف الاحياء اليهودية في القدس الجديدة وكان القصد من هذا القصف منع اليهود من ارسال نجدات الى حيهم في البلدة القديمة . وكان الموت يحصد اليهود حصداً. وامتلات المستشفيات بالجرحى . فاضطر الاطباء لوضع كل جريحين في فراش واحد .

فتوترت اعصاب اليهود ، وساد الجزع في اوساطهم : قصف متواصل . وموت وحرائق . وجوع . وعطش . واخبار لا تنقطع عن اجتياح الجيوش العربية للبلاد .

معارك اليوم الخامس والعشرين من شهر ايار (٢)

●

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ أيار استمرت المعارك في خارج الاسوار . وقام اليهود بمحاولات مستميتة لانقاذ اخوانهم المحصورين في الحي اليهودي بالمدينة القديمة . ولكنهم صُدوا . وسقطت قنبلة في دير الأرمن الارثوذكس ، فقتلت عـدداً من اللاجئين وجرحت كثيرين وقيل ان عدد القتلى ثمانية والجرحى مائة ونسف اليهود الواجهة الامامية لدير القربان ، وسدوا بركامهـا الطريق ، قاصدين الحيلولة دون مرور العرب من ذلك المكان . واستمرت المدافع العربية تضرب الاحياء اليهودية ، وظل الدخان يتصاعد من كل مكان طيلة ذلك النهار . ودب الرعب في افئدة اليهود في داخل السور وفي خارجه . اما الذين في داخل السور فقد اصبحوا على وشك الاستسلام . وامـا الذين في خارجه فقد كادوا يموتون جوعاً وعطشاً .

---

(١) « Jerusalem Embattled Harry Levin, P 195

(٢) من مذكرات المونسنيور جبرائيل ابي سمعدى النائب البطريركي للروم – الكاثوليك . كان في اثناء القتال في دار البطريركية القريبة من باب الخليل ، وكان يدون مذكراتـه يوماً فيوماً في سجلات البطريركية

وسقطت في النهار قنبلة على كنيسة القيامة فحرقت القبة الكبرى كما سقطت قنابل اخرى على بعض الاديار . ولكنها لم تصب باضرار كبيرة ، خلا دير القربان والنوتردام اللذين كانا على مقربة من ساحة القتال . ومن العمارات التي اصيبت باضرار بالغة في ذلك النهار السجن المركزي وبعض البنايات القائمة في المكان المعروف بالمسكوبية .

وحلقت في سماء القدس القديمة طائرة يهودية قاصدةً ان تلقي حمولتها من ذخائر ومؤن الى اليهود المحصورين في الحي القديم . الا ان العرب حالوا دون بغيتها . وكان الليل قد انتصف . فالقت بكيسين : وقع احدهما في مقبرة الروم على جبل صهيون ، وسقط الثاني عند باب الخليل . فغنمه العرب .

واعادت الطائرة اليهودية الكرة في مساء اليوم التالي (٢٦ أيار) . فالقت خمس رزم . التقط العرب منها ثلاثاً . وكانت ملأى بالذخائر .

نسف المنازل اليهودية في البلدة القديمة

●

وفي ٢٦ أيار ١٩٤٨ قصفت المدافع العربية الحي اليهودي من مراكزها في رأس العمود(١) ودام القصف ربع ساعة . ثم تقدم المشاة ومعهم رجال فرقة التدمير العربية حاملين الالغام . وتمكن هؤلاء من نسف عشرة منازل يهودية وبعض الاستحكامات التي كان الاعداء متحصنين فيها . ويظهر ان قادتهم خشوا ان يستولي اليأس عليهم فقاموا بهجوم معاكس ، واشترك في هذا الهجوم عدد اكبر(٢) من عدد العرب

---

(١) قيل ان القصف كان يومئذ من المصفحات التي ادخلت الى البلدة القديمة عن طريق باب الاسباط في الواحد والعشرين والثاني والعشرين من الشهر .

(٢) حدثني عدد كبير من المجاهدين العرب ان عدد اليهود المقاتلين في الحي اليهودي ما كان يقل في يوم من الايام ، بعد ان انقطع ذلك الحي عن الاحياء اليهودية الاخرى خارج السور في ١٤ أيار ، عن ٥٠٠ مقاتل . بينما يقول مناحيم بيغن في الصفحة ١٦٠ من كتابه The Revolt ان الحامية اليهودية في ذلك الحي كانت عبارة عن ثلاثمئة مقاتل : مئتان من الهاغانا ومئة من الارغون . وان هؤلاء اي رجال الارغون كان يقودهم (جدعون) الثالث . وان اسلحتهم قليلة . وان جدعونا هذا انشأ في الحي معملا لصنع القنابل اليدوية .

المهاجين . واشتبك الفريقان في قتال مرير دام حتى المساء . وما كاد النهار يولي الادبار حتى كان النصر معقوداً للعرب .

ولم يزد عدد العرب الذين قاتلوا اليهود يومئذ عن المئة : اربعون من رجال السرية الاولى يقودهم الملازم الثاني ابراهيم الشوبكي ، وثلاثون من سرية منكو يقودهم الرئيس بركات طراد ، وحظيرة من فئة التدمير التابعة للجيش العربي ، واخرى من فرقة التدمير العربية المقدسية ، والباقون من رجال الجهاد المقدس يقودهم حافظ بركات (ابو الفيلات) هذا طبعاً غير المناضلين الذين كانوا على الاسوار ، والجنود الذين كانوا يرابطون في طرفي المدينة من الشرق والشمال .

المصفحات العربية تجتاز شوارع المدينة القديمة

●

في ٢٦ أيار ، تمكنت المصفحات الاربعة الثقيلة التي قلنا انها وصلت الى المدينة في ٢١ و ٢٢ أيار ، من اجتياز شوارع المدينة القديمة ، رغم الازقة الضيقة والادراج والمنعطفات الكثيرة . ادخلها الجيش العربي بمساعدة خمسين من المناضلين من شباب بيت المقدس . فاجتازت طريق باب الاسباط ـ فالنزل النمساوي ـ فسوق باب العمود فسوق باب خان الزيت فالدباغة وسوق افتيموس القريبة من كنيسة القيامة ـ فحارة النصارى فدير الروم الارثوذكس ـ فبطريركية الروم الكاثوليك ـ فالساحة الكائنة امام قشلاق البوليس على مقربة من باب الخليل ـ فدير الارمن . فاستقبلها السكان بعاصفة من التصفيق . فوقفت اثنتان منها في الساحة المتقدم ذكرها بين باب الخليل ودير الارمن ، وزحفت الاخريان نحو الحي اليهودي عن طريق دير الارمن وباب النبي داود . انهما من المدرعات الثقيلة من عيار سبعة اطنان ، وفي كل واحدة منها مدفع من عيار بوصتين .

وما كادت هذه المدرعات تقف في المواضع المقررة لها حتى راحت تقصف المواضع اليهودية بنيران مدافعها فقويت معنويات الجندوالمناضلين. واصبح سقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة وشيكاً.

وخشي اليهود ان تجتاز هذه المدرعات الطريق الواقعة بين باب العمود والباب الجديد في طريقها الى باب الخليل من خارج السور ، فنسفوا – كما قلنا في حوادث امس – الواجهة الامامية لدير القربان ، وسدوا بركامها الطريق لئلا تتمكن المدرعات من اجتيازها . وراحوا يتحصنون في عمارة النوتردام . كما راحوا يقصفون العمارات العربية القريبة منهم بنيران مدافعهم . فسقطت احدى قذائفهم في دير الارمن الارثوذكس ، وجرحت تسعة اشخاص . كما سقطت اخرى على مقربة من بطريركية اللاتين، فحطمت الزجاج الملون في نوافذ الكنيسة .

وبلغ عدد القتلى من العرب ، في ذلك اليوم ، واليوم الذي قبله ، تسعة : اربعة منهم اردنيون ، ومقدسيان ، وثلاثة لم تُعرف هويتهم .

الطائرات اليهودية تغير على رام الله

●

ولما كان اليهود يعلمون ان النجدات كانت تزحف الى القدس والى باب الواد عن طريق رام الله، وكان الجيش العربي فضلاً عن هذا قد اتخذ هذا القطاع مقراً لقادته ومركزاً لحركاته وكانت ترابط فيه قيادة الفرقة الاولى فقد أغاروا عليها بطائراتهم وضربوا القيادة مراراً عديدة .

وحدثت الغارة الاولى على المقر في ٢٦ ايار . ثم عادت الطائرات اليهودية في اليوم التالي (٢٧ أيار) فأغارت على رام الله والبيرة . وكان هدفها الاساسي دار عودة التي اتخذها اللواء الرابع مقراً له . وكان فيه تلك الليلة الامير نايف نجل الملك عبدالله . واعادت هذه الطائرات الكرة في ٢٩ ايار . فاغارت على مدينتي رام الله والبيرة ، وعلى القرى الواقعة في شمال القدس ، والقت عدداً غير قليل من حممها . وكانت هذه الغارة من اكبر الغارات التي انصبت على تلك الجهات . وكان القصد منها تغطية الحركات القائمة على جبل الرادار .

احتجاج رؤساء الطوائف المسيحية (١)

●

في يوم الخميس الموافق ٢٧ ايار اجتمع في دار بطريركية الروم الكاثوليك بالقدس

(١) من مذكرات المونسيور جبرائيل ابي سعدى النائب البطريركي للروم الكاثوليك .

جميع رؤساء الطوائف المسيحية ، علـى اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ؛ وبحثوا الوضع الحالي ، وما اصاب الكنائس والاديار والاماكن المقدسة من اضرار بالغة من جراء طيش اليهود وقنابلهم التي كانوا يوجهونها لهذه الاماكن المقدسة بقصد تخريبها فقرروا بأجماع الآراء رفع احتجاجهم الى كل من له شأن في العالم من مدنيين ورؤساء اديان .

وفي اليوم التالي ، ٢٨ ايار ، اجتمعوا مرة اخرى ، وانتخبوا من بينهم لجنة عهدوا اليها بوضع صيغة الاحتجاج .

وكذلك فعل المسيو رينه نيوفيل قنصل فرنسا في القدس ، فقد احتج لدى اليهـود لضربهم الكنائس والاديار ، وخرقهم حرمات الدين والانسانية .

وفي ٢٩ ايار اجتمعت اللجنة المنتخبة . ووضعت بياناً مفصلا ذكرت فيه جميع الكنائس والاديار والاماكن المسيحية التي اصيبت باضرار من جراء المدافع اليهوديـة كما ذكروا اسماء الكهنة والرهبان الذين قتلوا من جراء ذلك .

ولقد وقـع على هـذا البيان رؤساء الطوائف المسيحية ، خـلا اثنين منهم ، لا يجمعها بالآخرين روابـط الجنس واللغة وهمـا رئيسا الارمن الارثوذكس والروم الارثوذكس .

وأرسلت برقيات الاحتجاج موقعـة من رؤساء الطوائف الكاثوليكية الى الكرسي الرسولي في يوم الاثنين الموافق ٣١ أيار .

ورفض رجال الصليب الاحمر نقل المؤن الى رهبان دير المصلبة في القطاع اليهودي من المدينة ، قائلين ان اليهود لا يرعون عهداً ولاذمة ، لا للصليب ولا للهلال .

سقوط حارة اليهود

●

في ساعة مبكرة من صبيحة اليوم السابع والعشرين من شهر ايار ١٩٤٨ القت طائرة يهودية بعض القنابل على الاحياء العربية . فسقطت احداها بالقرب من كنيسة القيامة ، وكان تأثيرها ضئيلا . فعل اليهود ذلك ليخففوا مـن ضغط المناضلين في الحي القديم : لان ذلك الحي كان في دور الاحتضار . وكانوا قد فشلوا في محاولتهم الاخيرة التي قاموا بها في الليلة الفائتة .

وقام حوالي مئتي عربي بمهاجمة الحي اليهودي بالبلدة القديمة ـ نصفهم من رجـال الجيش العربي . والنصف الآخر من رجال الجهاد المقدس . يتقدمهم خمسة وعشرون

شاباً من رجال فرقة التدمير العربية المقدسية حاملين الالغام. وراحوا يمطرون الاعداء بوابل من رصاص بنادقهم، وسيل من الالغام، والمدافع، وقابلهم اليهود بنيران مدافعهم من خارج السور.

وتظاهر فريق من المشاة، في بادىء الامر، كأنهم ينوون مهاجمة الحي من ناحيته القبلية. ولكنهم هاجموه من الشمال، وكانت حيلتهم هذه من التوفيق على جانب عظيم. فاسقط في يد الاعداء. وايقنوا انهم مغلوبون لا محالة. ولقد تهدمت أوكارهم بفعل الالغام. وتقدم المشاة، فاحتلوا جميع المنازل المجاورة للكنيس الكبير المعروف عند العرب بـ (قدس الاقداس (١) وكان اليهود قد تحصنوا في الكنيس المذكور، وراحوا يطلقون منه النار على العرب، رغم ان القائد عبد الله التل كان قد انذرهم بوساطة هيئة الصليب الاحمر الدولي ومندوبها الدكتور ليز طالباً منهم ان يغادروا الكنيس والا يتخذوه حصناً، ولما لم ينصاعوا لكلامة اضطر لاصدار الامر بهدمه. فهدمه رجال فرقة التدمير التي ذكرناها في الاسطر المتقدمة. وعثر المجاهدون بين انقاضه على نسخة من النسخ القديمة للتوراة (٢)، قال اليهود انها من اقدم النسخ الموجودة في العالم (٣)، ان لم تكن اقدمها طراً، وقدمها المجاهدون هدية للملك فاروق.

وكانت الساعة قد دقت الخامسة. وهذا ما جرى للكنس الاخرى (٤) التي طالما

---

(١) بني عام ١٧٠١ م. مخصص لصلاة السكناج (الاشكنازيم) ويسمونه (بيت يعقوب، اوحوروا) واقع في وسط الحي وعلى بعد خمسين مترا من مسجد المسلمين الى الشمال. دمر تدميرا تاما.

(٢) هذا ما قرأته في جريدة (حمص) بتاريخ ايلول ١٩٥١ نقلا عن الاستاذ حبيب جاماتي من مقال له في صحف مصر. ولم اسمع ذلك من افواه المجاهدين وقادتهم وقد كنت على اتصال بهم في اثناء القتال في الحى القديم.

(٣) اربعة: واحدة يحتفظ بها السامريون في نابلس. والثانية في دير القديسة كاترين والثالثة في اميركا والرابعة في كنيس قدس الاقداس بالقدس.

(٤) طبرت اسرائيل (على بعد ستين مترا من قدس الاقداس الى الشرق). طابيلا (المطبل) الى الشمال الشرقي من طبرت اسرائيل مدراش بورات يوسف (في اقصى الحي من الشرق، مطل على حي المغاربة والحرم).

مزغاب لادخ (جزء من المستشفى اليهودي المكنى بهذا الاسم) وهذا ايضا في اقصى الحي من الشرق الى الجنوب. الاستانبولي في طريق الساحة. الياهانافي (الخضر) الى الغرب من الاستانبولي. كنيس المغاربة (عند درج الطابون). توما توراة (ملاصق لكنيس المغاربة) كنيس القرائيين تحت الارض، بين المطبل وطبرت اسرائيل. بيت ايل (في طريق الساحة في بناية تخص ال الداودي (يو حنان بن زكاي) قبلي الاستنبولي والياهانفي

تحصن اليهود فيها وراحوا يطلقون منها النار على المسلمين والمصلين في الحرم ، ولم يمض على ذلك اكثر من ساعة او بعض الساعة حتى كانت الحرائق مشتعلة في كل مكان وكان العرب قد استولوا على الاسواق وما فيهامن مخازن ومنازل . ولم ينفع اليهود التجاؤهم الى حصنهم الاخير في كنيسهم الجديد الواقع في حارة السكناج والمعروف بـ (مدراش بوارت يوسف (١) اذ ان هذا ايضاً قد سقط بيد العرب ، بعد ان دمر تدميرا تاما . عندئذ راح اليهود يصيحون . اوقفوا القتال . انا نريد التسليم .

وانه ليجدر بنا ان نذكر هنا اسماء الضباط الذين اشتركوا في الحملة على الحي اليهودي في ذلك اليوم ، وهم الرئيس محمود الموسى وهو المسؤول عن ادارة دفة القتال وكان خاضعاً لاوامر القائدعبدالله التل ، والرئيس طراد والملازم فريدالقطب، والوكيل مصطفى ابراهيم الشوبكي ، والنائب ضحوي ربيدي ، والمناضل احمدالظاهر ، هؤلاء من رجال الجيش العربي ، واما المناضلون الفلسطينيون فقدكان على رأسهم حافظ بركات ، ومحمد منيب الدسوقي ، وصلاح الحاج مير ، وفؤاد الخطيب ، وكاظم المغربي ، وفوزي القطب ، كلهم من شباب بيت المقدس ، وقد امتدح القائد عبد الله التل ، في حديث له معي ، المناضلين الفلسطينيين ، واثنى على شجاعتهم الموروثة واخلاصهم المتين الى ان قال : « انه كان ينقصهم القادة والتدريب الكافي ، ومع ذلك فقد قاموا بواجبهم في معارك القدس حق القيام » .

وفي اليوم التالي الجمعة (٢٨ ايار) كانت الحرائق مشتعلة في كل ناحية من انحاء الحي اليهودي ، فجاء حوالي الساعة العاشرة صباحاً ، اثنان من الحاخامين يحملان علما

وبيت الدين ، وكوليل سفارادايم في جنوب الحي واين غارتن غربي الحي وما الى ذلك من الكنس وقيل ان عددها كلها ثلاثة وعشرون بعضها كبيرة وبعضها صغيرةوهو عبارة عن غرفة صغيرة مخصصة للصلاة

وقد اتخذ اليهود هذه الكنس حصونا وكانت كلها مليئة بالمخابىء والاستحكامات وكان بعضها مرتبطاً بالبعض الاخر بممرات وسراديب محفورة في الارض .

ولذلك لم يتردد العرب في نسفها ، سيا وقد انذروا اليهود قبل ذلك ، وطلبوا اليهم الا يتخذوها قلاعا للقتال . فنسفت كلها ولم يسلم من النسف سوى اثنين هما :

كوليل اسفارادايم الملاصق لبيت الدين ومردخاي فاين غارتن الكائن بحارة الارمن في بناية هي ملك لال الخالدي .

(١) هذا الكنيس والمباني التي من حوله على الطراز الحديث وقبل عهد قريب . وهو مطل على حي المغاربة وعلى الحرم وعلى قرية سلوان وعلى رأس العمود ونطالما ازعج اليهود المتحصنون فيه العرب المقيمين في الاحياء المتقدم ذكرها .

ابيضاً علامة التسليم . واخبرا قائد المرقع الرئيس محمود الموسى انهما يبغيان التفاوض في صدد شروط التسليم ، فجاء على اثر ذلك ، قائد الكتيبة السادسة عبد الله التل ، كما جاء اثنان آخران من اليهود هما مختار الحي (واي غارتن) وقائد الحامية من رجال الهاغانا . وحضر المفاوضة عدد من القادة الآخرين ورؤساء المناضلين . نذكر منهم : — كامل عريقات والشيخ يس البكري ، وفاضل رشيد العراقي من رجال جيش الانقاذ، والشيخ مصطفى السباعي من جماعة الاخوان المسلمين السوريين ،والدكتور عزة طنوس الامين العام لبيت المال العربي . واستمرت المفاوضة من الساعة الحادية عشرة صباحاً الى الساعة الثانية من بعد الظهر . وتذكر المفاوضون قوله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم . » سورة الانفال — الآية ٦١ .

وفرض العرب شروطهم . فحملها المندوبون اليهود الى سكان الحي . وبعد قليل رجعوا قائلين أنهم يقبلون كل ما جاء فيها . وامضيت ، اثر ذلك ، وثيقة التسليم التالية، كتبت باللغة الانكليزية ، وشهد عليها السنيور اسكاراتي بوصفه ممثلا لهيئة الامم المتحدة : —

From the first party. Deputy Commander Abdullah el Tell on behalf of His Majesty King Abdullah and the second party Commander of the Haganah & the Mukhtar of the Jewish quarter in the old City.

At the request of the Jews in the Old City to surrender the first party submitted conditions which the second party accepted as follows : -

1) Give up arms and their seizure by the Arab Legion.
2) All fighters « men » to be taken as prisoners of war.
3) All old men, women, girls, children « civilians to be decided on by first party) and seriously wonded, to be allowed to enter Jewish quarters outside the Old City through the Red Cross.
4) The Arab Legion guarantees the lives of all Jews who surrender.
5) The Arab Legion will occupy Jewish quarter in the Old City.

May 28 th. 1948

وتسلم العرب الحي اليهودي كله : ولقد قتل من اليهود في ذلك اليوم ، واليوم الذي قبله . خلق كثير . قدرهم بعض المطلعين بمئتين . واما الجرحى فقد كانوا مئة وخمسة واربعين . وكان بين الجرحى قائدان يهوديان : قائد منظمة الهاغانا ، وقائد منظمة الارغون وأما اليهود انفسهم فقد اعترفوا بمئة قتيل فقط وسبعين جريحاً . ووقع ١٢٤٩ يهودياً في قبضة العرب اطلق سراح تسعمئة وثلاثة عشر منهم وهم الشيوخ والاطفال والنساء غير

المحاربات . وسلموا بوساطة رجال الصليب الاحمر الدولي الى الهيئات اليهودية خارج السور فخرج هؤلاء عن طريق باب النبي داود ، حاملين معهم امتعتهم وحلاهم وكل ما يملكون (١) وأسكنوا في حي القطمون وأما الباقون وعددهم ثلاثمئة واثنان وثلاثون رجلا محارباً واربع فتيات محاربات ، فقد اعتقلوا في قشلاق البوليس عند باب الخليل ومن هناك ارسلوا الى شرق الاردن وهناك في الزرقاء ، وضع الرجال في معتقلات اعدت خصيصاً لهذه الغاية . وامر الملك باطلاق سراح الفتيات وارجاعهن الى بلادهن رغم انهن محاربات وقداسرن وهن يحاربن ، وكان اليهود كلهم في ذلك النهار على درجة قصوى من القذارة والتعب ، سواء في ذلك المحاربون وغير المحاربين ،

ومهما كان الامر فانه كان لسقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة اثر عظيم فتحطمت اعصاب اليهود ، أو كادت .

وراحوا ينتقدون قائد الهاغانا دافيد شالتائيل David Shaltiel (٢) نقداً مراً ، قائلين انه كان باستطاعته ان ينقذ الحي اليهودي ، لو وضع – في الوقت المناسب – قوة تكفي لمواجهة الطوارىء ، كما نقدوا في الوقت نفسه ، حاكم المدينة ورئيس لجنة الطوارىء فيها برنار جوزيف ، اذ كان هذا دوماً عابس الوجه مقطب الجبين ولم يعمل عملا يذكر من اجل انقاذ الحي القديم .

ومما زاد في خطورة الامر ان خسائرهم في الاسبوعين الاخيرين فقط بلغت الفاً ومئتي مدني ،

---

(١) انحى بعض الناس باللائمة على القائد العربي عبد الله التل لانه لم يأمر بذبح كل من وجده في الحي باعتبار انهم كلهم اعداء اسوة بما فعله اليهود انفسم في دير يس . ولكن القائد نفسه اكد لي انه كان بامكانه ان يفعل ذلك لولا انه اراد ان يبرهن للملأ ولليهود انفسهم ان العرب قوم شرفاء . ومن يدري ؟ لعله خشي ان ينتقم اليهود ، فيقتلوا العرب الذين يعيشون في المدن التي في حوزتهم كيافا وعكا وصفد . واليهود كما يعلم الكون باسره قوم اهل مكر وخداع ومهما كان السبب الذي حدا بالقائد العربي لان يعامل يهود الحي القديم بالحسنى فقد ذكرنا عمله هذا بما فعله صلاح الدين يوم فتح بيت المقدس (١١٨٧ م) واطلق سراح الصليبيين المحاربين منهم وغير المحاربين لقاء فدية حددها بعشرة دنانير عن كل رجل وخمسة عن كل امرأة ودينار واحد عن كل طفل وقد افتدى هو بنفسه عشرة الاف شخص .

فأين هذا وذاك مما فعله اليهود بالعرب عندما احتلوا دير يس . وعندما احتلوا اللد والرملة . فقتلوا من قتلوه من ابناء هذه المدن ، وسلبوا كل ما وقعت عليه ايديهم من متاع .

(٢) كان في الواحدة والعشرين من عمره عندما التحق باللواء الاجنبي التابع للجيش الافرنسي وتدرب على فنون القتال .

قتل منهم اربعمئة وخمسون ، هذا غير المحاربين الذين لاقوا حتفهم في الميدان : الامر الذي حدا برئيس حكومتهم ، دافيد بن غوريون ، لمضاعفة جهوده في تقوية الهمم ، فراح يحض الناس على الصبر والثبات ، والاقلال من التبرم ونقد ما فات .

ووصل اليأس بهم الى درجة جعلت العرب يعتقدون انه لن تقوم لهم بعد اليوم قائمة.

ولكن الواقع كان غير ذلك . اذ ما كاد يهود الحي القديم يستسلمون ويوقعون الوثيقة المتقدم ذكرها ، حتى راح اخوانهم الموجودين خارج السور يهاجمون البلدة القديمة وكانت الساعة قد دقت الثامنة مساء ، هاجموها من ثلاث جهات : – من باب الخليل وباب العمود ، والباب الجديد ، فكان نصيبهم الفشل في البابين الاولين . ولكنهم نجحوا في الباب الجديد ، اذ كان هذا قد بقي مفتوحا بفعل الالغام التي ذكرتها في الاسطر المتقدمة ، فاقتحموه . تقدموا زهاء خمسة عشر متراً في ذلك الحي : الا ان العرب عادوا ، فتقووا عليهم ، وصدوهم .

ولئلا يقوموا بمثل هذه المحاولة مرة اخرى راح العرب يقصفون الاحياء اليهودية في المدينة الجديدة بنيران مدافعهم. قصفوها من رأس العمود على طريق اريحا وظلوا كذلك حتى ساعة مبكرة (الثانية والنصف) من صبيحة اليوم التالي . وفيما كان رجال الجيش والمناضلون يقاتلون ، كان عدد كبير من السكان المدنيين منشغلين بالسلب ، اذ اقتحموا الحي اليهودي ، ونهبوا كل ما عثرت عليه ايديهم من مال ومتاع .

محاولة يائسة يقوم بها اليهود لاسترداد الحي

●

ولم يقف اليهود مكتوفي الايدي، بل راحوا يقصفون المدينة القديمة بنيران مدافعهم(١) وحلقت طائرة من طياراتهم في سماء المدينة ، الا ان العرب طردوها قبل ان تلقي قنابلها او تحدث أي ضرر . وبلغ عدد العرب الذين قضوا نحبهم في معارك القدس خلال اليومين الاخيرين (٢٧ و٢٨ ايار) ثمانية – ثلاثة منهم اردنيون والباقون من ابناء القدس . وجرح خمسة عشر عربياً .

---

(١) قيل ان القدس لم تشاهد قصفا مدفعيا شديدا متواصلا كالقصف الذي قام به الفريقان الليلة هذه الا في ١٦ تموز ، كما سنذكر ذلك في حينه . وما لم يهدم من المكنس اليهودية الكائنة في هذا الحي بفضل الالغام العربية هدم بفعل المدافع اليهودية نفسها .

وفي ليلة ٢٩ ـ ٣٠ ايار قام رجال الصاعقة (البالماخ) (١) يؤازرهم ثمانون من الحرس القومي المعروف بـ (مشمار هاعام) بمحاولة المستميت لاسترداد الحي اليهودي من العرب ولفتح طريق الشيخ جراح بغية الوصول الى الجامعة العبرية ومستشفى الهداسا على جبل الزيتون. فشنوا هجوماً على المواضع العربية، مستعملين جميع انواع الاسلحة من بنادق ورشاشات ومدافع قوسية (مورتر) وسكت العرب في بادىء الامر، ولم يبدوا حراكاً، فتقدم اليهود. ولكنهم ما كادوا يصلون الى المواضع الامامية حتى تلقاهم العرب، فاصلوهم ناراً حامية ـ بعضها من البنادق الاعتيادية والرشاشات والبعض الاخر من القنابل اليدوية. فارتد اليهود على اعقابهم، تاركين وراءهم خمسة وثمانين قتيلا(٣) ولم يتمكن اليهود، اثناء انسحابهم، من سحب جثث موتاهم وظلت هذه مكانها، الى ان تفسخت، فاضطر العرب الى حرقها ...

واما قتلى العرب في الايام الثلاثة الاخيرة ٢٩ ـ ٣١ ايار فكانوا احد عشر شخصاً اثنان منهم من الخليل، واربعة من القدس، وواحد من صور باهر واردنيان .

بعدئذ قطع اليهود كل امل في استرجاع الحي وقد دمر هذا تدميراً تاماً (٣) . ووجهوا جل اهتمامهم الى باب الواد. وكان اهتمامهم بهذا الممر من اجل انقاذ القدس نفسها .

معارك باب الواد

●

منذ اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) وذر قرن النضال في فلسطين، اخذ العرب يبحثون عن أقوم الطرق واجداها للاحتفاظ بباب الواد ...

---

(١) هذه كلمة مختصرة من كلمتين عبرانيتين هما (بلوغات ماهانس) ومعناها (القوة المدربة للضرب) وهي تابعة للهاغاناه

(٢) هذا ما التقطه العرب من رسالة لاسلكية بعث بها اليهود على امواج الاثير الى قيادتهم في تل ابيب .

(٣) انه وان كان يطلق عليه اسم (الحي اليهودي) ومعظم سكانه من اليهود، الا ان معظم منازله ٩/١٠ من الاوقاف الذرية التي يتصرف بريعها المسلمون من ال النمري، والجاعوني، والخالدي، والحسيني، والنشاشيبي، والعلمي، والقطب، والعسلي، والبديري، والامام، والدقاق، وقطينة، والشهابي، والانصاري، ونسيبة، والداودي، والموسوس، والديسي، والطبجي، وابو السعود، والرصاصي، والموقت، والترجمان، وغنيم، وابو مدين، والحريري، والبشاشتة، وغيرهم من من العائلات المقدسية القديمة . وكان يطلق على هذا الحي فيما مضى (حارة الشرف) .

ذلك الممر التاريخي الذي يربط سهل فلسطين الغربي بجبال القدس ، والذي يعتبر بحق مفتاح تلك المدينة المقدسة . ولقد كانوا عند حد اليقين اي اليهود لا بد وان يحاولوا الاستيلاء على هذا الممر ، وعلى ما حوله من قرى وهضاب ليتمكنوا من انقاذ القدس وتزويد حاميتها بالمؤن والرجال ومعدات القتال . ولا غرو فقد كان هذا الممر ، على مر الدهور ، ذا اهمية استراتيجية ، من استطاع الاستيلاء عليه استولى على القدس ، ومن صمد فيه رد عنه كيد الغزاة الطامعين .

فهنا في هذه البقعة من الارض ، اقتتل الكنعانيون وبنو اسرائيل ؛ وهنا ايضاً اقتتل هؤلاء والفلسطينيون ، وكانت الحرب سجالا بينهم. ومن هنا مر فراعنة مصر ، وقادة اليونان ، والرومان (ومن هؤلاء كستيوس غالوس(٦٦ م)القائد الروماني المشهور) .

وهنا ايضاً وقف صلاح الدين يصد الغارة التي شنها عليه ريكاردوس قلب الاسد وظل يحاربه (من آب ١١٩١ الى حزيران ١١٩٢) الى ان تغلب عليه فارتد هذا الى الوراء وتبعه صلاح الدين وظل يطارده الى ان استولى على السهل كله بمافيه اللطرون وعمواس وباب الواد .

وهنا وقف المقدسيون (١٨٢٤) وسكان القرى يبغون صد الجيش المصري الذي جاء بقيادة ابراهيم باشا ليخمد ثورتهم . وقفوا على رؤوس الجبال وحاربوه واعاقوا تقدمه ، فقطع المسافة في يومين وكان المرء يومئذيقطعها فياقل من نصف يوم .

وهنا جرت معارك دامية بين الجيش الانكليزي والجيش التركي (١٩١٧) ، ولولا الفرق الثلاث (٧٥ ، ٥٢ وفرقة الفرسان الاوستراليين) التي حشدها اللنبي هناك ؛ لما استطاع اجتياز هذا الممر الذي كلف الفريقين عدداً كبيراً من القتلى والجرحى (١) .

وهذا ما جرى في الحرب الفلسطينية الحاضرة : حرب العرب واليهود ، اذ راح هؤلاء منذ اللحظة الاولى ، يتأهبون لغزوه ، وقد جاءوا اليه من السهل . وراح العرب يعملون بكل ما اوتوا من قوة لصدهم عنه . وكانت المعارك التي وقعت في هذا القطاع اشد خطراً من المعاركالتي وقعت فيانحاءفلسطين الاخرى .

قبل الدخول في التفاصيل ، نرى لزاماً علينا ان نقول ، انا اذا ما قلنا (باب الواد)

---

(١) قتلمن الاتراك في يوم واحد (١٨ نوفمبر ١٩١٧) وهو اليوم الذي اجتاز الانكليز فيه هذا الممر ،زهاء خمسمئة مقاتل واسر مثل هذا العدد وفي اللحظة التي اجتازه الانكليز راح الاتراك يخلون مدينة القدس .

تقصد الواد نفسه اي وادي علي (١) . ومداخله والطرق المؤدية اليه والمتشعبة منه (٢) والهضاب المطلة عليـــه ... والقرى الكائنة على مقربـــة منه . ومن هـــذه القرى عمواس (٣) واللطرون (٤) وتل الجزر

(١) نسبة الى درويش مدفون فيه اسمه الشيخ علي وله مقام ويعتقد العامة انه الامام علي وهذا خطأ

(٢) هذه كثيرة نذكر منها طريق باب الواد-القدس-باب الواد-الرملة ، باب الواد-بيت جبرين ، باب الواد- عرطوف باب الواد ، غزة ، باب الواد -رام الله .

(٣) قرية عربية من اعمال القدس مكابية الاسل وقيل انها كنعانية ، اشغلت على مر الدهور مكاناً مرموقا في التاريخ . وفي الروايات النصرانية ان السيد المسيح ظهر فيهـا لاثنين مـن تلاميذه الحواريين (انجيل لوقا : الاصحاح الرابع والعشرون العدد ١٢-١٥) . كان فيها كنيسة بنيت خلال القرن الخامس والسادس للميلاد ، ثم هدمت واعيد بناؤها في القرن الثاني عشر .

قال يوسيفوس ان القائد الروماني فسباسيان منح (٧٥م) ثمانية من جنده القدماء ارضاً ليزرعوها في موضع يسمى عمواس ولقد اسماها (نيقوبولس) اي الظافرة تخليداً لذكرى انتصاره على اليهود . وخربت عمواس مع القرى والحصون الاخرى التي خربت اثناء الثورة التي اشعل نارها (بارقوخبا) ضد الرومان ، والتي دامت من ١٣٢م الى ١٣٥م . فقد انتصر اليهود بادىء ذي بدء على الرومان في هذه الثورة ثم عادوا فتقهقروا يوم اعمل فيهم الوالي الروماني يوليوس سفيروس سيفـه ، فدك حصونهم وقراهم ، وكانت عمواس من القرى التي دكت في ذلك التاريخ ، وما لم يدك منها على ايدي اليهود دكه الرومان ولقد اعيد بناءها (سنة ٢٢٣م) على يد يوليوس افريقانوس ، وكان ذلك في عهد الامبراطور هيلوغابالوس وقيل ان هذا هو الذي اسماها (نيقوبولوس) اي الظافرة .

ويظهر ان عمواس هذه كانت عند الفتح الاسلامي ، لا تزال محتفظة باهميتها الحربية . اذ نقرأ في كتب التاريخ انه كان فيها ، في اوائل ذلك الفتح حاميـة كبيرة من المسلمين ، جلهم من الصحابـة والتابعين فلقد حدثنا الطبري في تاريخه (ج٣ ص ١٦١) انه حدث فيها طاعون اودى بحياة الكثيرين من حماتها منهم فاتح القدس ابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن ابي سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعتبة بن سهيل وضرار بن الازور الكندي وشرحبيل بن حسنة وعدد اخر من اشراف الناس وهذا ما دعا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الى ارتياد تلك البقعة فنزلها واسى الثكالى واليتامى واعان الفقراء وشدد عزائم المحتاجين وامرهم بالصعود الى الجبل ثم صلى ، وصلى وراءه المجاهدون ، وبكى على تلك الارواح الطاهرة التي قضت نحبها وهي تجاهد في سبيل الله .

(٤) هذا الاسم اما ان يكون ماخوذا من كلمة افرنسية Turon او Touron اذ كانت في زمن الصليبيين (١٢٤٦) تدعى **Turo Militum** فجاء العرب وحرفوها فقالوا (اطرون) و(اللطرون) . وقيل انها عربية اصلها (نطر) و(الناطرون) .

ومن اسمائها في القرون الوسطى : Castrum Boni Latronis

(١) وابو شوشة وبيت نوبا ويالو ودير ايوب .

كان العرب يعلمون ان اليهود لا بد وان يحاولوا السيطرة على هذا الممر ليتمكنوا من تزويد اخوانهم في القدس بالمؤن والرجال ومعدات القتال . ولهذا كان اول عمل قاموا به (العرب) ان خربوا الطريق التي تمر من هناك ، خربوها على مسافة طويلة بحيث اصبح من العسير اجتيازها على المشاة والسيارات ، واعطبوا انابيب الماء وتنادوا الى التسلح والقتال ، فلبوا النداء . وجاءوا من كل صوب الى باب الواد : من عمواس ويالو ودير ايوب وبيت نوبا وبيت محسير وسريس وغيرها من القرى المجاورة وكان عددهم في البدء ثلاثمئة . ولما اتسع النطاق راح هؤلاء يستنجدون بالقرى الاخرى . فكانت تأتيهم نجدات من بيت لقيا وبيت سيرا وبيت عور التحتا والفوقا وصفا .

واتى عليهم حين من الزمن استنجدوا فيه بالقرى البعيدة فامدتهم هذه برجال اتوا من قرى بني مرة وسائر اعمال رام الله .

ولقد اشترى المناضلون اسلحتهم باموالهم بعضهم كان لديه القدر الكافي من المال لشراء السلاح والبعض الاخر باعوا اراضيهم وحلى نسائهم ليتمكنوا من شرائه ، وكان خط الدفاع العربي يمتد من (البئر الحلو) عند اللطرون حتى باب الواد . كان القرويون من سكان هذا القطاع عند بدء القتال يحاربون دون قيادة ، ثم راح يشرف على حركة النضال

نسبة الى حصن انشأه الصليبيون هناك ولقد دمر هذا الحصن في زمن ابراهيم باشا ، فيها اليوم دير يسمونه (دير اللطرون) وهو للاباء الترابيين Pères Trappises . الذين جاءوا الى هذه الديار عام ١٨٩١ واسسوا الدير المذكور . انهم مشهورون بزراعة الكرمة وصناعة الالبان والخمر وعددهم اليوم اربعون يعيشون في صمت تام ولا يتناولون من الطعام سوى البقول والفواكه والبيض. هناك حول الدير خرائب كثيرة ومياه غزيرة والتل الذي يقوم عليه الدير مطل على السهول التي تحيط به ومن هنا جاءت اهميته الحربية .

(١) كانت تدعى فيما مضى جازر ، انها كنعانية الاصل ، احتلها الفراعنة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وورد ذكرها في الواح تل العمارنة ويمتلكها الفلسطينيون . ولم يستطع اليهود اخراج سكانها منها (سفر يوشع : الاصحاح الحادي عشر العدد ١٠) كانت مستقلة وكان لها ملك يدعى حورام وكان فيها على عهد الصليبيين حصن وهنا اقتتل الصليبيون مع صلاح الدين فتغلبوا عليه بادىء ذي بدء ثم تغلب عليهم ١١٩٢ م ومنها راح يدير المفاوضات التي كانت دائرة مع ريكاردوس قلب الاسد من اجل الهدنة .

احتل الانكليز هذه القرية في ١٤ نوفمبر ١٩١٨ ، ولا بد للجيش الذي يريد القدس ان يحتلها ولهذا كانت على مر الدهور ذات اهمية حربية وفيها بقايا طلول وخراب اخنى عليها الدهر .

فيه وفي غيره من القطاعات التابعة للجبهة الوسطى عبد القادر الحسيني قائد فرق الجهاد المقدس .

كانت القوافل اليهودية تمر من باب الواد مرة في الاسبوع . وكان يحرسها عدد ضئيل من المسلحين . ولما ايقن اليهود ان العرب واقفون لهم بالمرصاد ، زادوا عدد المسلحين المرافقين للقوافل ، كما زادوا عدد السيارات المشتركة في القوافل .ولكن العرب كانوا يتصدون لهم كلما مروا ، تارة بالالغام يبثونها في الطرق ، وتارة بالرصاص يطلقونه من بنادقهم ، وما مر يوم منذ نشب القتال بين الفريقين غداة قرار التقسيم الى ان اعلنت الهدنة ووقف القتال ، دون اعتداء على هذه القافلة وتلك، ولو اردت ان اذكر جميع الحوادث التي وقعت هناك خلال المدة لنفذ المداد قبل ان ابلغ المراد ، واني لذاكر فيما يلي اهم الحوادث التي جرت في هذا القطاع ، وكان لها اثرها على سير القتال هناك وفي الجبهات الاخرى :

ففي اليوم الاول من شهر آذار ١٩٤٨ هاجم المناضلون العرب قافلة يهودية اثناء مرورها من باب الواد ، فقتلوا اربعة من ركابها ، وجرحوا ثمانية ، واعطبوا احدى السيارات .

وفي ٣ آذار هاجموا سيارتين كبيرتين عند حوض الماء القريب من مقام الشيخ علي ، فدمروهما بالالغام ، وقتلوا خمسة عشر يهوديا من ركابها . وفي ٤ آذار هاجموا قافلة فقتلوا اربعة من ركابها . واشترك في هذا الهجوم الشيخ هارون بن جازي مع سبعة من رجاله المتطوعين ولولا مجيء الجند البريطاني لنجدة القافلة لقضوا على جميع افرادها .

وفي ١٢ آذار هاجموا قافلة يهودية عند الكيلو ١٧ فانفجر لغم كانوا وضعوه هناك واعطبوا سيارة . وعند الظهر هاجموا في المكان نفسه قافلة اخرى ، فقتلت يهودية وجرح يهوديان .

وفي ١٣ آذار كمن المناضلون لقافلة يهودية عند باب الواد، ففجروا الالغام التي بثوها هناك ليلا ، فقتل اربعة من ركاب القافلة . .

وفي ١٧ آذار اشتبك الفريقان العرب واليهود في قتال عند البئر الحلو على الطريق المؤدية الى باب الواد ، فاصيب ثلاثة من اليهود بجراح قاتلة ،واعطبت احدى المصفحات اليهودية .

وفي ١٩ اذار هاجم العرب قافلة يهودية مؤلفة من تسع سيارات بينما كانت قادمة من عرطوف في طريقها الى القدس هاجموها عند(باب الماصية) بالقرب من باب الواد

فقتلوا خمسة عشر رجلا من ركابها ، وجرحوا كثيرين . واعطبت مصفحة يهودية كانت تتقدم القافلة بقصد الحراسة وغنم العرب مقادير كبيرة من الاسلحة وجاء في البيان الرسمي الذي اصدرته الحكومة يومئذ انهم عثروا على عشر جثث يهودية في مكان الحادث ، وثلاث في المصفحة ، واثنين على بعد ثمانين مترا من الطريق . وهرب يهوديان الى البئر الحلو فقتلها المناضلون .

وفي ٢٢ آذار كمن العرب لقافلة سيارات يهودية كانت آتية من تل ابيب فاشعلوا النار في سيارتين محملتين بالمؤن ، وقتلوا السائقين ، واعطبوا سيارة ثالثة، جرح سائقها ومساعده .

ولما كثرت حوادث باب الواد والقطاع المجاورة له على الشكل المتقدم ذكره .وراحت القدس تعاني الم الحصار المرير . ولم يكن لدى اليهود اكثر من ٤٠٠ مقاتل يستطيعون الاستغناء عنهم لحماية هذه الطريق ، راحوا يستنجدون بالحكومة فوضعت هناك وحدات من الجيش البريطاني . ورابطت كوكبة لا يقل عدد افرادها عن المئتين في عرطوف وراحت هذه ابتداء من ٢٣ اذار تحمي القوافل بمدافعها الثقيلة . وتمكن اليهود ، في تلك الفترة من الزمن من امرار الف وخمسمئة مقاتل من رجال الصاعقة (البالماخ) الى القدس، جاءوا في قافلة سرية .

ولكن هذه التدابير لم تكن لترهب العرب ، او تصدهم عما يبتغون . اذ ما كاد صبح اليوم التالي (٢٤-٣-١٩٤٨) ينبلج حتى فوجئت القافلة اليهودية بالالغام، بثها المناضلون ليلا ، فانفجرت وقتلت اثنا عشر يهودياً وجرحت ثلاثين ، ولقد دمر في هذا الحادث ثلاث سيارات واعطبت ثلاث اخرى من مجموع سيارات القافلة الاثنتي عشرة وعادت السيارات التي نجت الى حيث اتت . . .

وفي ٣١ آذار كان اثنان من مناضلي يالو يبثان الالغام في الطريق ، فرأيا عدداً كبيراً من السيارات اليهودية قادمة من القدس . ولما وصلت هذه الى باب الواد ، وقفت فنزل من فيها وقدر عددهم بثلاثمائة وراح هؤلاء يتسلقون الجبل ويتمركزون في الحراج المطلة على باب الواد من ناحيته الشمالية ، وادرك المناضلون من مجيء هذا العدد في ذلك الوقت المتأخر من الليل ، ان اليهود يتمركزون في تلك البقعة ليحموا قافلة كانت على وشك المرور . فاشعل المناضلون الالغام واتت هذه بفائدة مزدوجة ، اذ قتلت زهاء ثمانية اشخاص من اليهود، ونبهت زملائهم المرابطين في خنادقهم، فجاء هؤلاء من يالو ودير ايوب واشتبكوا مع اليهود في قتال مرير .

وفيما كان القتال ناشباً في الحرج ، وصلت القافلة المنتظرة آتية من تل ابيب عن طريق وادي الصرار ، وكانت مؤلفة من اربعين سيارة . وعندما وصلت الى نقطة قريبة من خلـدة انقض عليهـا مناضلوا عمواس ودير محيسن والقباب فنشب قتـال عنيف بين الفريقين . واتت العرب نجدات مـن الرملة (بقيادة الشيخ حسن سلامة) ومن المسمية (بقيادة الشيخ عبد الله مهنا) ومن البدو (بقيادة الشيخ هارون بن جازي) كما اتت اليهود نجدات من خلدة ودبران والمستعمرات اليهودية المجاورة . واشترك في القتال الذي دام حتى المغيب ، عدد غير قليل من النساء القرويات كن ينقلن الماء الى المجاهدين .ويزغردن محرضات على القتال .

وانجلت المعركة عن عدد كبير من القتلى والجرحى من كلا الجانبين . فقال اليهود ان قتلاهم سبعة عشر وكان قتلى العرب اكثر من اليهود بسبب خطأ عندما رأوا جماعة من الناس يقاتلون في حقول القمح ، فظنوهم يهودا ، واطلقوا الرصاص عليهم ،ولم يعرفوا انهم عرب الا بعد حين . . . . وقد استولى العرب على ثلاث مصفحات ، واحرقوا مصفحتين ، وغنموا سيارتين للشحن ومحراثا ميكانيكيا .

ومن الذين استشهدوا في هذه المعركة عبد الفتاح علي محمد طينة من دير ايوب ، وشاب من عائلة الجمال بالرملة ، ومحمد رشيد حمد من بيب نوبا ، وعبد الفتاح ابو حديد من مغلس ، وشاب مسلم يوغسلافي كان مع المناضلين . وجرح عدد كبير منهم الشيخ اسعد الرنتيسي مختار يبنا ، وشاب الماني كان متطوعا في فرقة الشيخ حسن سلامة . جرح هذا عندما كان يضع اللغم تحت احدى المصفحات اليهودية .

ان خسارة العرب في الارواح ،وان كانت جسيمة ،الا ان المعركة نفسها كانت نصرا لهم . اذ غنموا جميع سيارات القافلة . وتمكنوا من دحر اليهود وارجاعهم الى مستعمرة خلدة (حيث حوصروا مدة طويلة) . والاهم من هذا كله ان الرعـب دب في قلوب اليهود فما عادوا يجرؤن على اجتياح ذلك القطاع بأقل من مئات السيارات يحرسها عـدد كبير من المصفحات والدبابات . وبعبارة اخرى ايقنوا ان دون اجتياز باب الواد خرق القتاد .

واشتبك الفريقان في اليوم الاول من شهر نيسان ١٩٤٨ في القطاع الكائن بين مريس وباب الواد ، فتغلب العرب على اليهود وقتلوا مـن رجالهم عشرين رجلا ، ثم عادوا فاشتبكوا في اليوم التالي ، واصيب اليهود باربعين من مقاتليهم بين قتيل وجريح .ولكن يظهر ان اليهود كانوا يومئذ يهدفون الى تغطية حركاتهم في قطاع القسطل ليمنعوا وصول

النجدات العربية الى ذلك القطاع من الغرب ، ولقد نجحوا في خطتهم . اذ جاءت الانباء مؤيدة سقوط القسطل بأيديهم في اليوم الثالث من نيسان .

انكسرت معنويات العرب ، بسبب سقوط القسطل ، فانقضى اسبوعان كاملان دون أن يقوموا بأية حركة في ذلك القطاع . وكان من نتائج هذا الفتور ان سقطت سريس بيد اليهود (١٦ - ٤ - ٤٨) فهدموا ٣٥ منزلا من منازلها ، حتى جامع القرية ومدرستها فانهما لم يسلما من اذاهم .

وأراد الله ان يشدد من عزائم العرب ، فأرسل اليهم في اليوم نفسه (١٦ نيسان) قافلة يهودية تحمل المؤن من تل ابيب الى القدس . وكانت مؤلفة من زهاء مئتين وخمسين سيارة يحرسها عدد كبير من الجند والمصفحات . فكمن لها المناضلون على جانبي الطريق من اللطرون حتى سريس ، وكان عددهم كبيراً . جلهم من سريس وبيت محسير ويالو ودير ايوب وعمواس وبيت نوبا ، وبعضهم من البدو ، جاءوا بقيادة الشيخ هارون بن جازى ، والبعض الاخر من فرقة الجهاد المقدس يقودهم احمد زونا .

وما كادت القافلة تصل الى نقطة قريبة من دير ايوب ، على بعد كيلو متر واحد من باب الواد ، حتى انقض المناضلون عليها وكانت الشمس قد اشرقت ، فراحوا يطلقون النار عليها من جميع الجهات .

حاول اليهود ان يرجعوا فلم يتمكنوا . اذ كان المناضلون قد سدوا الطريق بعد مرور القافلة ، ونسفوا جسر (ام ديمنة) التمريب من بئر الستيتة عند مشتل الحكومة وبثوا الالغام ، ولم يكن بامكان اليهود ايضاً ان يتقدموا الى الامام ، ونحو باب الواد ، اذ كانت الطريق هناك ايضاً مغلقة بالحجارة الضخمة التي أقامها المناضلون .

ولما رأوا انهم وقعوا في الكمين ، وانه لا مناص من القتال او التسليم ، اختاروا القتال فنشب بين الفريقين عراك عنيف دام حتى الساعة الرابعة بعد الظهر . فقتل العرب من اليهود خلقاً كثيراً ، وجرحوا كثيرين ، واحرق واعطب زهاء ستين سيارة . وقتل من العرب ايضاً خلق كثير . واستولى العرب على خمس عشرة سيارة ، وعلى مقادير كبيرة من الاسلحة والمؤن والعتاد . ولكن هذه الغنائم اشغلتهم عن الجهاد ؛ وفيما كانوا مشغولين بتقسيم الغنائم في اليوم التالي (١٧ نيسان) تمكن اليهود من امرار قافلة كبيرة من قوافل المؤن ، فوصلت هذه الى القدس . واستقبلها يهود المدينة بالسرور والترحاب وتمكن اليهود ايضاً في ٢٠ نيسان من امرار قافلة كبيرة اخرى ، ولكن ، بعد ان قاست هذه صعاباً جمة . اذ تصدى لها المناضلون ، فقتلوا ستة من رجالها ، وجرحوا اربعة

وعشرين ، وحطموا ستاً وثلاثين سيارة من سيارات الشحن الكبيرة تحطيماً تاماً ؛ وفيما كان فريق من رجال القافلة وحراسها يصدون المهاجمين ، تمكن الاخرون من الوصول الى القدس ، وكان مع الواصلين دافيد بن غوريون ، وكانت القافلة يومئذ مؤلفة من ٢٩٤ سيارة .

وفي غضون الاسبوع المنتهي بالخامس والعشرين من شهر نيسان ١٩٤٨ قام رجال الجهاد المقدس وسكان القرى بأعمال مضنية لسد الطريق سداً محكماً ونسف الجسور الكائنة بين بئر الحلو وقرية سريس ، وعلى طريق القباب والمسمية بقصد منع قوافل المؤن اليهودية من استعمال طريق باب الواد . اغلقت بالحجارة الضخمة والصخور التي هدموها من الجبال المجاورة ووضعت السدود على علو قدره متران ، وعلى مسافة طولها نصف كيلو متر بين باب الواد وسريس ،

حدثني السيد كامل عريقات احد قادة الجهاد المقدس الثلاثة الذين اشرفوا على عملية سد الطريق المذكورة (والاثنان الاخيران هما قاسم الريماوي واميل الغوري) ان ثمانين مناضلا من سكان القرى المجاورة (بيت محسير وبيت نتيف وسيريس) ومن عرب الحويطات اشتركوا في عملية السد ، وانهم استعملوا من اجل ذلك الحجارة التي تدحرجت من التلال المجاورة اثر نسف الصخور المطلة على الوادي ، وانهم انشأوا على عرض الطريق ثلاثة خنادق عرض الواحد منها متران وعمقه متر واحد ، والمسافة بين الخندق والآخر مئة وخمسون متراً ، وانهم قاموا بهذا العمل في تمام الساعة التاسعة من مساء اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان ١٩٤٨ .

فلم تعد قوافل المؤن اليهودية تستطيع المرور من هناك (٢٦ نيسان) . وحطم المناضلون في الوقت نفسه انابيب الماء تحطيماً تاماً ، فقطعوا عن القدس مياه (رأس العين) تلك المياه التي تشرب منها الاحياء اليهودية . وراحت ترابط عند باب الواد قوة مؤلفة من مئة مقاتل نصفهم من البدو يقودهم هارون بن جاري من الحويطات والنصف الاخر من رجال الجهاد المقدس يقودهم المناضل حسني بدارو .

بعد ان سدت طريق باب الواد ، على النحو المتقدم ٢٦ نيسان وكانت طريق اريحا من الشرق ورام الله من الشمال والخليل من الجنوب بيد العرب . اصبحت القدس محصورة بهم من جهاتها الاربع . ولم يكن لدى اليهود سوى طائرة واحدة ، وهذه صغيرة لا تصلح للنقل . وانصلحت لنقل البريد ، وبعض الاشخاص الرسميين . ولهذا استولى اليأس على اليهود ، وراحوا يرتعدون جزعاً ، وقذفوا الى ذلك القطاع بقوات

كبيرة جاءت من القدس ،وموتزا ، وقريات عنبيم ، ومعلة نمشة، ومن سائر المستعمرات القريبة والبعيدة ، التابعة لقطاع القدس ، فرابط هؤلاء في الحراج الممتدة مـن سريس الى باب الواد. وكانت مهمتهم رفع السدود وفتح الطريق التي اغلقها العرب مهما كلفهم ذلك من ثمن ، ليزودوا القدس بالمؤن والمقاتلين ؛ وراح الفريقان يتأهبان للنزال . وانشأ اليهود مطاراً صغيراً في بطن واد يقع غربي المدينة ، بينهـا وبين باب الواد (٢٦ نيسان) .

فرأى قادة الجهاد أن معركة كهذه لا يكفيها العدد الضئيل من المناضلين المحليين ، الذين كان التعب والقتال المتواصل قد اضناهم ، ولذلك قذفوا الى ميدان الجهاد هناك بقوات اكثر عدة وعددا فجاءت في الخامس من شهر أيار فصائل من جيش الانقاذ بقيادة المقدم محمد مهدي صالح العاني . وكان مع هذا مدفعان كبيران من عيار ست بوصات ، وكان هو المسؤول عن ادارة الدفة ولقب بآمر القوات الاحتياطية وقـائد المنطقة ، وبلغ عدد المناضلين يومئذ الفين . وتولت هـذه القوات العمل في باب الواد طيلة الاسبوع الذي انتهى في اليوم الثالث عشر من شهر ايار ١٩٤٨ .

بدأت المعركة في ١٠ ايار وفي ١١ منه كانت رحاها لاتزال دائرة وكانت مدافع جيش الانقاذ تقصف اليهود بشدة . ولكي يخفف اليهود الضغط الواقع على قواتهم بباب الواد والاستيلاء على هذا الباب كان يومئذ هدفهم الوحيد ـ فقد قاموا بهجوم مصطنع على المرتفعات الكائنة بين بيت سوريك وبدو والنبي صمويل . فأرسل العرب الى هـذه المرتفعات نجدات جديدة . وردوا اليهود على أعقابهم . ويظهر ان التعب كان قـد اضنى الفريقين المتحاربين فأرسلا في اليوم التالي شارات الاستنجاد من جديد فانجدا (١) وزرت قرية يالو في ذلك اليوم ، واجتمعت الى المقدم مهدي باك ورجال المدفعية من اعوانه . ورأيت بعيني كيف كان هؤلاء يضربون اليهود المنتشرين في التلال المطلة على باب الواد من الشرق عند قرية بيت محسير والقرى المجاورة لها . وكانت المعركـة تسير في اتجاه يبعث على الرضى والارتياح . وكان اليهود يتراجعون زرافات ووحدانا ولم تكن لديهم مدافع ثقيلة (٢) كالمدافع التي كانت في حوزتنا . وتمكن المجاهدون في

(١) . من المؤسف انه لم يكن لدى جيش الانقاذ العدد الكافي من وسائل النقل ، لا ، ولا المقادير الكافية مـن الزيت والبنزين ، فلجأت اللجنة القومية الى مصـادرة سيارات الاهلين ولاقت في هذا السبيل مشقات بالغة .

(٢) . دعم اليهود هجومهم هذا بعدد من المدافع المصنوعة من الخشب والكرتون . حتى ليكاد المرء يتخيل انها مدافع حقيقية من عيار خمسة وعشرين رطلا . لكن حيلتهم هذه ما فتئت ان انكشفت عندما طار احد هذه المدافع بالهواء اثر اصابته بقذيفة واحدة من قذائف المدافع العربية . ولقد اقترف اليهود عند لجوءهم الى هذه الحيلة خطأ لا يتفق مع التكتيك الحربي ، اذ انهم وضعوا تلك المدافع في مقدمة الجيش الزاحف .

ذلك اليوم من اسقاط طائرين يهوديتين جاءتا للاستطلاع . وكانوا امس قد اسقطوا طائرة اخرى . وكانت معنويات المجاهدين من جنود وضباط مرتفعة للغاية . وقد رجاني المقدم مهدي بك أن ازودهم فزودتهم بما هم في حاجة اليه من مؤن وقطن وأدوية وصفائح لنقل الماء .

وفي ١٣ أيار اذاعت قيادة قوات الانقاذ بياناً جاء فيه أن معركة باب الواد ما برحت مستمرة ، وان رحى الحرب تدور في صالحنا ، وان مراكز الدفاع اليهودية قد انهارت ، وان اليهود خسروا الى الان ٣٠٠ قتيل بينهم قائد الهاغانا الذي قاد اليهود في هذه المعركة ، وان العرب غنموا ١٥٠ بندقية ، وست مصفحات ، وان عدداً آخر من المصفحات قد اعطب ، وعدداً آخر من السيارات قد احرق ، كما انهم غنموا بعض الالات اللاسلكية .

كان رجال الجهاد المقدس يتعاونون مع رجال جيش الانقاذ في المعارك التي حدثت عند باب الواد خلال النصف الاول من شهر ايار وفي ١٤ ايار امروا أي (رجال الجهاد المقدس) بمغادرة ذلك القطاع . والذي امرهم هو احمد صدقي الجندي .

وعندما انسحب جيش الانقاذ من باب الواد (١) تولى الدفاع عن هذا القطاع الجيش العربي . فتسلم هذا المواضع التي كان يرابط فيها ذاك ، واحتل جميع المرتفعات الكائنة بين اللطرون وباب الواد . عندما علم اليهود بالامر ، ورأوا الجيش العربي يوطد اقدامه في هذا القطاع وهو اوفر عدداً وعدة واكثر تنظيماً من جميع المنظمات التي كانت الى ذلك التاريخ تعمل هناك ، عززوا قواتهم ، فقذفوا (في ٢٣ ايار) الى معركة اللطرون بفرقة كاملة من مقاتليهم تضم مهاجرين وصلوا قبل يومين من معتقلات قبرص واوربا . وراح الجيشان يتحين كل منهما فرصة النزال ، يريدها مواتية ليتم له بها النصر على عدوه واليك ما جرى في هذا القطاع بين العرب واليهود بعد ذلك التاريخ :

ففي ١٥ أيار ١٩٤٨ هبطت الكتيبة الرابعة (ويسميها العرب الرابحة) من كتائب الجيش العربي خربثا (بني حارث) فاتخذتها مركزاً لحركاتها . وفي ١٦ منه بدت طلائعها

---

(١) انسحب جيش الانقاذ من قطاع باب الواد في ١٥ أيار ، اى قبل ان يصل الجيش العربي وبالاحرى قبل ان يستطيع هذا الجيش القيام بقتال في ذلك القطاع . فخشي سكان القرى المجاورة (عمواس ويالو وبيت نوبا ودير ايوب) مغبة الامر . فراحوا يستنجدون بالجيش ويطلبون منه الاسراع في الحضور وفيما كانوا في طريقهم الى خربثا حيث حط الجيش رحله ، تسلل اليهود الى قرية دير ايوب ونسفوا عشرة من منازلها (١٥ ايار)

(السرية الثالثة) في قطاع باب الواد . وفي ١٧ منه جاءت السرايا الاخرى فتسلمت مراكزها في القسم الغربي من ذلك القطاع ، الممتد من اللطرون وعمواس حتى يالو والمرتفعات التي يقوم عليها مقام الصحابي المعروف (معاذ بن جبل) :

وفيما يلي اسماء قواد الكتيبة والسرايا التابعة لها : ــ

قائد الكتيبة ـ القائد حابس المجالي (٢) من عشيرة المجالي (الكرك)

ركن الكتيبة ـ الرئيس محمود الروسان . من سما الروسان (اربد)

قائد السرية الاولى الرئيس كامل عبد القادر من الكرك : كردي الاصل :

قائد السرية الثانية ــ الرئيس عبد الله السالم من الحصن (اربد)

قائد السرية الثالثة ــ الرئيس صالح العيد من الصلت

قائد السرية المساندة ــ الرئيس عزت حسن من عمان . شركسي الاصل .

قائد سرية القيادة ـ الملازم الاول نصر احمد من الشجرة (اربد)

مجموع افراد الكتيبة ثمانمئة مقاتل ، في كل سرية زهــاء مئة وخمسون مقاتلا ، وفي السرية المساندة مئة وتسعون . والسرية مسلحة بجميع انواع الاسلحة الخفيفة من بنادق ورشاشات وقنابل يدوية وحراب ، ومعها ايضاً مدافع قوسية مورتر (من عيار ثلاث بوصات ومدافع مقاومة للدبابات ذات ستة ارطال ، ورشاشات متوسطة من طراز فيكرز ورشاشات خفيفة من طراز برن وستن ، وبنادق اعتيادية ومدافــع صاروخية وما الى ذلك . وانضم الى الكتيبة منــاضلون فلسطينيون كان عددهم في باديء الامر ٢٥٠ ثم صاروا ٢٤٠ اكثرهم من عمواس . وبعضهم من يالو وبيت محسير . انيطت بهم مهمة الدفاع عن الجهة الشمالية الشرقية من القرية ، وحراسة معسكر اللطرون القديم ، ومحطة المياه ، اسلحتهم البنادق ورشاشات من نوع الستن . وآخرون اردنيون . اكثرهم من البدو . جاءوا بقيادة الشيخ هايل سرور ، والشيخ عتيق العطنه والشيخ سويلم بن دحيلان والشيخ نهار السبوع ، والشيخ مناور الرجا ، والشيخ فلاح المطلق ، والشيخ جــدوع بن

---

(٢) ابن رفيفان باشا المجالي . ولد عام ١٩١٢ م واتم دراسته الاولية في الــكرك والثانوية في الصلت . وانخرط في سلك الجيش ١٩٣٢ وتعلم الفنون العسكرية في قوة الحدود وبوليس فلسطين ، فمهر فيها ، وفي الفروسية . وكان قائدا للواء الفرسان ١٩٤٠ ولواء السيارات ١٩٤١ كما تولى قيادة بعض الحاميات التي كانت في عهد الانتداب مرابطة في فلسطين وفي ١ يناير ٩٤٨ تولى قيادة الكتيبة الرابعة التي تألفت في المفرق . فقاد معركة كيشر . ثم هبط مع كتيبة باب الواد وظل يحارب في هذا القطاع الى ان اعلنت الهدنة . وهو يحمل احد عشر وساماً من مختلف الرتب .

سالم ، كل واحد من هؤلاء كان يقود فصيلا ، والفصيل عبارة عن ٣٠ الى ٥٠ رجلا .

وأما الشيخ هارون بن جازي فقد فضل ، عند وصول الجيش العربي ، ان ينفصل عن قطاع باب الواد ، وأن ينضم الى زمرة المناضلين الفلسطينيين الذين يدافعون عن قطاع عرطوف .

وفي ٢٤ أيار جاءت الكتيبة الثانية من كتائب الجيش العربي . جاءت لتدعم اختها . وحطت رحلها في قطاع باب الواد ، وتسلمت الجبال الممتدة من الناحية الشرقية لمقام الصحابي المعروف (معاذ بن جبل) حتى جبال يالو المطلة على باب الواد .

وكان مجموع افراد هذه الكتيبة كاختها الرابعة التي سبقتها . واليك اسم قائدها وقادة السرايا التي تتألف منها :

قائد الكتيبة : الكولونيل سليد Col . H . FSlad e

ركن الكتيبة : الملازم الاول عكاش الزبن من بني صخر .

قائد السرية الاولى : الملازم الاول محمد كساب من الدعجة (من عشائر البلقاء) ؛

قائد السرية الثانية : الملازم الاول رفيفان خالد من بني صخر .

قائد سرية المدرعات . الملازم الاول حمدان الصبيح من البركات .

قائدالمدافع المقاومة للدبابات . الملازم الثاني حيدر مصطفى من عمان . تركي الاصل.

واسلحة هذه الكتيبة كاسلحة اختها التي تقدم ذكرها .

وكان في قطاع باب الواد ، غير الاسلحة التي تقدم ذكرها ، بطارية كاملة مؤلفة من ثمانية من المدافع الثقيلة من عيار ٢٥ رطلا ، نصبت في سهول يالو وبيت نوبا . وقد عهد بقيادتها الى الكابتن روبنسون من رجال المدفعية الملكية البريطانية . والكتيبتان المذكورتان من كتائب اللواء الثالث يقوده القائمقام اشتون Col. J.O. M. Ashton الانكليزي : وكان هذا يتلقى اوامره من قائد الفرقة الزعيم لاش بك (١) . وهذا يسير تبعاً للخطة التي يرسمها له غلوب باشا رئيس اركان حرب الجيش في عمان Brigadier John Bagot Glubb, C. M. G, D. S. O. , O. B. E.

وهماانكليزيان ، واما قائدالكتائباليهودية في هذا القطاع فكان البريجادير رابينوفتش

---

(١) كان هذا على عهد الانتداب ضابطا من ضباط البوليس البريطاني ثم التحق بالجيش العربي وظل يتدرج في مراقيه الى ان اصبح جنرالا ، ولقب (لاش باشا) .

اليهودي ، ومقره في (خلدا) يساعده الميجر بتر وولف Peter Wolf الانكليزي (١) وتولى قيادة القطعات اليهودية في قطاع اللطرون بعـــدئذ قائد اميركي برتبة كولونيل ، اسمه Marcus و كانوا يلقبونه Mickey . انه من خريجي الكلية الحربية في West Point وكان رئيساً لاركان حرب جيش الاحتلال الاميركي في المانيا . ذلك الجيش الذي قاده الجنرال كلي . وقتل ماركوس عند باب الواد قبل الهدنة بليلة واحدة ١٠-١١ حزيران وتضاربت الاقوال في قتله . فمن قائل انه قتل برصاصة عربية ومن قائل ان حارسه اطلق الرصاص عليه ليلا ، فقتله دون ان يعرف من هو ؟

يذكر اليهود هذا القائد الاميركي (ميكي) بالثناء والتقدير لانه هو الذي نبههم الى الخطر الذي يحيق بجيشهم اذا هم لم يعملوا على تقويته ، وكان هذا الجيش ، عندما رآه لاول مرة ، من الضعف بحيث قال لهم كلمته المشهورة .

« ان اسرائيل ستمحى عن وجه الارض في اول هجوم يقوم به الجيش العربي » . فاتبع اليهود نصائحه وولوه قيادة جيشهم . فقواه ، وساقه الى الميدان في معـــارك باب الواد .

ويبدو ان مهمة الكتيبتين العربيتين الثانية والرابعة كانت منحصرة في الدفاع (٢) عن قطاع باب الواد فقط . وليس الهجوم . والحق يقال انهما قامتا بتلك المهمة حق القيام . اذ لم ينقض يوم من الايام التي مرت بين ذلك التاريخ وتاريخ اعلان الهدنة ، دون ان يسمع فيه ازيز الرصاص وقعقعة المدافع ودوي القنابل . وكثيراً ما حاول اليهود اختراق الجبهة من تلك الناحية باعداد كبيرة ، ولكنهم صدوا ، ومعظم الاشتبا كات كانت تقع في الليل . ولقد حدثني الرئيس الركن محمود الروسان(٣) ان الجيش العربي خاض هنا

---

(١) كان هذا على عهد الانتداب ضابطاً من ضباط الجيش البريطاني . هذا ما قاله آرثور كوستلر في كتابه (وعد ووفاء) ص ٢٣٩ .

(٢) هذا ما جرأ اليهود . وكانوا دوما مهاجمين . وما كانوا ليجرؤا على ذلك لو استعملت احدى هاتان الكتيبتان للهجوم والاخرى للدفاع . ولو اضيف اليهمـا كتيبة ثالثة او سمح لجيش الانقاذ او الجهاد المقدس بالبقاء وعمل الجميع يدا واحدة لتغير الوضع في ذلك القطاع .

(٣) محمود احمد الروسان ، من سما الروسان من اعمال عجلون ، ولد عام ١٩٢١ واتم دراسته الاولية في اربد والثانوية في عمان والصلت ، التحق بالجيش العربي عام ١٩٤٣ واصبح في عداد اركان الحرب عام ١٩٤٧ ، وصار ركنا للكتيبة الرابعة في المفرق وكانت رتبته ملازم اول . ولما تسلمت هذه الكتيبة قطاع اللطرون رقي الى رتبة رئيس ، وحارب هنا مع زملائه قادة السرايا الاخرى باخلاص . والف الروسان بعد وقف القتال كتابا عن (معـارك باب الواد) ذكر فيه جميع المعارك التي خاض الجيش العربي غمارها في هذا القطاع .

غمار ست عشرة معركة كبيرة (خلا المناوشات الصغيرة) منها ثلاث عشرة قبل الهدنة الاولى ، وثلاث بينها وبين الهدنة الثانية . ولو شئنا ان نذكرها كلها بالتفصيل لما وسعهاهذا الكتاب . غير انا لا نرى بدأ من الاشارة في سطورنا التالية ، الى اهم المعارك وابعدها اثراً في مصير ذلك القطاع ومصيرالقدس معاً ، فنقول . ما كادت كتائب الجيش العربي تتمركز في المواضع المخصصة لها ، حتى راح اليهود يشنون عليها غارات ، كانت في البدء صغيرة ومتفرقة ، القصد منها الاستطلاع وجس النبض ، كالهجوم الذي قام به اليهود مساء اليوم الثامن عشر من ايار ، حيث قامت فئة منهم تهاجم مراكز الدفاع العربية عند يالو ، هاجمتها من الناحية الجنوبية ، وتمكنت من التغلغل بين فئات السرية الثالثة . وبعد ان اتمت مهمتها - وهي جس النبض كما قدمنا - انسحبت الى مراكزها الاصلية :

وفي اليوم التالي (١٩ ايار) قام رجال المدفعية اليهودية بالعمل نفسه ، الا وهو جس النبض واختبار القوات الاردنيةومعرفة اسلحتها ، فقذفوا من ناحية خلدا مواضعالجيش العربي بثماني قنابل من مدافعهم القوسية المورتر ذات الثلاث بوصات ، وجهوا معظمها صوب اللطرون . وكانت الغاية تسجيل الهدف وتعيين المسافة ، وفي ذلك اليوم نفسه (١٩ ايار) حلقت فوق باب الواد طائراتعراقية وقصفت المواضع اليهودية .

وفي ٢١ ايار كانت قافلة تحت جنح الظلام من ناحية خلدا ميممة القدس ، وكانت القافلة مؤلفة من اربع وعشرين سيارة كبيرة من سيارات الشحن تحمل الارزاق ، يصحبها من الامام والخلف عدد من المصفحات . فتصدت لها المدافع العربية من عيار ٢٥ رطل ، والمدافع القوسية (المورتر) من عيار بوصتين من بيت نوبا وامطرتها وابلا من قنابلها ، فردتها (وكانت الساعة قد دقت التاسعة والنصف ليلا) .

ثم عاد اليهود بعد منتصف الليل بقليل ، فأرسلوا فئة منهم ، مؤلفة من خمسة وثلاثين مقاتلا . ارسلوهم باتجاه الحرج . وكان الليل قد انتصف . فتصدى لهم الجنود المرابطون هناك والمناضلون من البدو ومن عمواس ، واشتبك الفريقان في قتال دام حتى صبيحة اليوم التالي . عندئذ انسحب اليهود باتجاه معتقل اللطرون ، ودخلوه . فتبعهم المناضلون واخرجوهم منه ، ولقد قتل في هذه المعركة ثمانية من اليهود واعطبت سيارتان من سيارات القافلة . وغنم المناضلون رشاشاً المانيا . وقتل منهم واحد وجرح ثلاثة .

وكانت الغاية من هاتين المعركتين شق الطريق عند باب الوادلانقاذ القدس . والذي

امر بذلك هو بن غوريون (١) الذي تولى قيادة الهاغانا . وقد ازداد هذا حماسة عندما رأى ان الجيش العربي باحتلاله لحي الشيخ جراح قد قطع الجامعة والهداسا عن باقي الاحياء اليهودية :

وفي ٢٢ – ٢٣ – ٥ – ٤٨ تقدمت قوة من اليهود تقدر بفئتين (٧٥ مقاتلا) فتمركزت حول البئر الحلو . وجاءت حظيرتان (١٥ مقاتلا) صوب الحرج بقصد الاشغال . وراح المهاجمون يتقدمون باتجاه اللطرون سالكين الدرب السلطاني . وكانت الساعة قد دقت الواحدة والنصف بعد منتصف الليل . ورغم المقاومة الشديدة التي ابداها الجنود المناضلون فقد تقدم المهاجمون حتى اصبحوا بعد ساعة على قيد مئة ياردة من مراكز الدفاع في اللطرون . هذا بعد ان مهدت لهم مدفعيتهم السبيل . عندئذ اشتدت المقاومة وراح قائد السرية المساندة يضربهم من الخلف بالرشاشات من طراز فيكرز ، فانسحبوا الى البئر الحلو . وفيما كانت المعركة قائمة راحت الطائرات المصرية تضرب مستعمرة عنافيم ومستعمرة الخمس اليهوديتين . ولكن اليهود عادوا الى الميدان بعد ساعة وكانت صفوفهم قد تقوت بالنجدات الجديدة التي وصلتهم . وحاولوا المرة هذه اجتياز سور الدير الافرنسي ، ولكنهم صدوا . فانسحبوا في الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي عن طريق بيت جيز ، تاركين ورائهم سبعة قتلى . وغنم العرب في هذه المعركة تسع بنادق المانية وبعض الذخيرة والخناجر الفولاذية .

وفي ٢٤ ايار كانت الكتيبة الثانية قد وصلت الى يالو وحطت رحلها في المواضع المخصصة لها بين مقام معاذ بن جبل وباب الواد ، وقذف اليهود في الوقت نفسه بفرقة كاملة من مقاتليهم الى الميدان . وكان هؤلاء قد وصلوا حديثاً من معتقلات قبرص واوروبا .

يقول اليهود عن معركة باب الواد هذه التي حدثت في ٢٥ ايار ما يلي (٢) :

١ – ان الغرض منها انقاذ الاحياء اليهودية التي كانت محصورة في القدس ، والتي كانت حالتها تزداد سوءاً في كل يوم . . اذ كان احتياطي المؤن والعتاد الذي نقلته قافلة (نحشون) قد اوشك على النفاذ . . وبدأت ضربات الجيش العربي تنصب على المدينة ، وسقطت مستعمرات كفار عصيون وعطاروت ، والنبي يعقوب ، وعرطوف . . وكاد

---

(١) اقرأ ما كتبه John Kemche في الصفحة ٢٦٣ من كتابه Seven Fallen Pillars

(٢) نقلنا هذا القول عن فصول ترجمها عن اللغة العبرية السيد درويش الشامي من موظفي مكتب الارتباط الخارجي بالقدس ، وقد ثبتها في مخطوطة اسماها (في خط النار) . وهذا الكلام عن معارك باب الواد لكاتب عسكري يهودي يسمى (ش. غذيت) . وقد ساهم في قيادة هذه المعارك .

الامل ينهار في ربح الحرب .. فلا بد اذاً من انقاذ القدس ، ولا بد من اقتحام الطريق اليها وتزويدها بقوات جديدة للدفاع عنها مهما كلف ذلك من ثمن . .

٢ ـ حشد اليهود ، لهذه المعركة ، لواءً كاملا . رجاله من المهاجرين الجدد الذين لم يمض على وصولهم اكثر من بضع ساعات . جندوهم وارسلوهم الى باب الواد ، رغم صعوبة الاحوال في الجهات الاخرى . ولقد زود هذا اللواء بعدد من المدافع والدبابات والمصفحات هو كل ما كان يملكه الجيش اليهودي في ذلك الحين . اذ كان لا بد من انقاذ المدينة من الحصر المدمر القتال .

٣ ـ خسر اليهود هذه المعركة لعدة اسباب . منها : تأخر اللواء في حركته الى ما بعد شروق الشمس : الامر الذي جعله ينكشف لاعين العرب . ووصول اخبار كاذبة لليهود عن اخلاء قريتي (بيت جيز) و (بيت سوسين) من سكانهما العرب . فقد فوجىء اليهود بمقاومة عنيفة غير متوقعة من هاتين القريتين والقرى المجاورة لها ، اضف الى ذلك ان الجيش العربي المرابط في قطـــاع اللطرون حصد اليهود بنيران مدافعه ورشاشاته . فوجد اليهود انفسهم بين نارين ، وذاقوا الامرين من جراء النار . والحر اللافح . . والعطش . . وقضوا على تلك الحال اثنتي عشرة ساعة .

وفي ٢٥ ايار شن لواء يهودي كامل(١) مؤلف من الفين الى ثلاثة الاف مقاتل هجوما واسع النطاق على مراكز الكتيبة الرابعة في منطقة اللطرون ، بعد ان ظـــل ساعة كاملة يمهد لهجومه هذا بالقنابل تقذفها مدافعه الثقيلة(٢) من عيار ثلاث بوصات وثلاثة عشر

---

(١) كان يقود هذا اللواء يهودي من يهود فلسطين لا نعرف اسمه . وانما جاء في الكتب اليهودية انه كان ماجورا في الجيش البريطاني . واما رئيس اركان حربه فانه ابن حاخام من اليهود الانكليز وكان هذا ضابطاً في مكتب الاستخبارات البريطاني بالمانيا . وضابط الحركات ايضا كان يهوديا انكليزيا ، وكان فيما مضى مستخدما في قوة الحدود بشرق الاردن . كما كان من رجال الكتيبة المدفعية الملكية التي حاربت في الصحراء الغربية . واما الجنود والضباط فأكثرهم متطوعون جاءوا حديثا من اوروبا ، وبعضهم فلسطينيون .

(٢) هذا ما قاله محمود الروسان في كتابه (معارك باب الواد) . واما **John Kemche** فيقول في الصفحة ٢٦٣ من كتابه **Seven Fallen Pillars** نقلا عن لسان بن غوريون انه لم يكن لدى اليهود في تلك المعركة مدافع ثقيلة ، وانما كانت لديهم رشاشات مركبة في سيارات مصفحة . ويعترف رجال الجيش العربي بأن اليهود كانوا في تلك الليلة موفقين في اصابة الهدف الى حد كبير حتى انهم استطاعوا ان يدمروا جانبا من مخفر البوليس في اللطرون .

رطلا . وتقدمت سرية مؤلفة من مئة وعشرين مقاتلا يهودياً باتجاه البئر الحلو : قادمة من كفروريا . وفيما كانت هذه القوة الاستكشافية مشتبكة في قتال مع الحامية العربية على مقربة من البئر المذكورة كانت وحدات يهودية اخرى تتجمع خلف الجبال الواقعة جنوبي اللطرون . ففضحها ضوء النهار . فتلقتهم المدافع العربية من عيار ستة ارطال ، والقوسية (مورتر) من عيار ثلاث بوصات وكانت هذه منصوبة في بيت نوبا . وراحت تقذفهم بقنابلها الثقيلة فمنعتهم من التقدم . وجاءت في الوقت نفسه قوة مؤلفة من اثنين واربعين جنديا . كانت هذه قد ارسلت في مساء اليوم السابق باستقامة عرطوف لاجل الاستكشاف ، ونسف الجسر الكائن بين اشوع وعسلين . وكانت بقيادة الملازم الاول قاسم العايد . فأغلقت على العدو طريقه من الناحية الشرقية . وانضم اليها بعد قليل زهاء اربعين مناضلا جاءوا من عرطوف . وضيق الجميع الخناق على اليهود ؛ فانهزموا تاركين ورائهم ٢٦٦ قتيلا واما الجرحى فقد نافوا على ضعفي هذا العدد ولقد اسر العرب ستة من رجال الماغانا وكان بين القتلى اربع فتيات . واما خسائر العرب فكانت تسعة شهداء (٣ من الجنود و ٢ من المناضلين و ٤ من المدنيين) وثمانية جرحى .

ولقد غنم العرب في هذه المعركة التي دامت ثلاث عشرة ساعة ٢٢٠ بندقية و١٠ رشاشات ستن و١٥ رشاشاً المانياً (براوننغ) و٤ مدافع قوسية (مورتر) من عيار بوصتين و٤ مدافع صاروخية ومقادير وافرة من الاعتدة والبطانيات والمواد الفولاذية والالغام والمتفجرات والقنابل اليدوية والاجهزة اللاسلكية اميركية ويوغوسلافية . ووجد في جيوب الاسرى وبعض القتلى اوراق تثبت انهم ينتمون الى قوميات مختلفة منهم من هو روسي او بولوني ، ومنهم من هو تشيكوسلوفاكي او ايطالي ، وبعضهم انكليز وامريكيون وتدل التواريخ التي ثبتت على جوازات السفر ان بعضهم جاء الى فلسطين حديثا . والبعض جاء قبل المعركة بيوم واحد :

وهكذا انتهت المعركة ، التي تعتبر من اكبر المعارك التي وقعت بباب الواد ، بنصر للعرب . وجد العرب مع كل جندي قتيل ١٤ رغيفاً و٤ مطارات للماء وتبين من هذا انهم كانوا ينوون احتلال اللطرون - باب الواد والتمركز فيه ريثما ينظمون مواصلاتهم وفشل

اليهود (١) في تحقيق الغاية التي كانوا يهدفون اليها ، الا وهي الاستيلاء على المرتفعات الكائنة هناك . وفتح طريق باب الواد ، بقصد انقاذ اليهود في الحي القديم بالقدس . ولما يئس اليهود من هذه الناحية وفقدوا كل امل في اقتحام طرق باب الواد . اسرعوا (في ٢٨ ايار) الى فتح طريق جديدة الى الجنوب منها وقد اسموها طريق جرما و كانت هذه سراً من اسرارهم .

حدثني عزت بك حسن ، قائد السرية المساندة ، وكان يدير المدفعية العربيــة ، ان هذه المعركة دامت من الساعة الثانية والنصف صباحاً حتى الساعة الواحدة بعد الظهر .

وقال الركن الرئيس محمود الروسان نقلا عن ضابط يهودي التقى به اثناء تخطيط الحدود (في ٩ ايار ١٩٤٩ ان اليهود خسروا في هذه المعركة ٨٠٠ قتيل ومثل هذا العدد من الجرحى . ولم يستطع اليهود نقل جثث موتاهم . فنقلهم الجيش العربي في سياراته بعد يومين ودفنهم بمساعدة اهالي قريتي عمواس ويالو ، في جرف كبير بين القريتين . قرأت في احد التقارير العراقية ان موقف الجيش العربي قد تحرج عندما قامت ،في ٢٥ ايار ، تلك المعركة الضاريــة بين العرب واليهود في قطــاع اللطرون ، وان الاردنيين طلبوا من الجيش العراقي ان يبادر الى نجدتهم ، وان يقوم بحركات تقريبيــة على محور طول كرم ـ ناتانيا ، وان الجيش العراقي لبى هذا النداء بالفعل ، فهاجم اليهود في ذلك القطاع واحتل مستعمرة (كرام) . ثم احرقها .

ولقد طلب الاردنيون في الوقت نفسه الى الجيش المصري ان يتقدم اعتباراً من ٢٨ ايار نحو يبنا ـ عاقر الرملة ، الا انه (اي الجيش المصري لم يلب هذا الطلب .

وفي ٢٨ ايار حلقت طائرتان عراقيتان وفي قول آخر مصريتان في الجو وقذفتا مواضع العدو الامامية بوابل من القنابل الشديدة الانفجار ،فاوقعتا في صفوفه الخســائر والرعب . وسمعت قيادة الهاغانا تنقل باللاسلكي من خلدا الى ولاة الامور في تل ابيب نبأ هــذه الغارة . وقد جاء فيه ان الطائرات قتلة اثني عشر جنديا من جنود المدفعية . وطلب اليهود

---

(١) قيل ان هذا الفشل ادى الى حدوث اختلاف شديد بين بن غوريون الذي اعطى الامر بالهجوم وكان قائدا للهاغانا في ذلك الحين وبين الكولونيل Yigal Yadin مدير الحركات العسكرية في الجيش الاسرائيلي الذي كان يعتقد ان الجيش الاسرائيلي لم يكن على استعداد لمثل ذلك الهجوم في ذلك الحين . ويادين هذا شاب في الثامنة والثلاثين من العمر وما كان بن غوريون ليقدم على حملة ذاك لولا انه كان يريد ان ينقذ يهود القدس القديمة . ولما فشل الهجوم سقط الحي اليهودي كما اوردنا في موضع اخر من هذا الكتاب .

ارسال اربعة مدافع جديدة بدلا من المدافع الاربعة التي اعطبتها الطائرات .

وفي ٢٩ ايار اغارت طائرة يهودية على يالو وعمواس فالقت ثلاث قنابل (قيل انها الغام من صنع محلي) ولكنها لم تحدث ضرراً وراح اليهود في الوقت نفسه يقذفون مراكز الكتيبة الرابعة بالقنابل من مدافعهم التي ركزوها وراء معتقل اللطرون وكانت هذه من النوع الثقيل من عيار ١٣ رطل واربع بوصات . فتصدت لها مدافع الجيش العربي ، واسكتتها والتقط رجال الجيش برقية لاسلكية بعث بها اليهود الى ولاة الامور في تل ابيب قالوا فيها « دُمرت مدفعيتنا ، قتل سبعة ، وجرح اثنا عشر » .

وفي ٣٠ ايار شن اليهود هجوما واسع النطاق (١) على مواضع اللواء الثالث وقد اتوا باعداد كبيرة قدروها بالف وخمسمائة مقاتل ، معهم سرية من المصفحات وفئة من قاذفات اللهب . وكانت تسندهم عدد من مدافع الميدان ومدافع الهاون الثقيلة (٢) وكانت الساعة قد دقت التاسعة مساء عندما بدأوا يهجمون . فركز المشاة هجومهم على مخفر اللطرون ، قاصدين الاستيلاء عليه وعلى المدافع الثقيلة . هذا بعد ان احتلوا بيت جيز وبيت سوسين ، وراحت في الوقت نفسه اسلحتهم المساندة تناوىء الكتيبة الثانية المرابطة الى الشرق . واحتلوا دير ايوب . وكانوا يرمون من وراء هذه الحركات الى الاستيلاء على مركز اللطرون وحماية القافلة التي كانت تتقدم من ناحية خلدا ميممة القدس فتصدى لهم اللواء الثالث (الكتيبة الرابعة والثانية معاً) وراح الفريقان يتبادلان النار من مدافعهما . ولما توقفت هذه عن القصف راح اليهود يتقدمون في اتجاه اللطرون ولقد تقدموا على طول الجبهة من الناحية الشرقية (باب الواد) والغربية(كفرويا وخلدا) ولئن نجح العرب في صد القافلة عند البئر الحلو ، ومنعوها من التقدم بفضل المدافع المقاومة للدبابات الان اليهود ومعظمهم في هذا الموضع كانوا من رجال القومندو تغلغلوا ببعض المسافة في المراكز التابعة للكتيبة الرابعة . واستولوا على حرج الدير . ومن هناك راحوا يطلقون النار على مخفر اللطرون وتحرج الموقف فاستنجدت الكتيبة الرابعة بقيادة اللواء طالبة

---

(١) هذا الهجوم شنه اليهود اثر سقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة ، واستنجاد رجال الهاغانا في الحي الجديد من القدس . ورأى اليهود انه لا بد من محاولة ثانية لاقتحام باب الواد وفك الحصار المضروب على القدس .

(٢) اثنان من المدافع التي استعملها اليهود في هذه المعركة انوا بها من الجبهة السورية . والمدافع الفوسية المورتر الثلاثة التي استعملوها هنا كانت من عيار ست بوصات ولم يكن لديهم سوى عشرين قذيفة من اجل كل مدفع من هذه المدافع الثلاثة .

عدداً من المصفحات ويظهر ان اليهود تمكنوا من التقاط شارة الاستنجاد من الهواء فارسلوا ثمانية من مصفحاتهم. وسارت هذه باتجاه المواضع العربية. وعندما اقتربت من ساحة المخفر وكانت الساعة قد دقت الثالثة والنصف، لم يرتب احد من رجال الحامية انها هي التي طلبها رجال الكتيبة الرابعة ففتحوا لها الباب؛ واجتازه اربع منها بسلام. ولما وصلت الى وسط الساحة، راحت تنفث سمها، وتسلط الاوكسجين على الابواب والنوافذ وعلى جوانب المخفر من كل جهة وقتل قائد الحامية محمود مفلح العرسان عندئذ ادرك رجال الحامية وجه الخديعة. ولم يترددوا، بل صعدوا الى سطح المخفر وكان عددهم زهاء خمسة وستين مقاتلا بين جنود ومناضلين وراحوا من هنـاك يدرأون الشر ويدفعون الاعداء الغادرين ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ومن حسن الحظ انهم ملكوا اعصابهم، ولم يفقدوا ذرة من اتزانهم. بل راحوا يستعملون الاسلحة الخفيفة التي بقيت بايديهم من بنادق وقنابل يدوية.

وراحت المدافع العربية الخفيفة والثقيلة تقذف حممها على المخفر، بكل ما فيه من اعداء ورجال حامية المدافع الثقيلة من بيت نوبا، والخفيفة من الجبل المقابل اذكانت هذه منصوبة على مقربة من مقام الصحابي معاذ بن جبل واستفاد الفريقان (رجال الحامية ورجال المدفعية) من الضوء الذي احدثه لهيب الاوكسجين والحرائق المشتعلة، فاحكموا الهدف وانزلوا باليهود خسائر فادحة.

ولم تنقطع المدافع اليهودية ايضاً عن القذف وكانت هذه تقذف حممها من القباب ولكنها، لحسن الحظ كانت كلها طائشة فلم يصب احد من حماة المخفر بسوء. وانجلت المعركة عن نصر باهر للعرب. فاعطبت احدى المصفحات اليهودية الاربعة التي اجتازت المخفر وتوقفت الثلاث الاخرى عن العمل فاستولى عليها العرب وقتلوا مـن فيها (١) واستولى العرب ايضاً على مقادير اخرى من العتاد، بينها بعض الحبوب المصنوعة من مواد من شأنها ان تخدر اعصاب الجنود وتشجعهم على القتال.

---

(١) حدثني عزة حسن، القائد الذي قصف اليهود بمدافعه انه استعمل في تلك الليلة مئة وعشر قذائف وانه عد بعد انتهاء المعركة قتلى اليهود الذين تبعثرت جثثهم حول المخفر، فوجد انهم سبعة وثلاثين بينهم فتاة كانت تعمل باللاسلكي في احدى المصفحات وروى ان هذه الفتاة قالت قبل ان تقتل لاحد الجنود العرب الذين كانوا يهللون ويكبرون: لا اله هنا، ولا محمد، ولا مسلمون، بل يوجد يهود وستقتل بايديهم بعد بضع دقائق فقذفها الجندي بقنبلة كانت القاضية. ولقد سمعها، وهي تلفظ انفاسها الاخيرة تتوسل به وبنبيه قائلة: انا دخيلة محمد.

وفيما كانت المعركة حامية الوطيس في هذه الناحية وقد انتصر فيها رجال الكتيبة الرابعة ، كان رجال الكتيبة الثانية ايضا يصدون هجوما قام به اليهود على مراكزهم في الناحية الشرقية من يالو .وهنا ايضاً كان النصر حليف العرب . اذ ما كاد فجر اليوم الثاني (٣١ مايس) ينبلج حتى كان اليهود قد ولوا الادبار تاركين وراءهم مئة وثلاثة وخمسين قتيلا ٥٨ منهم في منطقة الكتيبة الثانية و٩٥ في منطقة الكتيبة الرابعة (٣٧ من هؤلاء قتلوا في المخفر) . وبين القتلى قائد روسي برتبة رئيس (١) وايقنوا ان اقتحام هذا الممر من رابع المستحيلات

«قد كان لكم آية في فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار (٢) »

بلى وربك . لم يخسر الجيش العربي في هذه المعركة سوى شهيدين وسبعة جرحى : وفيما كان قائد المخفر عبدالمجيد عبدالنبي المعايطة يشرح لقائده الذي هرع الى مكان الحادث في صبيحة اليوم التالي مستطلعاً طلع الخبر اصابته قنبلة من قنابل المورتر فقتلته .

وزار الجبهة يومئذ الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق يرافقه نوري باشا السعيد رئيس الوزارة العراقية . وفي ١ حزيران ١٩٤٨ ايقن اليهود انه ليس من السهل اختراق طريق باب الواد ولهذا راحوا يضاعفون جهودهم في فتح طريق بورما وتمهيدها وجعلها صالحة لمرور الجند والمؤن والعتاد .

وفي ٥ حزيران ١٩٤٨ هاجم زهاء خمسة وسبعين رجلا من مقاتلي اليهود السرية الثالثة من الكتيبة الرابعة . هاجموها على مقربة من مقام الصحابي معاذ بن جبل وقابلهم رجال السرية بالمثل.

ثم عاد الفريقان ، فتبادلا في اليوم التالي ٦ – ٦ – ٤٨ رمي القنابل من مدافعهما وكانت في هذه المرة من النوع الثقيل ، ذات الست بوصات (هذه هي المرة الاولى التي يستعمل اليهود فيها هذا النوع) . والمدافع الثقيلة من عيار ١٣ و ١٧ رطلا : وكانت هذه متحركة بقوة آلية . ولم ينقطع الضرب طيلة النهار : وكانت نسبته بين العرب واليهود سبعة الى عشرة . ولكن اليهود لم ينالوا الهدف الذي كانوا يهدفون اليه من وراء هذا الرمي . الا وهو تحطيم معنويات العرب .

---

(١) رأيت ساعته في يد القائد الذي انتصر عليه ،وهو حابس المجالي .

(٢) سورة آل عمران الاية ١٣

وفي ٨ حزيران ١٩٤٨ قام اليهود مرة اخرى بمحاولة يائسة من اجل الاستيلاء على منطقة اللطرون فشنوا هجوماً عنيفاً على مراكز الكتيبة الرابعة. شنوه من جميع الجهات. واستطاعوا التغلغل في الصفوف العربية حتى النقاط الامامية. وما عتم جنود السرية الثالثة ان رأوا الاعداء على بعد عشر خطوات من خنادقهم. فقاموا يحاولون طردهم. واشتبك الفريقان بالسلاح الابيض والقنابل اليدوية، وكان من سوء حظ العرب ان اعطب الرشاشان اللذان كانا قريبين من مركز المراقبة. فتقدم المهاجمون، واحتلوه. وكان هذا قريباً من الهضبة التي يقوم عليها مقام معاذ بن جبل الى الشمال من اللطرون.

ولقد قام العرب في صباح اليوم التالي (٩ ـ ٦ ـ ٤٨) بهجوم معاكس. اشترك فيه فئة (١٥) من السرية الثانية في اللطرون واخرى (٢٥) من المناضلين وثالثة (٢٥) من افراد القيادة. ولكنهم لم ينجحوا في زحزحة اليهود. فألفت قوة اكبر من الاولى وكان قوامها ٣٧ مقاتلا من السرية الاولى و ٣٧ من السرية الثانية و ٧٥ من السرية المساندة و ٣٧ من افراد القيادة و ٣٠ من المناضلين الفلسطينيين. وما ان صعد المؤذن الى المئذنة يدعو الى صلاة الصبح(١) منادياً الله اكبر، الله اكبر، حتى كان المجاهدون قد وصلوا الى نقطة قريبة من معاذ بن جبل. ومن هناك انقض المهاجمون على المراكز التي احتلها العدو في الليل. فقابلهم هذا. وقامت بين الفريقين على الفور معركة بالسلاح الابيض والقنابل اليدوية. وكانت الغلبة للعرب، فاخرجوهم. وما ان طلعت الشمس حتى كانت جثث اليهود مبعثرة فوق الجبل حول مقام معاذ بن جبل. وراح العرب يجمعون الغنائم والاسلاب. واحصى العرب جثث القتلى من اليهود فوجدوا انها كانت في المراكز الامامية (حيث قامت معركة بالسلاح الابيض) ٥٦ وفي منطقة السرية الثالثة ١٨ وفي اللطرون ٢٣. وغنم الجنود والمناضلون ١٢٠ بندقية وبعض الرشاشات الالمانية، ومقادير كبيرة من الاعتدة ونقالات المرضى والقنابل اليدوية. واما خسائر العرب فلم تتعد ١٧ شهيداً (٧ منهم من الكتيبة الرابعة وواحد من الكتيبة الثانية واربعة من المناضلين وواحد من اهالي عمواس المدنيين) واما الجرحى فقد كانوا سبعة عشر. احد عشر منهم جنود، والباقون مدنيون.

وفي ١٠ حزيران انضمت السرية الخامسة الى الكتيبة الرابعة. يقودها الرئيس اديب القاسم. ولكن. ما كادت هذه تتسلم مراكزها حتى فاجأها العدو باطلاق قنابله، فاستشهد اربعة من رجالها، وجرح ثلاثة.

---

(١) حدثني قائد الكتيبة الرابعة انه هو الذي أمر المؤذن بالاذان، ولم يكن وقت الصلاة قد حان، كما امر الجنود بالتهليل والتكبير باصوات عالية ليوهم اليهود ان المسلمين المرابطين في الميدان كثيرون. وكان لعمله هذا اثره المطلوب.

بعد ذلك اعلنت الهدنة الاولى ٠ ٠ ٠ ولولاها لسقطت القدس بيد العرب(١) ٠ اذ كانت معنويات اليهود ، ولا سيما في قطاع باب الواد ، قد انحطت ٠ وفقدوا كل امل ورجاء في امرار قوافلهم من باب الواد ٠ وما كانت المؤن التي يحملونها على ظهورهم لتغنيهم ٠

ولما استؤنف القتال في ٩ تموز ١٩٤٨ كان الوضع قد تبدل ٠ وكان اليهود قد اتوا من الخارج باعداد كبيرة من الرجال ومقادير كثيرة من الاسلحة والاعتدة ٠ وكانت كتائب الجيش العربي قد تبادلت مواضعها (١ تموز) فاحتلت الكتيبة الرابعة التي كانت قبل الهدنة الاولى حول اللطرون ، مواضع الكتيبة الثانية في جبال يالو والمرتفعات المطلة على باب الواد ٠ وما كاد القتال يستأنف حتى راح اليهود يهاجمون الجيش الاردني في قطاع اللطرون ٠ واستمرت هجماتهم الشديدة حتى بدأت الهدنة الثانية ٠ وكان اول هجوم قام به اليهود بعد استئناف القتال هو الهجوم الذي شنوه على رجال الكتيبة الرابعة في جبال يالو (١٥ تموز ١٩٤٨) هجوماً عنيفاً ٠ سروا في الهزيع الاخير من الليل قاصدين احتلال قرية يالو والهضاب المجاورة لها ٠ وكانت قوتهم تتألف من ألف جندي ٠ وما كاد الصبح ينبلج حتى كانوا قد تمكنوا من الوصول الى الاستحكامات العربية وحفروا الخنادق عندها واصبحوا على مقربة من القرية ٠ وازداد الموقف حرجا عندما تقدمت فئة يهودية اخرى من الناحية القبلية الى الغرب ، فاحتلت البرج وبئر ام معين ووصلت الى نقطة تقرب من بيت سيرا ، وجاءت فئة اخرى من ناحية المستعمرة المعروفة بـ (معلى خامشه) وكادت الفئتان تلتقيان عند مفترق الطرق التي تصل بين رام الله وخريثا وباب الواد : ولو التقتا لقطعتا خط الرجعة على الكتائب العربية المرابطة في قطاع اللطرون ٠ ولكن سرعان ما انتبه رجال الكتيبة الى هذه الحيلة ، فقاموا يصدون اليهود ٠ وهاجموهم بالمدرعات فشطروهم الى شطرين وتمكنوا بهذه الوسيلة من طردهم ٠ فارتدوا على اعقابهم تاركين وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى (٢) ٠ واما الكتيبة الرابعة فقد خسرت في تلك الليلة شهيدين وعشرة جرحى ٠

---

(١) هذا ماحدثني به القائد حابس المجالي قائد الكتيبة الرابعة التي حاربت اليهود في باب الواد ومن رأيه ان الخطة التي رسمت لمعارك باب الواد تقضي بالخضوع للامر الواقع ٠ حتى انه جاء وقت فكر فيه ولاة الامور بالانسحاب من جميع ذلك القطاع الى ما وراء الاردن ٠ ولكنه اي (حابس) رفض الانصياع لهذا الامر ٠

(٢) جاء في تقرير قائد المدفعية انه رأى بعينه خمسة وسبعين جثة في داخل المعسكر هذا خلا الجرحى والموتى الذين تمكن اليهود من نقلهم قبل ان يبرحوا المكان ٠

وقامت في اليوم التالي ١٦ تموز سرية يقودها الملازم الثاني عبد الله الفالح بالهجوم على (قولة) فاحتلها . وخسر اليهود عدداً كبيراً من القتلى . واما خسائر السرية فكانت ٣ شهداء (احدهم القائد) وتسعة جرحى وتولت في اليوم نفسه سرية اخرى من الكتيبة الثانيةمهاجمة (سليت) فكانت خسارتها شهيدين وخمسةجرحى . وفيما كان النضال قائماً في قولة وسليت قامت الكتيبة الثانية بهجوم شديد على البرج ، بقصد الاشغال . انها (اي الكتيبة الثانية) وان لم تتمكن من استرداد البرج الا انهـا تمكنت من وقف الزحف اليهودي عند حده . ولولا ذلك لتمكن اليهود من قطع خط الرجوع على الكتائبالعربية الاخرى المرابطة عند باب الواد ، وكانت خسارة العرب في معركة البرج هـذه سبعة شهداء وثلاثة جرحى . وفقد ستة هم في حكم الشهداء .

وفي مساء اليوم السـابع عشر من شهر تموز ١٩٤٨ ، اغارت طائرتان من طائرات اليهود على مراكز الدفاع العربية . احداها من قاذفات القنـابل ، والاخرى مقاتلة : وكانت النار موجهة الى مركز السرية المساندة . وكانت موفقة اذ ان احـدى القنابل اصابت مدرعة فيها مدفع زنته سبعة اطنان ، فأعطبتها واصابت الثـانية مدرعة اخرى فأعطبتها . وقتل من رجالها عدد ليس بقليل (النائب يوسف صعب وسائقها الجندي الاول سالم عيد من السرية) كماقتل مناضلان من بيت محسير . وجرح اربعةمن رجالالسرية المساندة . وجندي سائق من رجال السرية الثالثة . وما لبث هذا ان فارق الحياة عند وصوله الى المستشفى .

وعاد اليهود في اليوم التالي ١٨ تموز ١٩٤٨ فشنوا هجوما على المراكز العربية واتوا هذه المرة من ناحية القباب ، وبيت ثول . وقد حشدوا لهذا الهجوم كتيبتين من مقاتليهم يتقدمهم ثلاث دبابات من طراز كرمويل في كل واحدة منها مدفع من عيار ٧٥ مليمتراً هذا بالاضافة الى المدافع العـديدة الاخرى الثقيلة والخفيفة . وكان هجومهم في هذه المرة مصوباً نحو صفا . وكان فيها يومئذ سريتان من الجنود (٥٠٠) وعدد كبير (٦٠) من المناضلين . واشتبك الفريقان في المواضع التالية ــ جورية ، خربة الدالية ، بصلت ؛ ولكنهم صدوا ، ويرجع الفضل في صدهم الى المدافع الثقيلة التي استعملهـا العرب . وكان هناك ، على سطح المخفر ، مدفع من عيار ستة أرطال . واستمر اطلاق النار الى ما بعد اعلان الهدنة بساعة ونصف الساعة . وكانت خسائر اليهود في معركة صفا هذه شديدة ، حدثني القائد انه عد منهم ٩٨قتيلا . وحدثني مختارصفا فقال ان اليهود خسروا في معركة صفا ٣٣٠ قتيلا . واما خسائر العرب فكانت ١١ شـهيداً وعشر ة جرحى .

هذا من الحامية . يضاف اليه سبعة من المناضلين (١) . وغنم العرب في هـذه المعركة مصفحتين يهوديتين ومقادير كبيرة من العتاد الحربي .

ولم تهدأ الحال عند باب الواد إلا عندما أعلنت الهدنة الثانية ، ووقف القتال وقد بدأت هذه في تمام الساعة الخامسة من بعـد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر تموز ١٩٤٨ .

هذا ولا بد لنا من القول ان المعارك العنيفة التي جرت عند باب الواد كلفت اليهود خسائر فادحـة (٢) . فلو عرف القادة العرب كيف يستغلونها ، لتغـير الوضع الحربي في القطاعات الاخرى ولغيّر التاريخ مجراه في فلسطين .

---

١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

٢) قال دافيد بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل في بيان القـاه في « الكنيست » في ١١ حزيران ١٩٤٩ ان اليهود خسروا في معارك باب الواد ضعفي العـدد الذي خسروه في معـارك فلسطين الاخرى .

* * *

تم هـــذا الجزء ، وهو الثاني ، من كتاب (النكبة) . وقد حدثتك فيه عن الوقائع التي وقعت في فلسطين من اليوم الذي دخلت فيه الجيوش العربية البلاد ، ١٥ أيار ١٩٤٨ ، الى نهاية المعارك التي وقعت عند باب الواد .

يليه الجزء الثالث ، وفيه اخبار المعارك التي جرت بعدئذ .. والهدنة الاولى .. ومـــا جرى في غضونها . . الى ان انتهت تلك الهدنـــة واستؤنف القتال في ٩ تموز ١٩٤٨ .

* * *

فهرس الاماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

المستعمرات

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الاعلام

(آ)

(ب)

(ح)

(ز)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ه)

(و)

(ي)